

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة علي لونيسي - البليدة 2 -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مرتكزات القراءة الدلالية للمثير الأسلوبي

في نماذج من النص القرآني.

أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه
في اللغة العربية.

إشراف الأستاذ الدكتور:

عمّار ساسي

إعداد الطالب:

محمد بشيرباي

السنة الجامعية: 1436هـ / 1437هـ

2015م / 2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة علي لونيسي - البليدة 2 -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مرتكزات القراءة الدلالية للمثير الأسلوبي

في نماذج من النص القرآني.

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

في اللغة العربية.

إشراف:

أ.د. عمّار ساسي

إعداد الطالب:

محمد بشيرباي

أمام اللجنة المشكلة من:

رئيسا	جامعة علي لونيسي (البليدة 2)	أستاذ محاضر (أ)	د. علي حميداتو
مشرفا ومقرّرا	جامعة علي لونيسي (البليدة 2)	أستاذ	أ.د. عمّار ساسي
عضوا مناقشا	جامعة ابن خلدون (تيارت)	أستاذ	أ.د. أحمد عرابي
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 1	أستاذة	أ.د. سهام مادن
عضوا مناقشا	جامعة الجيلالي اليابس (سيدي بلعباس)	أستاذ	أ.د. قادة عقاق
عضوا مناقشا	جامعة علي لونيسي (البليدة 2)	أستاذ محاضر (أ)	د. عماد بن عامر

السنة الجامعية: 1436هـ / 1437هـ

2015م / 2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَنْ أُمَرَ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ ﴿٢٤﴾

حمد: ٤٢

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

يوسف: ٦٧

الإهداء

إلى من أفاض الله تعالى عليّ حنانهما أبي وأمّي. فاللهم أنعم عليهما
بالصّحة والعافية، وأمدّ في عمرهما بالطاعة.
إلى من احتوتني بالمودّة زوجتي رفيقة عمري.
إلى أبنائي الأعزاء زينة حياتي.
إلى زهرات بستانني شقيقاتي المخلصات.
إلى كلّ أخ محبّ وصديقّ وفيّ.

محمّد

شكر وعرفان وتقدير

بسم الله، والصلاة والسلام على نبيّه معلّم الهدى، ونبراس النقى القائل:
«لا يشكر الله من لا يشكر الناس». أنجزت هذه الأطروحة بتوفيق من الله تعالى،
وبمساعدة أهل العلم والفضل الذين ألهم بهم بأوفى عبارات العرفان.
اللهم حمداً وشكراً وواجب الوفاء يدعوني إلى أن أتقدّم بالامتنان وفائق التقدير
إلى الذي تفضل بالإشراف على هذه الأطروحة، وقد كان له الفضل بالمتابعة والنصح
بالرأي السديد...والذي له أكبر الأثر في تصويب جهودي وتعزيز ثقتي بصواب
مسعاه... والذي آثر أن يتابع صادقاً، معلماً، وموجّهاً يفيد كريماً بالذي يدرّيه من غير
تقصير، ولا تردّد: الأستاذ الدكتور عمار ساسي وفقّه الله وجازاه خير الجزاء.
وإلى كلّ من أعانني ولو بكلمة طيبة، كما لا يفوتني شكر كل من أسهم وساعد
من الخلق وأهل الدّراية قريباً كان أو بعيداً، وبخاصّة أولئك الذين أمدّوني بالفكر
والإشارة، والوسيلة. فلا أجد من معنى الوفاء لأفضالهم عليّ سوى إهداء هذا العمل
على ما به من إقلال الجهد، وقصر ذات اليد. فالكلّ في موقعه عندي معلوم مذكور.
والله يرعى خير المحسنين من قبل ومن بعد.

ملخص:

شكّل النص القرآني موضوع الدراسات اللغوية والدلالية لانسجامه وتماسكه اللغوي، وتطلّب لذلك إبراز أحد معايير الأسلوبية؛ فوسمت بحثي بـ"مرتكزات القراءة الدلالية للمثير الأسلوبي في نماذج النص القرآني"...ذلك أن تميّز أسلوب القرآن فرض إيجاد مفاتيح تلقّيه من وجهة أسلوبية لغايات دلالية. فارتكز بحثي على الدلالة اللغوية بشكل خاص (الصرفية، النحوية، والسياقية)...وانصبّت أهميته على علاقة المثير الأسلوبي ببعض الدلالات اللغوية، والأثر الذي يخلفه عند إعمال القراءة الدلالية ببيان المعنى القرآني وتفردّه...

إنّ الاستجابة الآلية لأيّ نصّ تعني افتقاره إلى عنصر المثير الأسلوبي. فكانت الإشكالية: ما مدى اتّخاذ المثير الأسلوبي مطيّة لتحقيق قيم دلالية للنص القرآني؟ وركّزت على توضيح علاقة المثير الأسلوبي بما افترضته...وارتأيت أن أخصّ موضوع البحث بهذه الخطة:

الفصل الأول: المثير الأسلوبي بين الفهم والاستعمال؛ وتناولت فيه مبحثين :

الأول: مفهوم المثير الأسلوبي ومجالاته. أمّا الآخر: أشكال المثير الأسلوبي واستعمالاتها.

الفصل الثاني: علاقة المثير الأسلوبي بالدلالة الصرفية. وفيه مبحثان:

الأول: المنظور الدلالي للصناعة الصرفية. أمّا الآخر: الأبعاد الدلالية للصيغ الصرفية.

الفصل الثالث: القيم الدلالية لبعض الظواهر النحوية. وفيه:

الأول: استقامة التركيب النحوي ودلالاته. أمّا الآخر: التجليات الدلالية لظاهرتي الحذف والتقديم والتأخير.

الفصل الرابع : دور السياق في إظهار دلالة المثير الأسلوبي، ويتناول بحثين كذلك:

الأول: دلالة السياق. أمّا الآخر: دور السياق في بيان دلالة النص القرآني.

فرضت الإجابة عن الإشكالية أن اتّخذ المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى وصف خصائص وأبعاد هذه الظاهرة ثمّ رصدها في النصّ القرآني...واضطررت لأستعين بالمنهج النفسي لتعلّق المثير بالمعاني النفسية، لما في ألفاظه وتراكيبه من سحر وتأثير على نفسية المتلقين...كما استعنت بالمنهج الاستقرائي؛ لأنّ طبيعة مصطلح المثير الأسلوبي تتلوّن بحسب ما يراد منه.

قائمة المحتويات

الإهداء

شكر و عرفان وتقدير

ملخص

قائمة المحتويات

2..... مقدمة

الفصل الأول: المثير الأسلوبي بين الفهم والاستعمال

16..... مهاد تأسيسي

22..... المبحث الأول: مفهوم المثير الأسلوبي ومجالات دراسته

23..... 1- التعريف بالمثير الأسلوبي

23..... 1-1- لغة

26..... 2- اصطلاحا

29..... 2- ثنائيتة (القارئ والأثر الأسلوبي)

35..... 3- التحليل الأسلوبي

39..... 4- المثير الأسلوبي والمعاني النفسية

46..... المبحث الثاني: أشكال المثير الأسلوبي واستعمالاتها الدلالية والأسلوبية

47..... 1- الخرق

49..... 2- الغريب

53..... 3- المشكل

4- اللطيفة	56
5- بين العدول والانزياح	59
5-1 العدول	59
5-2 الانزياح	66
6- الالتفات	69
خلاصة	75

الفصل الثاني: علاقة المثير الأسلوبي بالدلالة الصرفية

توطئة.....	79
المبحث الأول: المنظور الدلالي للصناعة الصرفية	83
1- العلاقة بين الصيغة والمعنى.....	84
2- دلالة الصيغة الإفرادية	90
3- أهمية البناء الصرفي في تحديد الدلالة	93
4- دلالات الأفعال	96
4-1 الفعل الماضي	100
4-2 دلالة المضارع	100
4-3 - القيم التعبيرية المبني للمجهول في القرآن الكريم	102
المبحث الثاني: الأبعاد الدلالية للصيغ الصرفية	106
1- الخلافات الدلالية في توجيه بعض الأبنية الصرفية.....	107
1-1- الاشتراك بين المصدر واسم المكان	110
1-2- التساوي بين صيغتين مختلفتين أو أكثر	112

114	2- العدول بالصيغ
115	2-1- العدول السياقي بالصيغ.
117	2-2- العدول في المصادر
119	2-3- العدول إلى اسم الفاعل
122	2-4- العدول إلى اسم المفعول
124	2-5- العدول إلى الصفة المشبهة
127	2-6- العدول إلى المفرد
128	2-7- العدول عن (فَعَلَ) إلى (أَفْعَلَ)
130	2-8- العدول بين صيغتي ماضٍ
132	3- الالتفات في الصيغ
132	3-1- الالتفات في الأفعال
134	3-2- الالتفات في الضمائر
135	3-3- الالتفات في الأعداد
135	خلاصة

الفصل الثالث: القيم الدلالية لبعض الظواهر النحوية

140	توطئة
142	المبحث الأول: استقامة التركيب النحوي ودلالاته
143	1- دلالة الإعراب على المعاني
145	1-1 أثر الإعراب في المباحث الفقهية
148	1-2- الحركة الإعرابية

152	1-2-1- في تعدّد الحركات
159	2-2-1- في ثبوت الحركة.....
161	2-3- في التفريق بين الأمور المتشابهة.....
162	2- قيمة الوصف النحوي الدلالية.....
165	3- دقة النظم في الأسلوب القرآني
166	3-1- النظم وجاذبية النص
172	المبحث الثاني: التّجليات الدّلالية لظاهرتي: الحذف، والتّقديم والتّأخير.....
173	1- أسرار الحذف
177	1-1- حذف حرف.....
177	1-1-1- بقاء المعنى بعد حذف الحرف.....
179	1-2-1- المعنى بين حذف الحرف وذكره.....
181	2-1- حذف كلمة مفردة
181	2-1- حذف الفعل
182	2-2-1- حذف الفاعل
185	2-3- حذف المفعول به.....
186	2-4- حذف المبتدأ.....
187	2- بين التقديم والتأخير
188	2-1- تقديم المعمول على العامل
192	2-2- تقديم المسند إليه
193	2-3- خرق معيارية الترتيب

195	2-4- أشكال أخرى للتقديم
195	2-4-1- تقديم الفاضل على الأفضل
197	2-4-2- تقديم الأبلغ على البليغ
199	خلاصة

الفصل الرابع: دور السّياق في إظهار دلالة المثير الأسلوبي

204	توطئة.....
207	المبحث الأول: دلالة السّياق
208	1- العلاقة بين النص والسياق
216	2- السياق والنص القرآني
218	2-1- العلاقة بين نص السورة وسياقها
219	2-2- تمظهر السياق
220	3-النّظرية السّياقية
222	3-1- السياق والمعنى
224	3-2- علاقة القارئ بالنص
229	3-3- السّياق في منظور الأسلوبية
231	3-4- عنوان النّص في ضوء السياق
233	المبحث الثاني: نظرة العلماء لدور السّياق في بيان دلالة المثير من النّص القرآني
235	1- نظرة العلماء العرب للسياق
236	1-1- في اللغة والنحو
239	1-2- في التفسير

242	1-3- في البلاغة والنقد
244	2- الفصل والوصل
246	3- دلالة الحذف
249	4- دلالة العطف
253	5- المُشكّل اللغوي في منظور السياق
253	5-1- أسباب صرفية
254	5-2- أسباب تركيبية
257	5-3- أسباب بلاغية
260	6- أثر السياق في توجيه الإعراب
260	6-1- البناء والتجانس
261	6-2- زمن الخطاب
262	6-3- حال المخاطب واستصحاب الحال
264	7- دلالة الخبر والطلب
268	خلاصة
272	خاتمة
277	فهرس الآيات القرآنية
294	المصادر والمراجع

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، عليه نتوكل وبه نستعين، نحمده ونشكره كثيرا على نعمة القرآن الكريم إلى يوم الدين، ثم الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين، سيد الخلق الأميّ الأمين من أوتي جوامع الكلم المبعوث رحمة للأنام وعلى آله الطيّبين الأطهار وأصحابه الأبرار الأخيار أجمعين؛ عليه أفضل الصلّاة والسّلام. وبعد:

فلا يزال هذا القرآن على مرّ الدّهور مستمرّ العطاء، لا تتقضي عجائبه؛ وما زالت النفوس تتوق إلى التزوّد من الفيض القرآنيّ الذي لا تترك أسرار، ولا عجائبه؛ مهما تعاقبت عليه أفهام العلماء والباحثين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم - وهو ديدنهم على تعاقب العصور والأزمان - فاحتجّ به النحوي ونهل منه البلاغي، ونظر فيه المفسّر، وتأمل فيه الفقيه، وتوقّف عنده المتكلم، وأفاد منه المناظر والأديب، فوجد فيه كلهم مبتغاه وقصده وهو مع ذلك متجدّد المعاني، ولا يزال كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

نعم؛ فقد شكّل النصّ القرآني موضوع الدراسات اللغوية والدلالية والإعجازية، فهو الحجة والمعجزة، وهو المستهدف بالدراسة لانسجامه الدلالي وتماسكه اللغوي، وليبانه وبنائه ولمضمونه وتأثيره، إليه تصرف عنايات العلماء وجهودهم للنهل من معينه العذب، كونه مصدرا لغويا عظيما، وهو النصّ المحاط بحفظ الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر/09. ولأنّ اللّغة نظام من العلامات - على حدّ تعبير اللّسانيين - ينبغي فهمها بتحليل دلالات مفرداتها تراكيبا وسياقا. ومهما استوعبنا من مفرداتها، فإننا نعجز عن فهم نصوصها، ولا بدّ أن نفقه نظامها التركيبي بمختلف مستوياته.

لقد انكبَّ أساطين العلماء على دراسة آيات الكتاب العظيم، وكانت وسيلتهم في ذلك هي (المعنى) الذي يعدّ غاية العلوم اللغويّة، والوظيفة الرئيسة للغة، وهو قوام علم الدلالة والأساس الذي يبنى عليه، لذا تنوّعت ميادين علم الدلالة وفقاً لتنوّع ميادين العلوم اللغويّة التي يتعلّق بها من صوت وصرف ونحو وبلاغة، ولذا قالوا الدلالة الصوتيّة، والدلالة الصرفيّة، والدلالة النحويّة وهكذا، وهذه المباحث اللغويّة الدلاليّة غايتها الوصول إلى المعنى وتحديد به كونه الصلّة بين علم الدلالة والعلوم اللغويّة بشكل عام.

ولمّا كان للغة العربية صلة بالقرآن الكريم، وددت أن أقدم بحثي هذا إرساء لتلك الصلة، واستمرارية لها، وحبّاً في إجلاء معاني القرآن الكريم المندسّة في كتب التفسير، وذلك بإبراز أحد المعايير الأسلوبية التي يُعدّ النص القرآني منبعاً للتأصيل لها. فاستوقفتني أساليب التعبير في القرآن الكريم، ومثال ذلك في قوله ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ يوسف/30، فلمّ خاطب عزّ وجلّ النسوة خطاب المذكر؟ وما دلالة التذكير والتأنيث؟ وغيرها من الآيات التي تدعم هذا الطرح وتبرز أسلوب القرآن الفريد. فجاء هذا البحث موسوماً بـ:

مرتكزات القراءة الدلاليّة للمثير الأسلوبي في نماذج النص القرآني .

ذلك أن تميّز أسلوبه فرض على المهتمين بهذا النوع من الدراسات إيجاد آليات، ومفاتيح تلقي نصّه وخطابه من وجهة أسلوبية لغايات دلالية، ثمّ إنّ الدراسات الأسلوبية قامت على فهم دلالات القرآن، وارتكزت على الدلالة اللغوية بشكل خاص، وهي الدلالة المستقاة من صيغته الصرفية أو تراكيبه، أو سياقاته.

أهمية هذا البحث

تكمن أهمية هذا البحث في إثراء مجال الدراسات الدلالية والأسلوبية خاصة إذا ما عقدنا صلة ومزاوجة بين تراثنا اللغوي، وأهم الدراسات والاجتهادات التي جدت على الساحة العلمية والمعرفية.

فلما يغشي المعنى القرآني غموض، فإنه لا يتأتى إلّا بإمعان نظر، ورؤية في العناصر المكونة له، أو قد يصيب القاعدة اللغوية خلل فيأتي ذلك على المعنى أيضاً، ولكن النص القرآني نص مقدّس لا يأتيه الباطل، وهو يختصّ بحمله أسراراً، ألقت على أصحاب الدلالة والأسلوبية مهمة فكّ ما توارى من معاني نصّه، ودلالات خطابه.

وقد انصبّت أهمية البحث على علاقة المثير الأسلوبي بالدلالات اللغوية، والأثر الذي يخلفه عند إعمال القراءة الدلالية بمستوياتها المتعددة؛ بدءاً ببيان المعنى، وبلوغاً إلى الكشف عن مكنونه وعميق دلالاته، ثم ارتقاءً إلى بيان إعجازه وتفردّه الدلالي. ويعاضد هذا دراسة الأسلوب القرآني ومناحيه الدلالية، وخصائص سياقه النحوي والبياني.

أسباب اختيار الموضوع:

إنّ ما سبق هو السبب الأساس في اختيار الموضوع، وهو المشاركة في دراسة القرآن الكريم دراسة لغوية عموماً، ودلالية خصوصاً؛ لفهم ما تعلّق بدلالاته العميقة لإظهار معاني النص القرآني وبيان مقاصده، ويمثّل البحث من زاوية - المثير الأسلوبي - خدمة للقرآن الكريم ولغته الشريفة، وإسهاماً في إثراء المكتبة القرآنية بمثل هذا النوع من الدراسات، ويأتي تبعاً لهذا السبب ومتعاقباً معه بعض الأسباب التي كان لها أهميتها في اختيار الموضوع منها:

- جدّة الموضوع وحدائته في حدود دراسة علمية متخصصة في مجال البحث الدلالي الأسلوبي.
- إبراز دور المفسرين اللغويين القدماء وبعض المعاصرين منهم في تفسير ما غمض من القرآن الكريم، وأشكل فهمه؛ إذ يتبين أن تأخر المفسر لا يصرفه عن استعمال أدوات التفسير (فهم اللغة والأسلوب) والإبداع فيها.
- إن هذه الدراسة تسهم في إطلاع الباحثين على دور الخلفية اللغوية في فهم كتاب الله تعالى بعمق، وعلى قدر الملكة (تكامل المعارف اللغوية) تكون الدقة في اقتناص المعاني وترجيح الصواب من الوجوه المختلفة.
- أن هذا الموضوع يتيح للباحث الاطلاع على أمهات الكتب في مختلف الفنون لتشعب مناحي البحث الدلالي، وينبثق عن كل شعبة منه بحث يتوخى كشف أغوار دلالة القرآن الحكيم.

أهداف البحث:

أُتِطَّع لأن يحقق بحثي مبتغاه، بحيث:

- يسهم في قراءة ما خلفه العلماء قديما ويلقي بظلاله على الإسهامات المعاصرة، وقد حُبِّب هذا الأمر مزية كشف ما امتاز به هذا الكتاب من طاقة بيانية تتكشف كوامنها مع التفتيش والبحث، ابتغاء الأجر العظيم من الله تعالى بالتدبر في القرآن، وطلبا لمنزلة العلم، وابتغاء الدلالة على مقاصد القرآن ومراميه.

- إبراز القيمة الدلالية لهذا العنصر (المثير الأسلوبي) باختيار الشواهد القرآنية، وتحليل أسلوبها والكشف عن خفايا معانيها لاستنباط الأحكام الشرعية منه.
- إجلاء المعنى باعتباره الرّكيزة الرّئيسة التي تقوم عليها الدّراسات اللّغويّة، وهو ما ينبغي أن يسعى إليه كلّ باحثٍ في اللّغة، سواءً أكان ذلك في تراكيبها أم في ألفاظها. فلا عجب أن يكون القرآن الكريم موضع عناية المسلمين منذ القدم، فقد تتابعت أنواع التّأليف في أحكامه، وفي تفسيره، وفي بلاغته وفي لغته، وفي إعرابه وفي دلالاته.

الإشكالية:

لما كان عنوان الموضوع مثيرا في حدّ ذاته، زادت أعباء البحث على حدّة، فهو متشعب حقّا، لأنّه متّصل بعلم النّفس، ولأنّه يتّصل كثيرا بالنّص الأدبي خاصة في جمالية أسلوبه، ناهيك على أنّه مصطلح حديث النّشأة يستعصي تناوله في أوبين الحقول المعرفية والعلمية سابقة الذكر.

وارتأيت الكشف عن المثير الأسلوبي في خرقه للمعيار اللغوي تارة، وفي اضافائه غموضا على معنى لا نستسيغه إلّا بالتدبّر تارة أخرى، وفي تعلّقه بالقارئ المتلقّي للنّص اللغوي فينة؛ نظرا لاتّصال موضوع البحث بالدرس اللغوي الدلالي، والهدف من هذا كله دراسة المعنى في تراثنا على وجه التحديد، وكشف النقاب عن حركية هذا المصطلح في وقتنا الحاضر.

إنّ الاستجابة الآلية لأيّ نصّ تعني افتقاره إلى عنصر المثير الأسلوبي - كما يقول صلاح فضل- فهو سمّة أسلوبية يمكن اتخاذه في حقل الدلالة كوسيلة لتحقيق المعاني، بعد أن يفرض على المتلقّي أن يقف مستغربا بعض تراكيب القرآن الكريم وسياقاته، ومشدودا إليها، ومنه التأثير في نفسية المتلقّي. فالقرآن الحكيم مثير في أيّ جزء منه، بحيث لا يمكن إدراج كلّ الشّواهد بالنظر إلى

طبيعة البحث وخصوصيته، فاكتفيت بما يخدم بحثي. ثمّ ما يبدو مثيرا لأحد قد لا يبدو كذلك لآخر ولهذا السبب يختلف فهمه من لدن المتلقين كلّ واحد منهم من وجهته ومذهبه. ولهذا واعتمادا على ما افترضته أردت الإجابة عن إشكالية البحث وهي :

ما مدى اتّخاذ المثير الأسلوبي مطيّة لتحقيق قيم دلالية للنص القرآني ؟

ومركّزا على توضيح علاقة المثير الأسلوبي بالدلالة الصرفيّة، والدلالة النحويّة، وعلاقته بالسياق بعدما أعرج على تحديد مفهومه واستعمالاته.

وكانت هذه الإشكالية الموجه لسيرورة البحث ومنهجيته، وبدت لي الإجابة عنها في غاية الصعوبة خلال فترة البحث والتنقيب، ولكن مخاوفي أخذت تزول تدريجيا؛ لأنّ المثير الأسلوبي مصطلح موجود حقيقة في الساحة العلمية، وتمّ تناول أشكال منه في الدراسات القرآنية كتفسير الغريب، وتأويل مشكل القرآن، وبيان إعرابه، وبعض التفاسير اللغوية كتفسير الكشاف، ومفاتيح الغيب... فتفقيت آثار بعض اللغويين، ثم استعنت بم توصّل إليه المحدثون في دراساتهم. فكان همّي الوحيد، أن أنهل من هذا الزخم المعرفي والعلمي، وأعرف منه ما يخدم بحثي متوخيا غاية علمية بالإجابة عن محتوى الإشكالية المطروحة .

الدراسات السابقة:

تتأثرت بعض نماذج هذا البحث في مواضع متفرقة من كتب التراث العربي. فمصادر القدماء قيمة غزيرة المادّة حتّى أنّي احترت في اختيار ما سأعتمده منها من عدم ذلك، لا سيّما كتب تفسير القرآن وإعرابه فهي كثيرة ومتنوّعة، أفادت في رقد البحث من جوانب مختلفة، وأهمّ هذه المصادر كتب تفسير القرآن الكريم على اختلاف أنواعها، وكتب معاني القرآن، والمعجمات اللغويّة

وكتب علوم القرآن، وكتب اللغة والنحو والصرف، وكتب إعراب القرآن، وكتب البلاغة. على خلاف المراجع الحديثة، التي اخترت بعضها متعمداً باعتبار تقارب وجهات النظر لدى أصحابها، ووضوح مقاصدهم، ولا سيما كتب علم الدلالة، وعلم الأسلوب، وعلم النصّ، وحتى أصول الفقه.

وقد أفادت المقاربات التراثية الرائعة لهذه النماذج عند كلٍّ من الزمخشري، والفخر الرازي والألوسي، وابن عاشور على وجه الخصوص. فاحتلت علوم الدلالة اللغوية وأدواتها منزلة من أرفع المنازل عند المفسرين، فهي التي تستبطن أسرار القرآن الكريم وتسبر أغوار معانيه، ومن العجيب أن البحث الدلالي في القرآن الكريم لم يتوقف عند حدّ بحث يكرّر اللاحق السابق، فلو تمثّلنا كتابي عبد القاهر الجرجاني في وقته؛ لما رجونا أن يأتي من بعده بشيء يزيد على ما أتى به لعظم الملكة التي تمتع بها، وشمولية الإحاطة مع دقّة السبر، ولكن لما كان الأمر متعلقاً بكتاب الله تعالى؛ فقد وجدت من بعده كالزمخشري يأتي بأضعاف ما أتى به، وكذلك فعل من بعد الزمخشري بالنسبة إليه، وهكذا دواليك جيلاً من بعد جيل عبر.

وفي العصر الحديث حاولت بعض الدراسات لمّ شتات الموضوع وتأطيره، ولكن هذا الجهد ظلّ متعثراً في سبيل تحقيق هذه الغاية؛ ذلك لأنّ الجهد المبذول تنازعت المذهبية نتيجة اختلاف المناهل اللغوية التي يردها أصحابها؛ ممّا سبب قصوراً في تناول الموضوع الأمر الذي شجّعني على تناوله ومحاولة استيعابه في بحث خاصّ به .

لقد احتلت قضية الإعجاز القرآني أهمية من حيث أثر الدلالة بعناصرها المختلفة في تشكيلها عند الطاهر بن عاشور على سبيل الذكر، بتركيزه على الإعجاز الدلالي الذي يعتمد البيان القرآني قاعدة راسخة، وأساساً ينطلق منه بيان طرائق هذا الإعجاز مستخدماً الوسائل الدلالية المتعددة لإثبات أعلى درجات الإعجاز لهذا الكتاب العظيم.

ومن أهم الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية للدكتور حسن طبل؛ الذي حلّ ظاهرة الالتفات في ضوء معطيات علم الأسلوب محاولاً الكشف عن وجوه التشابه والتلاقي بين تلك الظاهرة كما تحدّدت ملامحها الأصلية في التراث البلاغي والظاهرة الأسلوبية من وجهة نظر علم الأسلوب. فعرض ستّ صور للالتفات تشتمل على نماذج تمثيلية .

أمّا الدكتور عبد الحميد هنداي في كتابه الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم – دراسة نظرية تطبيقية : التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة؛ لم يقتصر على القرآن الكريم وحده. فتناول مصطلح العدول، وعدّه أساساً في توظيف الصيغة الصرفية توظيفاً بلاغياً، كالعدول إلى اسم الفاعل والصفة المشبّهة واسم المفعول ... إلخ.

أمّا الدكتور فاضل السامرائي في كتبه؛ يتناول نماذج من العدول في صيغ المشتقات ويمكن ضمّها تحت مسمّى العدول عن صيغة إلى أخرى خاصّة حين ترد الصيغتان في سياق واحد. وممّا جاد به: الذكر والحذف: وفيه يدرس دلالة ورود الكلمة مرّة تامّة غير منقوصة وورودها مرّة أخرى ناقصة محذوفاً بعض حروفها. وعن المبني للمجهول يتناول بالبحث دلالة مجيء الصيغة مرّة مبنية للمعلوم ومرّة مبنية للمجهول.

خطة البحث:

ارتأيت أن أخصّ موضوع البحث بهذه الخطة العامة، فوضعت له : مقدّمة وأربعة فصول وخاتمة، وكان محتوى كل منها ما يلي :

مقدمة. فقد حدّدت فيها موضوع المذكرة وطبيعته، وتناولت تفصيل أهميته المميزة وغايته المرجوة، وأبرزت إشكالية هذا الطرح، والمشتمل على مجموعة تساؤلات، ثم سميت المنهج المتخذ

للدّراسة (الوصفي التحليلي ، النفسي)، وكشفت عن بيان موجز للخطّة المعتمدة، وذكرت بعض الكتب الهامة التي خصّت القرآن الكريم بالدّراسة اللّغوية والدّلالية .

الفصل الأول : المثير الأسلوبي بين الفهم والاستعمال ؛ وتناولت فيه مبحثين :

الأول: مفهوم المثير الأسلوبي ومجالاته، بحيث كشفت عن تعريفه اللّغوي، ومفهومه الاصطلاحي ومجالات الدّراسة الأسلوبية له، مثل علاقة الأثر الأسلوبي بالقارئ، وأهميته في التحليل الأسلوبي وكذلك في علاقة هذا المثير بالمعاني النفسية.

أمّا الآخر: أشكال المثير الأسلوبي واستعمالاتها، والغرض منه محاولة الوقوف عن بعض المصطلحات التي يراها الأسلوبيون والنقاد تأخذ شكله، كخرق المعيار اللّغوي، وكغموض اللفظ أو التركيب ولعلّ أهمّ هذه المصطلحات هي: المشكل، الغريب، اللّطيفة، العدول، الانزياح، والالتفات وهذا كلّ بالإجابة عن سؤال جوهري هو : ما المقصود بالمثير الأسلوبي؟

الفصل الثاني: علاقة المثير الأسلوبي بالدّلالة الصّرفيّة. وفيه مبحثان:

الأول: المنظور الدّلاليّ للصّناعة الصّرفيّة، وفيه أُنبت عن العلاقة التي تربط الصّيغة بالمعنى زيادة على دلالتها الإفرادية، ثم كشفت عن أهمية البناء الصّرفي من خلال التّغيير الحاصل في وزنه الذي تتغيّر معه الدّلالة وهو حينذاك أحد وجوه المثير الأسلوبي.

أمّا الآخر: الأبعاد الدّلالية للصّيغ الصّرفيّة، وكان العدول بالصّيغ أهمّ محطّة تطبيقية، ففيه بعض السّمات الأسلوبية شأنه في ذلك شأن الالتفات.

الفصل الثالث : القيم الدّلالية لبعض الظواهر النّحويّة. وفيه:

المبحث الأول: استقامة التركيب النحوي ودلالاته. ذلك أن بعض القضايا النحوية فيها ما يحقق قيمة المثير الأسلوبي، وهذا الذي وقفت عليه في دلالة الإعراب ، سواء بتعدد الحركات أو ثبوتها، وقد وقف كثير من العلماء عند ما يسمى بالوصف النحوي، بإجلاء علاقة النحو بالدلالة، ثم كان لدقة النظم ميزة أسلوبية في القرآن.

أما الآخر: التجليات الدلالية لظاهرتي الحذف والتقديم والتأخير. أما الحذف ففيه أسرار، وهو فن عظيم وأشبه بالسحر في اللغة، ولذلك نال سمة اللطيفة الأسلوبية، والشأن نفسه بالنسبة لقيمة التقديم والتأخير ومزيتهما البلاغية والجمالية.

الفصل الرابع : دور السياق في إظهار دلالة المثير الأسلوبي، ويتناول مبحثين كذلك :

الأول: دلالة السياق، وتوحيّت إجلاء العلاقة بين النص والسياق عموماً خاصة النص القرآني وكشفت عن قيمة النظرية السياقية في منظور الحداثيين، ونظرة علمائنا الأجلاء للسياق في تراثنا اللغوي الزاخر .

أما الآخر: دور السياق في بيان دلالة النص القرآني؛ وفيه خصّصت البحث - من جديد - بدراسة دقيقة لبعض المباحث النحوية كالحذف والعطف، وبعض المباحث البلاغية كالتورية والتضمنين، كل هذا في رحاب السياق، ناهيك عن أثر السياق في توجيه دلالة الإعراب بشكل خاص.

وكان القصد من الفصل الثاني، والثالث، والرابع كشف وتحقيق العلاقة التي تربط المثير الأسلوبي بالنحو والصرف، والسياق، وما ينجرّ عنها من دلالات، وهي جوهر هذا البحث.

ثم أتيت إلى خاتمة فجعلتها في شكل خلاصة جمعت فيها أبرز ما تناولته في هذه الأطروحة على شكل نتائج تتلاقى وتصبّ في مجرى القراءة الدلالية للمثير الأسلوبي.

منهج البحث:

فرضت الإجابة على فحوى الإشكالية المطروحة؛ اتخاذ المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على إظهار اللّمسات الفنيّة والأسرار الدلاليّة التي تميّز التّركيب القرآني، وإظهار مقوماته في مستويات الدّلالة، وهو المنهج المناسب لمثل هذه البحوث خاصة في تفسير النصوص، وتخريج الدلالات، وأردت به وصف ظاهرة المثير الأسلوبي حيثما وجدت وألقت بظلالها.

كما أنّ هذا المنهج يهدف إلى وصف خصائص وأبعاد هذه الظاهرة ثمّ رصدها في النّص القرآني؛ لما يتوفر عليه من شواهد ممثلة له. فتناولتها بالتحليل كتطبيق فيه للوصول إلى فهم كلّ ما له صلة بالمعنى، ومن ثمّ استخلاص نتائج يمكن استثمارها لاحقاً.

واضطرتت لأستعين بالمنهج النفسي الذي لم يكن مقرراً في البداية؛ إلّا أنّ في العنوان ما يدعو إليه - سيميائية العنوان - ولتعلّق المثير بالمعاني النفسية ، لما في ألفاظه وتراكيبه من سحر وتأثير على نفسية المتلقين.

إلى جانب ذلك، فإنّ هذا البحث يستعين في الفصل بالمنهج الاستقرائي الذي يقوم على دراسة وقائع جزئية للوصول إلى نتيجة كليّة تعبّر عن تلك الدّراسة، بعيداً عن إصدار أيّ قانون أو معيار حتميّ يُعتمد عليه فيما بعد؛ لأنّ طبيعة مصطلح المثير الأسلوبي تتلّون بحسب ما يراد منه.

صعوبات البحث:

لا يسعني إلا أن أقرّ بأنّ البحث في كتاب الله لا يخلو من الصعوبات، ولعلّ أهم عائق اعترضني هو صعوبة عقد الصلّة بين المثير الأسلوبي وكتب الدلالة، نظرا لندرة المراجع التي تؤصل لذلك إلّا ما تمّ تناوله من خلال الأشكال التي يمكن أن يتلبّس بها المثير الأسلوبي كالعدول والمشكّل وغيرهما. ورغم كثرة هذه المصادر غير أنّها لم تحدّد مفهوما دقيقا للمثير الاسلوبي، أ في القاعدة التركيبية ؟ أم في اللفظ ؟ أم في غيرهما؟

ورغم وفرة المصادر التي تناولت القرآن الكريم بالدراسة والتحليل، وبرغم اهتمامات الدارسين والمختصين بالقرآن في مراجعهم القيّمة؛ إلّا أن ما تناول موضوع بحثي، وطرق هذه القضية قليل محدود، ولهذا السبب كان اختياري مقصودا لبعضها ككتب إعراب القرآن وبيانه وما يصبّ في مجراه بالتأمل والتدبّر.

وختاما أحمد الله تعالى وأشكره على توفيقه لي ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾
النمل/19. ثم أشكر أستاذي الدكتور عمّار ساسي على ثقته المفرطة في شخصي جزيل الشكر، وقد أحاطني بتوجيهاته النيرة، وإشارات المعرفية القيّمة، وصبره على كثرة التساؤلات برغم شواغله الكثيرة داخل وخارج الوطن وفي أغلب الأوقات، ولولاه لما استقام هذا البحث.

هذا بحث متواضع، وحسبي أنّه حصيلة جهد طويل بذلته في ظروف عويصة جدا من حياتي، وأمنيّتي أن يتبوأ بحثي منزلة العطاء ويدرك الأمل المأمول، ولعلّه يكون لي سلّماً آمناً أرثقي به فإن كان كذلك، فإنّه فضلٌ يؤتيه الله من يشاء. فحسبي أنّ طالب العلم يخطئ ويصيب،

وَأَنَّ هَذَا مَبْلَغُ عِلْمٍ. وَنَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَرْزُقَنَا السَّدَادَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا
فَإِنْ وُقِفَتْ فَذَلِكَ مَا أَصْبُو إِلَيْهِ وَهُوَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ لَحِقَ بَحْثِي نَقْصٌ أَوْ تَقْصِيرٌ فَهُوَ مِنْ نَفْسِي
وَحَسْبِي كُلُّهُ الْجَاهِدُ وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ.

الطالب: محمد بشيرباي

جامعة علي لونيبي البليدة2

5 شعبان 1436هـ/25 ماي 2015 م

الفصل الأول

المثير الأسلوبي بين الفهم والاستعمال.

مهاده تأسيسى:

يشهد العالم المعرفى تطورا مهىلا فى جهازه النظرى والمنهجى والاصطلاحى، إذ لا تزال الحركة العلمىة تضغط بإفرازاتها المتلاحقة بسبب الانفجار المعرفى الذى اتسعت له حىاة الناس فى كل أبعادها. وأصبح - فى هذا الواقع - للغة وعلماؤها دور فى التّخفيف من أثر هذا الضغط بتحديد الصّلات بين التصورات المستجدة وما يقابلها من ألفاظ، أو مصطلحات تتاسب الاجتهاد ضمن القوانين الإجرائىة على غير الطرق المعروفة بنمطها المتجاوز التى لم تعد تسائر وتيرة الحركة. فرافق هذا التطور كثر من المفاهيم والمستحدثات التى تحتاج الى أسماء تعرف بها « ولهذا طور العلماء المتخصّصون واللّغويون والمعجميون والمناطقة علما جديدا أطلق عليه اسم "المصطلحية" (علم المصطلح) La terminologie الذى يمكن تعريفه بالعلم الذى يبحث فى العلاقة بين المفاهيم العلمىة، والمصطلحات التى تعبر عنها»¹. ولذلك يتطلب البحث فى مفهوم (المصطلح) Le terme ضبطه بتحديد تعريفه اللغوى من خلال المعاجم، وما اتفق عليه الدارسون المختصون اصطلاحا.

وقد ورد عن العرب استخدام لفظ مصطلح إلى جانب استخدام لفظ اصطلاح، ثم تناول كثر من الدارسين المحدثين موضوع تعريف المصطلح، وعلى الرغم مما يبدو من اختلاف ظاهر فى ألفاظ التعريف إلا أنها كلها تؤدى مدلولاً واحداً، فيطلق عليه (اللفظ أو الرمز اللغوى) للدلالة على مفهوم ما ذى طبيعة خاصة. أو يطلق عليه (العرف الخاص)؛ وهو ما اتفقت عليه جماعة واضعيه².

1 - على القاسمى، مقدمة فى علم المصطلح، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرىة، 1987، ص17.

2 - غانم حنجر، القيم الأدبية فى نصوص التفسير، دكتوراه- مخطوط- جامعة الجزائر 1، 2009، ص12.

كما يُعدّ المصطلح في الاعتقاد الحضاري قيمة* مضافة لمعاني العلم والفكر والمنهج، فهو كائن لغوي رمزي، وضع ارتباطاً¹؛ ولا بدّ فيه من وجود مناسبة، أو مشاركة، أو مشابهة كبيرة كانت أو صغيرة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي لدى جماعة مخصوصة على أمر خاصّ إلاّ أنّ « هذا الوضع يحتاج إلى إيضاح يحدد مجال استعمال الرمز، ومعناه وقيّمته حتى لا يتوه القارئ عند التطبيق، ويفقد الاصطلاح جدواه »².

وما قيمة مصطلح المثير الأسلوبي كفهم واستعمال؛ إلّا إحدى القضايا التي حملها الدارسون المحدثون على عاتقهم محمل الجدّ، واتفق جلّهم على أسبقية ميشال ريفاتير في ذكر هذا المصطلح تنظيراً وتطبيقاً، حتى وإن ربطه بالقراءة والتلقي في علم النص. ودفعاً للتخوّف من الوقوع في الاختلاف المريب، أو التناقض المقصود قرّر علماء الأصول قاعدة منهجية في الاصطلاح؛ دراية منهم أن المعنى الاصطلاحي عرف خاص، وإنه ثمرة اتفاق طائفة مخصوصة، ولا يخرج أمر هذا

* - القيمة لفظ رحب الاستعمال. شاع القول به في حقول المعرفة، وإن ارتباطها بالفنون ظل ارتباطاً جمالياً لكون القيمة موجوداً جمالياً تتجلى في حياتنا، وتمنحنا فرصة الحكم عليها. ولما كان الحكم حاصلًا بفعل اللغة فجدير بنا أن نعرف دلالتها في حقول اللغة من خلال ما نطق به معاجمنا. يقول ابن منظور « القيمة واحدة القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. والقيمة ثمن الشيء بالتقويم... والاستقامة: التقويم. لقول أهل مكة: استقمت المتاع. أي قومته. وفي الحديث قالوا: يا رسول الله لو قومت لنا. فقال: الله هو المقوم - أي لو سعرت لنا - وهو من قيمة الشيء، أي حددت لنا قيمته ». ابن منظور لسان العرب، 2003، ج 402/15. ومن هنا صار لكل شيء في حياة الناس قيمة وثمان سواء كان ذلك الشيء حقيقياً مادياً أم اعتبارياً معنوياً. ولنا أن نتساءل حيال البحث: ما قيمة المثير الأسلوبي الدلالية؟

- 1- ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، المغرب، إفريقيا الشروق، 2002، ص 11-12. وعوض محمد القوزي، المصطلح النحوي. د م ج. الجزائر. 1983، ص 23.
- 2 - إدريس الناظوري، المصطلح النقدي في نقد الشعر، ط2، طرابلس- ليبيا-، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، 1984، ص 10.

الاختصاص عن «سياق النظام اللغوي، ومن ثم فهو مواضعة مضاعفة إذ يتحوّل إلى اصطلاح داخل الاصطلاح مادامت اللغة صورة للمواضعة الجماعية»¹.

ولهذا كان من اللازم دائماً التفريق بين مختلف الألفاظ، والتمييز بين مختلف المعاني؛ لأنّ المعنى الاصطلاحي يختلف عن المعنى المعجمي، فإذا كان الأوّل معنى استعمالياً قبل كل شيء فإنّ المعنى الثاني يحتمل في معظم حالاته أكثر من وجهة وصفة، هي صفة العموم²، فاستقرّت البحوث المنهجية ابتداء على مسألة رفع التوهّم لحظة التّأصيل للفظ، وأمّلت على الباحث الاهتمام بالدلالة اللغوية قبل التفكير في الدلالة الاصطلاحية؛ لأنّ في استقلال الدالتين ضماناً للتواصل والتّقريب بين المتعاملين.

وهو إجراء ينبغي التّأكيد عليه، وبخاصّة إذا ما كان المصطلح أصيلاً نابعا من لغة القوم لأنّ الضرر كل الضرر لما يحيد الدارس أو يتغاضى عن النواميس التي تضمن للمصطلح العلمي خصوصيته المعرفية الدقيقة. ولو أن واقع الاستعمال في مضمار الاصطلاح الحداثي اليوم قد صعد من أزمة المصطلح أمام القارئ العربي...فليس بالأمر الهين كما أشرت إليه أعلاه، وكما هو متداول ومتعارف عليه، أن يتفق الدارسون على تعريف دقيق لمصطلح من المصطلحات، وبخاصّة إذا تعلّق الأمر بالمفاهيم حديثة الظهور والاستعمال كما هو الحال مع مصطلح المثير، ولم أجد في تراثنا اللغوي العربي ما يطابق أو يوافق لا من بعيد أو لا من قريب هذا المصطلح، رغم ما يذكر من أنّ اللغويين العرب القدماء تفتّنوا تطبيقاً وممارسةً في وقت مبكر إلى الكثير من المصطلحات. ويكون الأشد خطراً؛ ما يحصل بفعل الاقتراض غير الواعي «فالحداثي العربي يفتقر إلى فلسفة خاصة به عن الحياة، والوجود، والذات والمعرفة. فهو يستعير المفاهيم النهائية لدى الآخرين

1- عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر، تونس، د ت، ص14.

2- إدريس الناظوري، المصطلح النقدي في نقد الشعر، ص10.

ويقتبس من المدارس الفكرية الغربية، ويحاول في جهد توفيقى بالدرجة الأولى تقديم نسخة عربية خاصة به. إنها كلها عمليات اقتباس ونقل وترقيع وتوفيق. لا ترتبط بواقع ثقافي أصيل. ومن هنا تجئ الصورة النهائية مليئة بالثقوب والتناقضات»¹.

والموضوعية العلمية تقتضي ألا نجعل الحداثيين في سلة واحدة. فليس يعقل أن تتسحب على جميعهم هذه الصفات؛ بل نستطيع القول على سبيل الحصر أن محمد عابد الجابري، وعبد المالك مرتاض، وعبد السلام المسدي، وصلاح فضل، هم من بين الذين حققوا التوفيق بوعي حضاري من خلال تقبله - المصطلح - ما يتماشى وأصول هوية الأمة. فكان مثله كمثل آلة التقطير لا تسمح إلا بمرور ما يخدم الغرض. فالأجدر استنهاض المفاهيم المحلية، لتكون المعبر الأصلي عن التوجه الحضاري للأمة².

ومع ذلك فإننا نمتلك رصيда زاخرا، وتقاليد علمية رصينة في مجال البحث العلمي تشكل في تاريخنا الحضاري ثقافة اصطلاحية لا منازعة فيها. ويكفي أن تنشأ في البدء من ذاك التاريخ علوم المصطلح في سائر الفنون - في القراءات والشرعيات والطبيعيات والإنسانيات... - على وقع ما كان يصدره العارفون بمثل هذه المسائل من دعوات صريحة تكفل لأهل الاختصاص الحق في اختراع واستنباط الأسماء للمسميات كل في مجال صناعته.

فواضح أن غايات المصطلح هي غايات اللغة ذاتها عند كل قوم. وإن المعاني الجديدة لا بدّ لها من ارتجال لما يقابلها من أسماء تأخذ صفة المواضعة؛ ولو بصفة فردية «ومع ما قدمته فإنني لما كنت آخذا في استنباط معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها، وقد فعلت ذلك. والأسماء لا منازعة فيها إذ

1- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998، ص 63.

2- غانم حنجار، القيم الأدبية في نصوص التفسير، ص 13.

كانت علامات. فإن قنع بما وضعته، وإلا فليخترع لها كل من أبى ما وضعته منها ما أحب، فليس ينازع في ذلك»¹، وفي هذا وعي بضرورة استحداث المصطلح للتعبير عن هوية المعاني المستجدة إلا أن الخشية تكمن في كونه يجعل من أمر المصطلح قضية فردية تتجاوز المواضعة والإجماع؛ مما ينافي التقاليد العلمية.

إنّ المصطلح مظهر حضاري ذو بعد علمي يقتضيه منهج العمل في كل حركة وجهتها - بالضرورة - المعرفة المتخصصة، ولاسيما إذا كان لهذه المعرفة من الدلالة ما يجعلها صناعة جمالية، تتسع أحيازها لمفاهيم: المثير الاسلوبي وأشكاله - الواردة في المبحث الثاني من هذا الفصل - وكذلك مفاهيم: النص والسياق والمتلقي وغيرها من المفاهيم.

وعليه؛ فإنّ البحث في أيّ مصطلح يتطلب تطبيق مبادئ وأساليب متفق عليها، وذلك لضمان وحدة المنهجية والنتائج في علم المصطلح، أي ما يجعل له قيمته الدلالية التي يتميز بها، ولذا «... تعتمد هذه المبادئ والأساليب مبادئ علم المصطلح على المستوى النظري وعلى مستوى العمل الميداني المصطلحي»².

ولعلّ الاضطراب الحاصل في توحيد المصطلح نتج عن الإشكالات التي سببت ارتباكاً له، ومنه ظهرت إشكاليات المصطلح في الموروث النقدي والبلاغي والدلالي، وفي أصوله الغربية المترجمة، بالإضافة إلى صراع المناهج والمفاهيم والنظريات، ويرجع إلى «...التباين الناشئ حالياً بين المشاركة والمغاربة، مما أفرز إشكالية تعدد المصطلحات التي تؤدي الدلالة نفسها؛ وهذا راجع لعشوائية في النشاط الترجمي بالخصوص»³.

1- قدامة بن جعفر نقلاً عن عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، ص10.

2- في المصطلح العربي، علي توفيق الحمد، www.actap.planet.com

3- صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللغة العربية، د ط، الجزائر، دار الهدى، 1999، ص05.

وارتأيت تقديم مصطلح المثير الأسلوبي على نحو يبرّر تعريفه اللغوي والاصطلاحي، وهو نقطة انطلاق لمعرفة مجالات تطبيقه في ضوء علمي الدلالة والأسلوبية، ومحاولة استجلاء بعض المصطلحات بمعرفة مفاهيمها وما توحى إليه، ومقابلتها بمفهوم المثير الأسلوبي .

المبحث الأول

مفهوم المثير الأسلوبي ومجالات دراسته.

- 1- التعريف بالمثير الأسلوبي.
- 2- القارئ والأثر الأسلوبي.
- 3- التحليل الأسلوبي.
- 4- بين المثير الأسلوبي والمعاني النفسية.

1- التعريف بالمثير الأسلوبي:

1-1- لغة: جاء في معجم لسان العرب في مادة (ثور) ما نصّه: «...وأثار التراب بقوائمه إثارة:

بحثه؛ قال: يُثِيرُ ويُذْري تُرْبَهَا ويُهَيِّئُهَا إثارة نَبَّاثِ الهَوَاجِرِ مُخْمَسٍ»¹، فالمراد بأثار إذا

(بحث)؛ وتقدير المثير يتحدّد بمعنى (الباحث) الذي يفتّش ويبحث عن شيء مفقود.

وذكر ابن منظور كذلك «...ويقال: مررت بثيرة لجماعة الثور. ويقال: هذه ثيرة مثيرة أي

تثير الأرض. قال تعالى: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَمَّا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾²؛ أرض مثارة إذا أثّرت بالسّن وهي

الحديدة التي تحرث بها الأرض، وأثار الأرض: قلبها على الحب بعدما فتحت مرة، وقال تعالى:

﴿...وَأَثَرُوا الْأَرْضَ...﴾³؛ أي حرثوها وزرعوها...⁴. فيمكن ضبط تعريف مصطلح المثير

بالمعنى اللغوي التالي: الذي يبحث ويقلب في الشيء بغية تحقيق فائدة منه حتى يتسنى له ذلك.

والجدير بالذكر أننا نبحث في مفهوم المثير الأسلوبي؛ أي أن ننسب المثير للأسلوب؛ وإذا كان

المراد بالأسلوب لغة «... ويقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، ويقال

الأسلوب هو الطريق، والوجهة، والمذهب، ويقال: أنتم في أسلوب سوء...ويقال: أخذ فلان في

أساليب من القول أي أفانين منه «⁵؛ فإنّ مفهوم المثير الأسلوبي يتحدّد بمعنى البحث والتقليب في

الطريق والمذهب، وفي فن القول والكلام؛ أي: الاستقامة والامتداد والفن.

ويعدّ حازم القرطاجني (ت684هـ) من العلماء الذين استوقفهم مصطلح الأسلوب. فيقول:

« لما كانت الأغراض الشعرية يوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد، وكانت

1- ابن منظور، لسان العرب، ط1، تح: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت-لبنان-، دار الكتب العلمية(منشورات محمد علي بيضون)، 2003/1424، ج4/129.

2- البقرة/71.

3- الروم/09.

4- المصدر نفسه، ج4/129-130.

5- المصدر نفسه، ج2/178.

لنتلك المعاني جهات فيها توجد، ومسائل منها تقتنى كجهة وصف المحبوب، وجهة وصف الخيال وجهة وصف الطول.... وكانت تحصل للنفس بالاستمرار على تلك الجهات، والنقلة من بعضها إلى بعض، وبكيفية الاطراد في المعاني صورة وهيئة تسمى الأسلوب، وجب أن تكون نسبة الأسلوب إلى المعاني نسبة النظم إلى الألفاظ. لأن الأسلوب يحصل عن كيفية الاستمرار في أوصاف جهة من جهات غرض القول»¹، فحاول التقرب منه بحسّ نقدي خلع وقعه على الدراسات اللاحقة، بما في ذلك الدراسات الأسلوبية الحديثة والمعاصرة.

وتتحقق قيمة الأسلوب من حيث ارتباط هذه القيمة بأهم مركبات الفن الكلامي، ولئن كان البحث في ماهيته، ووظيفته قد ظهر في باكورة الدرس البلاغي والنقدي، كما أن لعلماء اللغة فضلاً في تأصيل مادته المعجمية على اعتبار أن الدراسات اللغوية قد نضجت في أوان سابق للدرس البلاغي والنقدي. فهو في كلّ الحالات « فعالية تركيبية توحد اللفظ والمعنى داخل كلام يستوعب النص بكامله، رغم تعدّد أغراضه وموضوعاته »².

أمّا معنى الأسلوب في الاصطلاح فيقترب من مفهومه اللغوي، وينصبّ « على الطريقة الخاصة في ترتيب المعاني، وما تحويه هذه الطريقة من إمكانات نحويّة تميّز ضرباً عن ضرب، وأسلوباً عن أسلوب »³.

وقد عرف (الأسلوب) في الدراسات اللغويّة لدى القدماء- بوجه خاص- في مباحث الإعجاز القرآنيّ التي استدعت من الذين تعرّضوا له أن يتوقّفوا عند مدلول هذه اللفظة في بحوثهم الخاصة في بيان أسلوب القرآن وتمييزه من غيره من أساليب العرب، متّخذين

1- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط2، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ص363.

2- محمد إقبال عروي، أطراوات أسلوبية في الخطاب القرآني، ط1، دار الآمال. 1996، ص14.

3- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، د ط، مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص25 .

ذلك وسيلة في إثبات الإعجاز¹، فمن هؤلاء الأفاضل - أصحاب السبق والفضل ابن قتيبة الذي قال في حديثه عن فضل القرآن: « إِنَّمَا يَعْرِفُ فَضْلَ الْقُرْآنِ مَنْ كَثُرَ نَظَرُهُ، وَاتَّسَعَ عِلْمُهُ، وَفُهِمَ مَذَاهِبُ الْعَرَبِ وَافْتَتَنَهَا فِي الْأَسَالِيبِ »². فأراد بالأساليب: طرائق القول؛ وهو ذكرته آنفاً.

أمّا الأسلوب لدى المحدثين ، فقد عرض له غير واحد منهم*، وهناك من خصّص كتاباً بأكمله مستفيضاً فيه سمّاه (الأسلوب)، حاول الوقوف فيه بالتحليل عند ماهيته وتعريفاته وأنواعه وأدواته، وأجمع هؤلاء على أنّ الأسلوب هو الطريقة أو المذهب أو الوجه الذي تصاغ به الألفاظ والعبارات، وكيفية التعبير عنها ونظمها في الكلام .

وقد اعتاد الباحثون المحدثون في علمي النحو والبلاغة على اختلاف مشاربهم الفكرية على تسمية المعاني التي يخرج إليها المعنى الأصلي من ألفاظ الأمر والاستفهام والنداء وغير ذلك من المعاني بـ (الأساليب)، إذ قالوا : أسلوب الطلب ، أو أسلوب النداء، أو أسلوب النهي أو الأم، وغيرها. وليس شأننا في هذا البحث أن نتطرق لهذا النوع؛ بل أن نحكي ما شغل ألباب القدماء؛ وشكل لديهم جوهر الدراسة وغاية مقاصدهم؛ لكشف ما انطوت عليه آيات الذكر الحكيم من أسرار أرفقت أذهانهم- وهو النوع الثاني المقصود بالدراسة في هذا الصدد - فأعدّوا له كلّ وسائلهم اللغوية المشروعة فعبروا عنه بمصطلح آخر وهو (معاني الكلام).

ولسعة هذه المعاني التي لا تتحدّد دلالتها إلّا من خلال معرفة السياق الذي وردت فيه داخل التركيب، ولكون الاختلاف في معاني هذين النوعين من الكلام ناتجاً عن استعمال عدّة طرائق في

1- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص13 .

2- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، ط3، بيروت، المكتبة العلمية، 1981م، ص12.

* أذكر منها: الأسلوب لأحمد الشايب، علم الأسلوب لصالح فضل، الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي، ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والاسلوبية، ص102.

إظهار هذه المعاني، واتّصال علم المعاني لديهم « بدراسة الأسلوب من حيث ما يعرض للجملة»¹ ذلك أنّ اختلاف الأساليب وأفانين التعبير مسخّرة للإبانة عن المعنى وتقديمه إلى السامع في أحسن صورة من اللفظ. وأنّ علم المعاني يعني بدراسة أساليب التعبير في صورها المتنوّعة وأحوالها المتعدّدة، كما سنلاحظ في أساليب القرآن ودلالات آياته. وهو ما سأحاول إجلّاه في تبيان مفهوم المثير الأسلوبي الاصطلاحي - كمركبّ وصفي - الذي يقرّره المختصون في حقل الدلالة والأسلوبية.

1-2- اصطلاحاً: نال المثير الأسلوبي اهتماماً وافراً من لدن أهل الأسلوبية والنقد المحدثين فهذا ميكائيل ريفاتير (Michael Riffaterre) (2006/1924) قد ركّز على جملة من القضايا الهامة، وتكلم على عدد من الظواهر الأسلوبية البارزة في النص، ولفت إلى الجمل التي تستوقفنا كقرّاء وتلفت انتباهنا، معتبراً أنّ الأسلوب يعدّ إبداعاً من المنشئ وإرجاعاً من المتلقي ، فالمبدع يسعى للفت انتباه المخاطب والوسيلة هي شفرات تستوجب كشفاً من القارئ.

إنّ ريفاتير ينسب المثير الأسلوبي إلى (عنصر المفاجأة) من خلال المنبّه الأسلوبي (Stimulus) «...فكيفما كان مرتكز أحكام القيمة عند القارئ؛ فإنّها تأتي بسبب منبّه موجود في النص»²، وقوله « تنتج القوة الأسلوبية من إدخال عنصر غير متوقع...»³ تحديد مهمّ لمفهوم المثير الأسلوبي، وهو بذلك يعقد له صلة جدّ وثيقة بالسياق. فيقول « نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقع- مفاجئ كما أشرت في الفقرة السابقة- والتقابل الذي ينشأ عن هذا الاقتحام هو المثير»⁴.

1- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص12 .

2- ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، ط1، ترجمة تقديم وتعليقات: د/حميد لحداني، الدار البيضاء-المغرب - منشورات دراسات سال ودار النجاح الجديدة، ، مارس1993، ص36.

3- طارق البكري، الأسلوبية عند ميشال ريفاتير، مجلة ديوان العرب، جويلية 2007، ص09.

4- ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، ص56.

وبهذا التّحديد فإنّه يرى السّياق الأسلوبي نموذجاً لسانياً يقطعه عنصر غير متوقّع وهو المراد (المثير الأسلوبي).

ثمّ إنّّه يرى اللّغة قادرة على التّجاوز وخرق المعيار الموضوع لتحقيق معنى ما « اللّغة قادرة على خلق سياقات خاصّة أي معايير ظرفيّة وخرقها في نفس الوقت، وهذا يؤدّي إلى إضعاف سلطة المعيار العام وشلّ فعاليّته في تقدير وضبط انزياحات اللّغة...»¹.

وإدخال عنصر المفاجأة أو كسر القاعدة، يعطي القيمة الأسلوبية ومنها القيمة الدلالية للتركيب الذي يؤوّل إلى نظام العلاقات الجديد، وكثيراً ما يقترن هذا العنصر بالسياق الأسلوبي الذي سأتي إليه في الفصل الأخير.

ويعتبره صلاح فضل أحد مفاتيح تلقي النص من الوجهة الأسلوبية، فالمثير الأسلوبي -حسبه - هو الذي « يحقق في النص عنصر الغرابة الذي هو سمة من السمات الأسلوبية التي تجعل المتلقي يبتهج بما يقرأ، وهذه البهجة تنشأ عملياً من جرّاء اصطدام القارئ بمثيرات أسلوبية غريبة الوقع دلالياً أو تركيبياً »².

ولعلّ في القولين السابقين نقطة مشتركة في تحديد مفهومنا هذا، وهي قضية (عنصر المفاجأة) من جهة، و(عنصر الغرابة) من جهة أخرى فكأنهما يتفقان على المساواة التالية:

المثير الأسلوبي = عنصر المفاجأة أو الغرابة.

وضمن هذا التركيب الإدماجي تكمن جماليات المعاني والصيغ والألفاظ والتراكيب والأصوات والصور.... وكلها من الوحدات الصميمة في صناعة القيمة الأسلوبية التي بدورها تصنع الأثر النفسي في المتلقي بالانجذاب إلى ما يشعره أنّه فن قوليّ معبر عنه بحس بيانيّ بليغ.

1- المرجع نفسه، ص10.

2- صلاح فضل، أشكال التخيل من فتات الأدب والنقد - من سلسلة أدبيات - ، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1997 ص115.

والناظر في النصوص التفسيرية - على سبيل التمثيل - يدرك بدهة ملامح هذه القيمة لذلك الأسلوب، انطلاقاً من الخصائص المنهجية والتعبيرية والشعورية بحكم « أن كل أسلوب بياني يشف عن ذاتية وشخصية في المتكلم¹ ».

ويذكر الباحث الدكتور عبد الله عويقل السلمي وهو أحد المهتمين بالدراسات الدلالية في علاقتها بالجوانب النفسية عن أسلوب النداء: « وهو أسلوب يحمل شحنات نفسية من الانفعالات والعواطف لكثرة ما فيه من دلالات، ومعانٍ لا يمكن الكشف عنها وتفسيرها من غير الاعتماد على علم النفس اللغوي، فالمنادي والمستجيب فيه مدفوعان بمثير قوي يعده علماء السيمياء علامة مهمة من علامات التواصل الإنساني اللساني؛ وذلك لأن الإثارة يجلبها حرف النداء تنبئ عن إحساس المنادي بالمثير² ».

فالمثير الأسلوبي موجود من الناحية النفسية؛ خاصّة ما يترتب من خروج عن القاعدة النحوية لأسلوب النداء لدى المنادي « وما يصاحبه من توتر أو قلق أو خوف أو فرح أو حزن، وكلها انفعالات تحدث ردود أفعال من المنادي قد تكون لسانية وقد تكون بدنية أو تعبيرات خارجية تظهر في شكل تصرفات مختلفة تعبر عن نوع الحالة الانفعالية والتفاعلية بين المنادي والمُنادى³ » وهذا الجانب النفسي أفردته بمطلب مستقل؛ سآتي إلى تفصيله في آوانه؛ لعلّي أميط اللثام عن العلاقة بين علم النفس وقواعد العربية، متجافياً عن التفصيلات الدقيقة، والخلافات العميقة في الباب فذلك جهد أسهب فيه علماء العربية قديماً وحديثاً.

1- محمد إقبال عروي، اطّرادات أسلوبية في الخطاب القرآني، ص19.

2- عبد الله عويقل السلمي، الجوانب النفسية في أسلوب النداء. دراسة تركيبية دلالية، مجلة الصّوتيات، مخبر الصّوتيات العربيّة الحديثة، العدد الثامن، جامعة سعد دحلب-البليدة-، سبتمبر 2010، ص25.

3- المرجع نفسه، ص25.

وبالنظر إلى نشوء علاقة متينة بين المنادي والمُنَادَى؛ يستلزم الأمر في قراءة النص وفهم دلالاته تحكيم القارئ (المتلقي)، من خلال استجابته النفسية والآلية¹ للنص، فحدوثهما تلقائياً تعني افتقار النص له عدا النص القرآني الذي مهما بلغت الدراسات الأسلوبية والدلالية ذروتها، يبقى نصاً مقدساً يخفي مكنونات، ويكتنف معانيه الغموض، وينفتح على تفسيرات وتأويلات من هنا وهناك، وما أكثر المثيرات الأسلوبية فيه، وهي محلّ الدراسة والتطبيق في بقية الفصول.

فهذا يعني أن صفة المثير من القيم الأسلوبية التي باتت أمراً متحققاً في أسلوبه القرآن الكريم على مدار الأزمنة؛ أي نحن بصدد تحقيق قيم أسلوبية تفرضها طبيعة القراءة الدلالية، من خلال المباحث ونمطية المنهج الدراسي. والأكيد الذي نطمئن إليه أن نتوقع قيماً أسلوبية تحددها معطيات نصية بعينها. ومن ثم تكون الشواهد المنتقاة هي وحدها الكفيلة بالحسم.

2- ثنائية (القارئ، الأثر الأسلوبي):

إنّ عمل المتلقي يركز على توسل الدلالة في مجريات التراكيب للقبض على المعاني الممكنة، فيعمد إلى النص في دراسته التحليلية لا إلى القاعدة، لذلك تتداخل أنساق التراكيب في ذاتها وفي علاقتها بالسياق حسب صحة التأويل ومقتضيات السياق الدلالية، أي أنه جعل نظم الكلام وقواعد اسناده تبني علاقات إسنادية « بين النص ومعناه من جهة، والحقيقة الواقعة خارج النص من جهة أخرى»²، ويستلزم الأمر في لحظته تحكيم دلالة القرائن للكشف على المعنى المقصود أو المتواري، وعلى أساس أن الاتصال الوطيد بين القارئ والنص؛ والقائم على التفاعل القوي

1- ينظر: صلاح فضل، أشكال التخيل من فئات الأدب والنقد، من سلسلة أدبيات، ص115، وسامي محمد عبابنة، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، ط1، إربد - الأردن - عالم الكتب الحديث، 2007، ص248.

2- روبرت هولب، نظرية التلقي، ص253. نقلا عن: ماهر مهدي هلال، الرؤية البلاغية في قراءة النص، العدد6، المجلد3، مجلة جامعة حضرموت -اليمن- ص22.

والنَّشيط النَّاشئ بينهما باستمرار « بحكم عملية القراءة، التي تعتمد على إدراك القارئ العالم الذي يحيل إليه النص »¹.

إنَّ اختراق السائد والمألوف في ذهن القارئ كان هو المدخل لإحداث أكبر الأثر، فالقارئ معتاد على سماع وقراءة بعض التراكيب في سياق معيّن، ثمَّ يجدها بمعنى آخر في سياق جديد، فهذا أمر لا يتوقعه القارئ، وسيساعد على إيجاد هوة وشرخ بين المتوقع في النص والقائم في ذهن القارئ تساعد إلى إحداث إثارة وصدمة لدى لقارئ، ولكن المفاجأة والغرابة تزيدان كلّما ازداد الشرخ بينهما؛ فتتولد علاقة طردية بين القارئ والنص من جهة، وبين المتوقع والقائم من جهة أخرى. فهي علاقة تثير القارئ، وتحرك فيه الأثر المطلوب.

يعدّ القارئ أو المتلقي محور نظرية التلقي، ولما كان كذلك وجب أن يتّسم بالكفاءة حتى يستطيع الحكم على معنى النص أو معانيه «ولهذا كان اختبار النص من قبل القارئ يعني بالدرجة الأولى تشخيصا للبواعث الأسلوبية فيه بهدف استثمارها في عملية التفسير والتأويل ومن دون شك، فإنّ لكل أثر نصي وقائعه الأسلوبية التي تثير وجدان المتلقي وتلفت انتباهه»².

ولأنّ النص مفتوح على قراءات عديدة بصفته متشابك العلاقات استلزم أن نرجع لأسلوبه؛ لأنه « يضيف إلى فكر ما الظروف الملائمة لإنتاج أثر من المفروض أن تحدثه هذه الفكرة»³، ليس هذا فحسب؛ بل لأنّ النص «فسيفسائي في سيميائيته، وفي أدواته التعبيرية الموظفة بتقنية بالغة الحكمة، شديدة التجانس، إلى جانب ذلك فالنص زئبقي في أداءاته الدلالية، وفي بنيته الشمولية

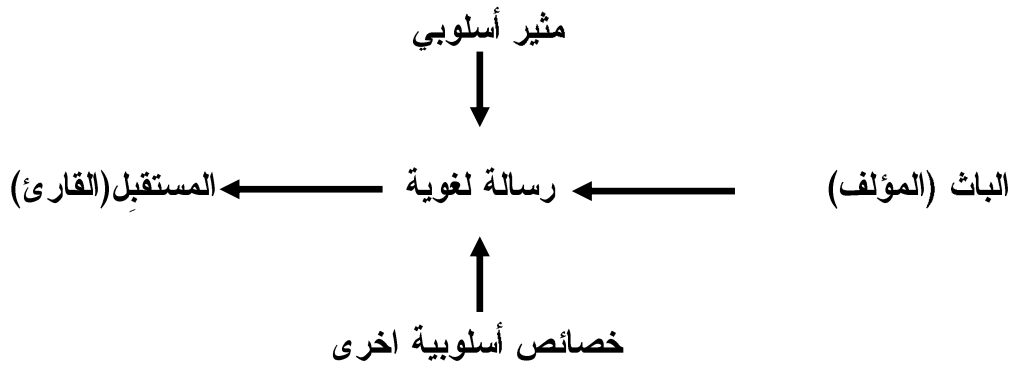
1- ماهر مهدي هلال، الرؤية البلاغية في قراءة النص، ص 22.

2- علي ملاحي، ملنقى علم النص، مجلة اللغة والأدب، العدد: 14، الجزائر، دار الحكمة، 1999/1420، ص 10.

3- الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط 1، سوريا، مركز الإنماء الحضاري، 2002، ص 36.

بحسب ما يملكه من قوة إبداعية في التأثير»¹، فالعلاقات القائمة بين عناصر النص اللغوية تصير ذات إحياءات تغطي النص بالغموض.

وعليه؛ لابد أن يعود أمر النص إلى القارئ الذي يتفقى الأثر الأسلوبي له؛ لأنّ النص «إذا فقد حبّ قرائه واحترامهم فقد انتقل إلى ذمة التاريخ»². فالقارئ هو المخول بالحكم عليه لقدرته على إخراج ما يضمّره النص من معان متعددة، والاستجابة تحدث عندما يعرف المؤلف « الغاية الوظيفية للأسلوب بصفة عامة، وتتمثل في ما يرمي إليه من تكثيف لطاقت التعبير في اللغة بحيث يضمن نفاذ الرسالة اللغوية الى صميم أحاسيس القارئ...»³، والمخطط التالي يمثّل تلك العلاقة:



مخطط 1: موقع المثير الأسلوبي في الرسالة اللغوية.

والملاحظ إذا هو اتخاذ المثير الأسلوبي في الرسالة اللغوية وسيلة يستعملها صاحب النص في نصه فيشكل بذلك أثرا أسلوبيا يستفز به القارئ.

ويشيد ريفاتير كثيرا بالقارئ ودوره في الأثر الأسلوبي للنص، فهو يرى « أن القارئ يجلي الأسلوب بفعل الأثر الذي يتركه، فالأسلوب يستأثر بانتباه القارئ واهتمامه عبر ما يفضيه في سلسلة

1- علي ملاحي، ملتقى علم النص، ص10.

2- صلاح فضل، أشكال التخيل، ص119.

3- سامي محمد عابنة، التفكير الأسلوبي، ص249.

الكلام، والقارئ يستجيب بدوره للأسلوب فيضيف إليه من نفسه عن طريق رد الفعل الذي يحدث فيه»¹.

والمتعمّن في كلامه يكتشف شدة التفاعل بين القارئ والنص من خلال الأثر الأسلوبي، ويكتشف أيضا أنّ كل تجاوز أو خرق في القانون يستوقف القارئ؛ فيحمل المعنى الناتج عن ذلك الخرق محمل الجد بالتأمل نظرا لغرابته، ومحاولة فك شيفرات لغته الملغزة، وأرى في هذه الأثناء كلّما كان مقدار الخرق كبيرا كان للقارئ وجود.

وعليه أجد « ريفاتير يولي الأهمية الكبرى لأمر خارج حدود النص نفسه، فهو لا ينسب الفضل للمؤلف ولا للسياق الأسلوبي أو التعبير النسقي الكلامي، ولكنّه يميل صراحة إلى الاعتراف بدور القارئ باعتباره المنتج الأول للنص حيث تتحدد قيمة النص عبره وحده»².

ويكون الأثر الأسلوبي مثيرا للمتلقّي حين تشكل خصائص النص الأسلوبية « مجموعة ألوان يصطبغ بها الخطاب ليصل بفضلها إلى إقناع القارئ وإمتاعه وشدّ انتباهه وإثارة خياله»³؛ وبالتالي ينتج المثير الأسلوبي أثرا له قيمة دلالية بتفاعل علاقات النظام اللغوي الجديد، وبتشاكل العناصر المكونة له.

وبما أنّ الاستعارة - مثلا وبشكل خاص- من مقتضيات النظم يدرجها عبد القاهر الجرجاني في صلة تربطها بالأسلوب، ويراها أحسن تمثيل لإبراز الأثر الأسلوبي للنص من جهة،

1- طارق البكري، الأسلوبية عند ميشال ريفاتير، ص05.

2- المرجع نفسه، ص05.

3- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، د ط، تونس، الدار العربية للكتاب، 1977، ص83.

والتأثير في القارئ من جهة أخرى، فيقول أنها « أمدّ ميدانا وأشدّ افتتاناً... وأعجب حسنا وأوسع سعة وأبعد غورا... وأسحر سحرا»¹.

ولعلّ في قوله: (أبعد غورا أو أسحر سحرا) على سبيل التمثيل، ما يعطي البيان حقه فيؤول الغرض من التركيب إلى الغموض الحسن، غموض كونه بعيد المعنى، وإلى البيان الساحر كون السحر يفعل بخيال الإنسان فعلته، ويعطي حينئذ رقة للمعنى ويستلطف من السحر ذلك الفعل.

وأجد في الدراسات الأسلوبية والدلالية للشعر مثلاً، ما يعزّز تقديري لحقيقة هذا العنصر؛ إذ إنّ « الشعر في بنائه اللغوي يرتبط ببعد وظيفي، يتمثل في غرابة نسقه ومقصده وإيقاعه، على أنّ هذه الغرابة لا تعني انغلاق مؤشرات الأسلوبية بقدر ما تعني تكامل أدواته»².

وأرى في قضية الغرابة أفضل مؤشر أسلوب في النص اللغوي، بل هي أولى بمعيار الخرق الجديد، فالقوانين الضابطة للغة لا يسعها أن تنفر من بعضها، وإن نفرت كانت قمة في التعبير اللغوي، والبلاغة -كما تحدثت عن الاستعارة- «ليس لها غاية سوى الإبلاغ، وإيصال المعنى بأقصى ما يمكن من النجاعة؛ التي تضمن تقبل المتلقي لمحتوى الرسالة اللغوية...»³، وبين الإبلاغ، وإيصال المعنى، والنجاعة يتموقع المثير الأسلوب كهمزة وصل بين القارئ والأثر الأسلوب.

لقد أثبت من احتجبت بهم ثنائية القارئ والنص عموماً - القارئ في النص أم النص في القارئ - ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: هل نسلم بها كذلك في النص القرآني المقدّس؟ وهل فهم القرآن ودلالاته؛ سلطة القارئ أم سلطة النص (ونحن أمة النص)؟

1- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، مصر، مكتبة القاهرة، 1976، ص42.

2- علي ملاحي، ملتقى علم النص، ص11.

3- محمد سامي عابنة، التفكير الأسلوب، ص258.

فإذا سلّمنا بصحة استعمال العرب لأساليبهم في الكلام؛ فعلينا أن نسلم كذلك بفروق المعاني التي تحتكم بدورها لقوالب الأبنية، وقوالب التراكيب، والسيّاقات المختلفة؛ ولابدّ حينذاك أن نراعي معرفة المتلقي بالقواعد السليمة للعربيّة، ولا يسمح له أن يفسّر النص ويقرأ دلالاته ومعانيه بلا وعي لأساليبها، وربّما يتجاوز إلى حدّ تأويله؛ ثمّ يسجل هذا التأويل على أنه قواعد لسانية أو معاني للأبنية في سياقاتها « إنّ استحضار السياق يعطي للتركيب دلّاته، ويوقي العناصر اللغوية المتفاعلة مع بعضها، وفق قوانين النحو وضوابطه... والنظام الاتّصالي الذي يربطهما ببعض وقد أبرزت الأساليب العربية أبعاد العلاقة بين النصّ والمتلقي، وهو ما يعين على معرفة شخصية القارئ المتلقي من خلال فهمه للنصّ من عدمه، وهو الأمر الذي لا يتحقّق لأيّ مخلوق في محاولة قراءته للنصّ القرآني؛ وقد خصّه الله عزّ وجلّ بحفظه»¹.

وعليه؛ فالمعنى الواحد لا يعبر عنه بطرق مختلفة « ولا يغرّنك قول الناس: (قد أتى بالمعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه فأدّاه على وجهه) فإنّه تسامح منهم، والمراد أنّه أدّى الغرض، فأما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ههنا إلّا ما عقلته هناك، وحتى يكون حالهما في نفس حال الصورتين المشتبهتين في عينك كالسوارين والشنفين...»²، والتوسع في تراكيب اللغة في مستوياتها؛ تولّد جملاً جديدة بأشكال مختلفة تؤدّي معاني مختلفة لغايات جمالية لا يأتي بالنفع؛ وإنّما يؤدّي إلى فوضى التأويل كنتيجة حتمية تنجم عن فوضى التّأليف.

تصل سلطة القارئ إلى أعلى مراتبها، ويبدأ بالغور في التأويل على وفق ما أوصلته معرفته بالقواعد التركيبية، فنجمت - بفعل تأويله - ظواهر غريبة على التأويل؛ لم يكن الغرض منها شرح معنى التركيب؛ بل لأجل تأصيلها في النص وإعرابها بوصفها التركيب الأصل قبل التّأليف. ولذلك

1- عبد الله عويقل السلمي، الجوانب النفسية في أسلوب النداء. دراسة تركيبية دلالية، ص 24، 25.

2- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، ط 2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1989، ص 260 وما بعدها.

ينبغي على القارئ أن يعلم أنّ النص الذي بين يديه نصّاً قرآنياً؛ ويعي أنّ مقصدية الله تعالى فوق كلّ تأويل؛ لأنّ المنجز الإلهي فوق كلّ ما ينجزه البشر. وأنّ القارئ ربّما يبسط سلطته في ما سواه من النصوص بشكل جزئيّ وتحفظي.

وأخيراً؛ تتجلى الصلة التي تربط القارئ بالآثر الأسلوبي من خلال الغرابة أو الدهشة التي تصيب القارئ جراء لغة النص المثيرة؛ لأنّ «النص له مثيراته التي تجعل القارئ يعيش دهشة ازاء النص الذي هو مركّب يحيلنا إلى معنى، ومن ثمّ يفرض عليه البحث عن نوع المؤشرات الأسلوبية التي تمتلك القدرة على دفع القارئ إلى التساؤل...»¹.

والمؤكد أنّ النص القرآني ليس كغيره من النصوص، فيظل يخفي معان غائبة، توافق كل زمان، ومكان وأكثر من ذلك، ويبقى محمّلاً بالأسرار على الرغم من الخوض فيه تفسيراً وتأويلاً من طرف المفسرين واللغويين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم الفكرية.

3- التحليل الأسلوبي:

يقوم التحليل الأسلوبي على التصدي للنص من حيث تحليل بنيته في الكلام، واستنتاج معانيه، وملاحظة أساليب تراكيبه، ولذا فحريّ بيان قدرة التراكيب ومكوناتها والقرائن المبنوثة فيها على التعبير عن المعاني²، لأنّ عملية التحليل الأسلوبي ترتكز على الحدث الأسلوبي، الذي يظهر في أشكال ثلاثة « لساني لأن اللغة أداة بيانه، وهو نفسي لأنّ الأثر غاية حدوثه، وهو اجتماعي لأن الآخر ضرورة وجوده »³، أي أنّ الغاية من تظافر هذه الأشكال هي إثارة المتلقي والتأثير في نفسيته.

1- علي ملاح، ملنقى علم النص، ص17.

2- ينظر: كريم حسين ناصح الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دراسة دلالية أسلوبية، ط1، الأردن، دار الصفاء للطباعة والنشر، 2007/1428، ص191.

3- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص36.

إذا، فعملية تحليل بنية لغة النص هي تجسيد للتحليل الأسلوبي، ولذلك اهتم عبد القاهر الجرجاني في النظم « بالأنظمة اللغوية للنصوص والعلاقات القائمة بين عناصرها اللغوية وهذا ما يجعل منها تحليلات أسلوبية غاية في النضج»¹.

ويمكن أن نعدّ هذا المفهوم صورةً تطبيقيةً بامتياز للمثير الأسلوبي، ونقلةً كبيرةً في التحليل الأسلوبي، إذ يأخذ اهتماماً كبيراً من المفسرين عندما ألحقوه بالقراءة الدلالية للنص باعتباره عنصراً أسلوبياً، ومكوّناً أساسياً لفهم المعنى القرآني الذي يمسّ كلّ مستويات النصّ وأجزائه. وعليه اعتبر التحليل الأسلوبي وسيلةً إجرائيةً شاملةً ذو مكانة أساسية في قراءة كلّ أجزاء القرآن الكريم قراءة أسلوبية دلالية. ويوحى الرازي إلى اتّخاذ الأسلوب مطيّةً لتحليل النظم، رغم تفضيله استعمال مفهوم النظم على مفهوم التحليل الأسلوبي في تفسير الإعجاز القرآني².

وعدّ التحليل الأسلوبي لدى المفسرين قيمة ثابتة في تحليل التراكيب القرآنية التي استرعت اهتمامهم، واكتسبت الخاصية التعبيرية التي ترشحها كي تكون أسلوباً قائماً على العدول عن التراكيب المحتملة التي يفرضها السياق. فيسهم السياق القرآني في التحليل الأسلوبي الذي أجراه المفسرون على المتشابه القرآني (انظر مصطلح الغريب في المبحث الثاني من هذا الفصل). فقد ساعدهم هذا التحليل على إدراك سرّ التنويع الأسلوبي بالمقارنة بين أنواع التراكيب القرآنية المشتركة في الموضوع والمختلفة في التعبير، ومن ثمة انصب اهتمام المفسرين على الإجابة عن هذا السؤال: لماذا اختلف أسلوب هذه الآيات من سورة إلى سورة رغم أنّ الموضوع واحد؟

1- محمد سامي عابنة، التفكير الأسلوبي، ص318.

2- ينظر: الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1999م. ج17/ 325.

يتطلّب البحث عن المعنى لفهم النصّ القرآني؛ الدراية الشاملة لكافة أساليب القرآن الكريم حتى تتوفّر للدارس إمكانية تحليل أساليبه، وتتاح له فرصة فهم دلالات التراكيب والصيغ الصرفيّة وتحكيم دور السياق، وذلك هو المنهج الأسلوبي التحليلي في فهم مقصدية الشّارع الحكيم، ومن ثمّ يهتدي المهتمّون بالتفسير، وأصحاب الدّلالة والأسلوبية؛ لاستنباط مقاصده؛ علماً بأنّ غاية دراسة القرآن وتفسيره عندهم - خاصة القدماء - شريفة، استعانوا على تحقيقها بالمزج بين بعض العلوم كعلم النحو والصرف وعلم المعاني، وتوظيف دلالة السياقات المختلفة فكانت دراستهم دراسة شمولية لعلوم اللغة العربية، وصارت تلك العلوم بمثابة مستويات ترتكز أهمّ الدّراسات الحديثة عليها؛ لتحليل أساليب الخطاب القرآني وفقها، وأعطت هذه الآلية تحليل الآية الواحدة أو حتّى اللفظة الواحدة بالاعتماد على المستويات اللّغوية.

هذا، ويسأل السائل: أين نصنّف كل الاجتهادات والآراء والتفسيرات للنص؟ والنص القرآني-خاصة- في ضوء التحليل الأسلوبي؟ والجواب: مردّد ذلك¹ لرغبة أصحابها المساهمة في خدمة كتاب الله العزيز، أملاً في نيل رضاه تعالى، ولو أن جهودهم اقتصرّت على كشف أمور بسيطة من مقصديته.

وكذلك تعود أسباب التحليل الأسلوبي² إلى:

1- تناول البنية اللغوية للنص.

2- كشف قيم النص الجمالية، وأثرها في المتلقين.

3- فهم أعمق للنص لتفرد خواصه الأسلوبية.

4- الارتكاز على النصوص المنجزة فعلاً.

1- ينظر: كريم حسين ناصح الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن، ص192.

2- محمد سامي عابنة، التفكير الأسلوبي، ص318.

5- استغلال علم النحو لقدرته على وصف العلاقات التركيبية لأي نص.

ولأنّ القرآن حمّال أوجه، تعدّدت التحليلات الأسلوبية حتى في التركيب الواحد طلباً للتأمل والتدبر، ومعرفة أيّ المسالك أحقّ من غيره؟ وترتكز عملية التحليل الأسلوبي- في ناحية أخرى- على أسلوبية التعبير التي ذكر لها منذر عياشي خصائص تميزها، ألخصها فيما يلي¹:

أ- دراسة علاقات الشكل مع التعبير.

ب- النظر إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي.

ج- تتعلق بعلم الدلالة أو بدراسة المعاني

ومن أمثلة ذلك؛ ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾²، حيث يتجلى التحليل الأسلوبي القيم الذي قدمه عبد القاهر الجرجاني، في إشارة منه لقيّمته الدلالية، ويكشف تلك المظاهر الأسلوبية على النحو التالي:

«أ- بناء المعنى وترتيبه: من حيث نداء الأرض، ثم أمرها وكذلك السماء، ثم ذكر الفائدة.

ب- اختيار الألفاظ والصيغ اللفظية: اختيار حرف النداء (يا)، وصيغة المبني للمجهول.

ج- اختيار التركيب: إضافة (الماء) إلى الكاف، وإضمار السفينة لعظم الشأن.

د- التناسب والتقابل الشكلي: مقابلة الأرض بالسماء، و(قيل) في البداية وفي الختام»³.

والملاحظ أن هذه المظاهر تؤسّس لوجود المثير الأسلوبي في أي شكل من أشكاله، فإذا كانت هذه المظاهر الأسلوبية في الآية الكريمة محددة بهذا الطرح، فإنها بوجوده تكون أكثر دقة وضبطاً وتحديداً؛ لأنّ الأمر يتطلب التمعّن كما أشرت سابقاً.

1- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص42.

2- هود/ 44.

3- محمد سامي عبابنة، التفكير الأسلوبي، ص322، 323، بتصرف قليل.

وهذا الوصف القيم مثال صريح لأهمية التحليل الأسلوبي عند علمائنا الذين قدموا «نظرات تحليلية غارت في أعماق النص... وسخرت كل وجوه البلاغة والنقد وصروف التحليل النحوي والصرفي لاستجلاء الصور المعنوية، ولاسيما في النص القرآني الذي تضافرت على تحليله جهود المفسرين والنحويين والبلاغيين ومؤلفي كتب إعجاز القرآن ومعانيه»¹. ولما احتكم اللغويون إلى قواعد اللغة، انصبّ اهتمام الأسلوبيين وأصحاب الدلالة على التحليل الأسلوبي للرسالة اللغوية بصفتها «تحمل خروجاً (انحرافاً) عن النمط المؤلف»².

4- المثير الأسلوبي والمعاني النفسية:

إنّ علاقة القارئ بالأثر الأسلوبي للنص - التي أشرت إليها في مطلب سابق - تتبلور في حدوث تفاعل بين الطرفين؛ لأنّ «القارئ يجلي الأسلوب بفعل الأثر الذي يتركه فيه، فالأسلوب يستأثر بانتباه القارئ واهتمامه عبر ما يفرضه في سلسلة الكلام، والقارئ يستجيب بدوره للأسلوب فيضيف إليه من نفسه عن طريق رد الفعل الذي يحدث فيه»³. وهذا ما يعقد الصلة بين المثير الأسلوبي والمعنى النفسي.

وإذا كانت النفس الإنسانية عالماً واسعاً من الاضطرابات النفسية، فإن ظاهرة المثير الأسلوبي تصبح في بعض السياقات مرآة عاكسة لكل هذه الاضطرابات؛ فتتجلى حينها وبوضوح الوظيفة النفسية لهذه الظاهرة، وهي شكل من أشكال التصوير اللغوي لتناقضات النفس الإنسانية؛ ذلك أن البنية اللغوية لظاهرة المثير هي تركيب لغوي يدلّ عليها من خلال إحدى المستويات اللغوية (المستوى

1- كريم حسين ناصح خالدي، الخطاب النفسي في القرآن، ص192.

2- رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، د ط، القاهرة- مصر، مطبعة أطلس التوفيقية، 1993، ص145.

3- منذر عياشي الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص151.

الصوتي ، المستوى الصرفي، المستوى النحوي...)، ويحيط السياق بشكل عام بهذه المستويات وغيرها.

ويمثل أحد الباحثين المعاصرين إلى الوظيفة النفسية للالتفات - كأحد أشكال المثير الأسلوبي - فيقول: « قد يمثل الالتفات نازعاً نفسياً يوحى بتضارب الأشياء والأحداث وتداخلها في العقل الباطن للمبدع ، ويكون الالتفات هو التمثيل اللغوي لهذا النزوع النفسي »¹، وفي بعض السياقات يصبح المثير مؤشراً أسلوبياً على وجود خروج وتمرد عن القيم والقوانين المسلّم بها، ويصبح العدول هو الصورة اللغوية لهذا التمرد.

كما توجد الدراسات الرابطة بين قواعد اللغة العربية وعلم النفس أكثر عند علماء النفس منه عند علماء اللغة، لأنّ اللغة في نظر النفسانيين هي الجسر الذي ينقل إليهم كل ما في الذهن. وإذا كان الربط بين العلوم يُعدّ ضرورة حتمية؛ بالنظر إلى علاقة تأثر وتأثير لا سيما في مجال الدراسات اللغوية - باعتباره يعين على فهم القاعدة النحوية فهما دقيقاً- فإن الربط بين القواعد النحوية وعلم النفس مثلاً أكثر ضرورة وأعظم أثراً، لأن الجملة؛ « ليست شكلاً مجرداً من الأحاسيس والمشاعر كما أنها ليست قوالب صرفة يصب فيها المتكلم مفردات مرتبة وفقاً لقواعد معينة، وإنما هي استحضار للسياقات المختلفة، فكل سياق أسلوبه واستعماله وجمله وألفاظه، فالجملة لا تكون مستقيمة إن لم تكشف عن العوامل النفسية المحيطة بالمتكلم والمخاطب »².

قال روبرت سولسو (Robert Solso): « إنّ كل كتاب في علم النفس العام يتضمن فصلاً عن اللغة على الأقل، وتعالج عشرات الكتب موضوع علم النفس اللغوي، كما أنّ هناك ما يزيد عن عشرين مجلة متخصصة في المجال النفسي للغة... إنّ دراسة اللغة الإنسانية أمر مهم بالنسبة

1- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، ص 63.

2- عبد الله عويقل السلمي، الجوانب النفسية في أسلوب النداء. دراسة تركيبية دلالية، رسالة ماجستير، تعز

- اليمن - 2007، ص 27، 28.

للمشتغلين بعلم النفس المعرفي؛ لأنها تعين على فهم الكثير من أشكال التفكير الإنساني...¹. فاللغة ترتبط بالإنسان إلى حدّ كبير، وتميزه عن سائر المخلوقات، وعلم النفس يختص بدراسة السلوك الإنساني، الذي هو من أهم جوانب الالتقاء بين علم النفس وعلم اللغة؛ لأن نقطة تلاقيهما فيه هو السلوك اللغوي، الذي يمثل أحد جوانب السلوك الإنساني.

إنّ ربط القواعد النحوية بالجانب النفسي بخاصة يعين على استحضار ما وراء القاعدة المجردة وما وراء المعنى الظاهر؛ لأن الجملة العربية ليست شكلاً مجرداً من الأحاسيس والمشاعر، كما أنها ليست قوالب صرفة يصب فيها المتكلم مفردات مرتبة وفقاً لقواعد معينة، والنحو لا يرشدنا إلى بناء الكلمات اللغوية فقط وتصريفها، وبيان علاقتها المعنوية في الجمل والعبارات، وليس مجرد معين على بناء فقر مترابطة، ثم تنتهي مهمته عندما تتحقق لنا صحة العبارة وسلامتها في ذاتها؛ بل تتعدى مهمته ذلك لتحضّر وتشركه القارئ في النصّ². كما أنّ الجانب النفسي في اللغة لا يعني محاولة فهم المعنى وإدراكه بعيداً عن القواعد النحوية؛ بل هو جزء منها؛ لأنّ طريقة نطق الجمل وتنظيمها يؤدي إلى إشارات قواعدية ومعنوية ونفسية.

تتجلى هذه المؤثرات في القاعدة النحوية فيما يعرف بالتّضام والتلازم بين المبتدأ والخبر لأنّ المبتدأ يستلزم الخبر، والخبر يستوجب المبتدأ؛ فالأصل حصول هذا التلازم، والعدول عنه فعلياً لا بد أن تكون وراءه بنية عميقة وإشارة نفسية معينة، ففي قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾³. حذف المبتدأ (أنا) وذكر الخبر (عجوز) للدلالة على الحالة النفسية التي عليها زوج إبراهيم - عليه السلام - طغى شعور كبرها ووهنها على ذاتها، فدفعها هذا الإحساس إلى وصف نفسها بالعجوز من غير تعبيرها عن ذاتها بالضمير (أنا)، وكأنها لم تعد تشعر

1- العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، ص63.

2- ينظر: عبد الله عويقل السلمي، الجوانب النفسية في أسلوب النداء. دراسة تركيبية دلالية، ص24.

3- الذاريات/29.

بذاتها، ومن ثم بادرت بذكر هذا الشبح المخيف الذي كان مبعث بأسها من الإنجاب؛ ولأن الحديث الذي أثارها فأنطقها بهذه العبارة حديث بشاره بأنها ستتجب، فبادرت مسرعة بأن ثمّ عقبتين تحولان بينها وبين ذلك¹. وعليه؛ فإنّ المتلقي لا يتلقى النص من حيث احتواؤه على مثير أسلوبى فحسب بل لذلك النص وقع على نفسية المتلقي، وذلك « بإثارتها من خلال الأسلوب المميز بحسب سياق القول»²، ولنا في السياق حديث.

إذا، فالأسلوب يجمع بين الجمالية في المعاني؛ وبين الأثر النفسي، يكون الأسلوب مثيرا باعتباره قيمة مستقلة مختلفة تماما عن المادة المعالجة في القول³. كما أنّ إيقاظ نفسية القارئ تُعدّ من العلاقة الناشئة بين المثير والمعاني والتي تتمحور في مسألة (التخييل). ويعد أسلوب النداء - على سبيل المثال - من الأساليب العربية التي لها جانب نفسي لدى المتكلم والسامع، وهو أسلوب يحمل شحنات نفسية من الانفعالات والعواطف تؤثر في استعماله وتركيب جملة واختيار أدواته، وبالتالي ينكشف السلوك والأثر النفسي على استعمال هذا الأسلوب.

ولا يمكن إنكار سحر ألفاظ الذكر الحكيم وتراكيبه بمعانيها على نفسية المتلقين؛ لأنّ « في الخطاب القرآني كثير من الدلالات التي تشير إلى المعاني التي أراد الله أن يؤثر بها في نفوس المخاطبين... وقد كانت هذه المعاني دافقة فيّاضة تقصف بمشاعر السامعين، وتأخذ بألبابهم وتهز أعطافهم»⁴، ولنضرب الأمثلة التالية:

1- ينظر: الجوانب النفسية في أسلوب النداء، ص24.

2- سامي محمد عابنة، التفكير الأسلوبى، ص258.

3- ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب، القاهرة - مصر -، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ص77.

4- حسين كريم ناصح الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، ص100.

أ- جاء في الخطاب القرآني ماله لطافة وتأثير في النفوس ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ، كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾¹.

الشاهد في الآية الكريمة هو خطاب الله تعالى المكذبين بصيغ الأمر، والمصدر (ويل)، فهل الأمر مجرد طلب؟ ولم الأمر من جهة؟ والتهديد بـ(ويل) من جهة أخرى؟ والإجابة عن هذه الأسئلة تدور في فحوى العلاقة القائمة بين المثير الأسلوبى والمعاني النفسية بحيث « صيغ الأمر هنا لا تحمل معنى الطلب للمخاطب لإيجاد ما لم يكن حاصلًا على وجه الوجوب، بل هو تهديد ووعد لأن الله تعالى لم يأمرهم... وإنما أراد أن يقول تمتعوا فإن تمتعكم سيكون جزاؤه جزاء المجرمين... وهو تهديد لكل من أراد أن يسير على دربهم »².

واللآفت للتأمل هو حين نتمتع في بقية ألفاظ الآيات ندرك حقيقة الغرض من صيغة (الأمر)، فهي سخط الله تعالى عليهم، أي أنه يعلم أعمالهم السيئة وتعتنهم كذلك، ولذلك أردف المصدر (ويل) بصيغة (الأمر)، فنعلم أن تعذيبهم يوم القيامة لاريب فيه لهم ولغيرهم عبر الأزمان ممن سولت لهم أنفسهم سوءا.

ب- جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³، وذكرت هذه الآية في سياق الحديث عن أمر التعظيم والشاهد فيها حرف (الهاء) في قوله تعالى: (أنه).

والغاية من ذلك أن ضمير الشأن (الهاء) لا يعود على شخص أو ذات سابقة؛ بل جاء للتضخيم والتعظيم، ويستدل محمد سامي عابنة بقول عبد القاهر الجرجاني: « ومن هنا قالوا: إن

1 - المرسلات/45-50.

2 - حسين كريم ناصح الخالدي، الخطاب النفسى في القرآن الكريم ، ص102.

3 - النمل/ 08،09.

الشيء إذا أُضمِر ثم فسّر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار»¹. وعليه فإن قولنا: (إنَّ الله أنا ربَّ العالمين) أقلّ فخامة وتعظيماً من إرداف ضمير الشأن (الهاء) إلى حرف النصب (إنّ) وهو المعنى الذي دلّت عليه الآية: فكان ضمير الشأن ههنا من الألفاظ المثيرة في أسلوب القرآن التي تؤدي معان مؤثرة في النفس.

لقد ذكر عبد القاهر الجرجاني نصّاً دعم به مذهبه فقال «إنّا نعلم ضرورة في قوله تعالى ﴿...فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾²، فخامة وشرفاً وروعة لا نجد منها شيئاً في قولنا (فإنَّ الأبصار لا تعمي) وكذلك السبيل أبداً في كل كلام كان فيه ضمير قصّة»³ وما ذكر ضمير الشأن في مثل هذه التراكيب إلّا لغاية أسلوبية لطيفة نفهمها من التعبير عنها بالمفردات (فخامة، شرف، روعة).

ج- يؤدي المثير الأسلوبى دوراً بارزاً في التأثير النفسى لمعاني الجملى، ومنه تنتج دلالات المعانى النفسية، فهذا النوع من الجملى يتحدّد «بحسب الأداة وتركيب الجملة الداخلة عليها والسياق الذى قيلت فيه وما يطرأ على بناء تلك الجملة من تقديم أو تأخير أو حذف...»⁴، ومثال ذلك دلالة الجملة الإسمية على الثبات المؤثرة في نفسية السامع.

وفي هذا السياق، واعتباراً لقيمة التعريف والتكثير الدلالية، قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾⁵، وقال أيضاً: ﴿قَالَ فَاحْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾⁶، والشاهد بين الاستعمالين هو التعريف بـ(ال) في الآية الأولى، وعدمه في الآية الأخرى.

1- حسين كريم ناصح الخالدي، الخطاب النفسى في القرآن الكريم، ص110.

2- الحج/46

3- المرجع نفسه، ص110.

4- المرجع نفسه، ص167، 168.

5- الدخان/49.

6- ص/77.

وبعلمنا أنّ المخاطب هو أبو جهل، فذكر الألف واللام في الأولى جاء « للاستخفاف به والاستهانة؛ لأنّ خبر إنّ يكون نكرة...فعدل إلى التعريف تعويضا بهوانه، لأنه لم يقصد أنّه عزيز في الآخرة، بل أراد أن يذكره بأن غروره بعزّته في الحياة الدنيا قادته إلى الهوان الذي لقيه في الآخرة»¹، أمّا في حذف الألف واللام في الثانية، « فإنّ الله أراد إخباره بحكمه عليه بالرجم إلى يوم القيامة»². يتجلّى معنى الاستهانة بأبي جهل كتأكيد على عقابه الشديد ذلّا وهوانا، في مقابل عزّته وغروره في الدنيا. ولقد أوضح الجرجاني قيمة التعريف في الخبر بقوله « واعلم أنّ للخبر المعروف بالألف واللام معنى غير ما ذكرت لك، وله مسلك دقيق... وذلك قولك (هو البطل المحامي)، وأنت لا تقصد شيئا مما تقدم، فلست تشير إلى معرفة علم المخاطب أنّه كان»³.

وختاما حريّ بنا التأمّل في بعض التراكيب للوقوف عند بعض المنبّهات اللّافّة، وهي بطبيعة الحال مثيرات أسلوبية من ناحية اللغة، ومعان نفسية من ناحية قيمتها الدلالية. وللمثير الأسلوبي وقع بخرق القاعدة المعيارية، ومنه يستلطف المعنى المتوخى.

1- حسين كريم ناصح الخالدي، الخطاب النفسي، ص 169، 170.

2- المرجع نفسه، ص: 170.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 140، 141.

المبحث الثاني

أشكال المثير الأسلوبي واستعمالاتها الدلالية والأسلوبية.

1- الخرق (خرق المعيار اللغوي).

2- بين الغريب والمُشكَل.

3- اللطيفة.

4- العدول والانزياح.

5- الالتفات.

1- الخرق:

يحمل الخرق في مفهومه معنى النفاذ من الشيء والمرور فيه، ويعدّ عنوان المثير الأسلوبي، أو أبرز أشكاله؛ ذلك أنّ في الخرق بحث وتقليب وتجاوز في المعيار، ومنه يطال المعنى غموض وإبهام ولبس*.

ويتحدّد مفهومه اعتباراً لتعريفه اللغوي، ففي مادة (خرق) «خرقت الثوب إذا شقّته وخرقت الأرض إذا قطعتها حتى بلغت أقصاها»¹، فالخرق يتحقق كلّما شاب غموض المعنى من خلال خرق معيارية الترتيب مثل التقديم والتأخير، ومن خلال تجاوز المعيار اللغوي المتعارف عليه عند اللغويين أو البلاغيين. ويطلق عليه في القواعد النحوية اسم (الانحراف الدلالي) في

* لقد فرّق علماء اللغة العرب بينها، فهذه الألفاظ كلها وإن كانت تقيّد في مضمونها العام التداخل والتعقيد وخفاء المعنى أو عدم وضوحه، فإن لفظ الغموض فيها يعني عندهم بنحو خاص، الخفاء الناتج عن الدقة والعمق والجودة والأصالة في المعنى وبعد النظر وسداد الرأي. كما يقال «مسألة غامضة فيها نظر ودقة... ومعنى غامض لطيف... وأغمض النظر إذا أحسن النظر أو جاء برأي جيد، وأغمض في الرأي أصاب». هذا في الوقت الذي تدل فيه كلمة الإبهام على استغلاق المعنى وتعرّس العثور عليه أو تعذر العثور على مسلك إليه، فيقال: «استبهم عليه الأمر أي استغلق... وكلام مبهم: لا يعرف له وجه يؤتى منه، مأخوذ من حائط مبهم إذ لم يكن فيه باب...». في الوقت الذي تدل كلمة اللبس على اختلاط الأمر. فيقال: «لبس عليه الأمر، يلبسه لبساً فالتبس، إذا اختلط عليه لا يعرف جهته». ابن منظور، لسان العرب، ج 5، مادة (غمض). ج 1، ص 378، مادة (بهم). ج 5، مادة (لبس).

اللبس والإبهام = خفاء المعنى وتعذر أو صعوبة الوقوف= التعقيد، والتعمية، والإغلاق أو الاستغلاق.

لقد صرح عبد القاهر الجرجاني على سبيل المثال بقوله: «وأما التعقيد فإنما كان مذموماً لأجل أن اللفظ لم يرتب الترتيب الذي يمثله تحصل الدلالة على الغرض، حتى احتاج السامع أن يطلب المعنى بالحيلة ويسعى إليه من غير الطريق كقوله: وكذا اسمُ أغطيةِ العيون جفوتها من أنها عملُ السيوفِ عواملُ

وإنما ذم هذا الجنس لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله، وكذك بسوء الدلالة، وأودع المعنى لك في قالب غير مستو ولا مملس، بل خشن مضرس، ناقص الحسن. «عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 120.

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1 بيروت- لبنان-، دار الكتب العلمية (منشورات محمد علي بيضون)، 2003/1424، ج1/ 402.

تركيب اللفظ على غير ما وضع في كلام العرب، ويذكره عبد القاهر الجرجاني بقوله « باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية...»¹.

وعُدّ الخرق كذلك من اللّطائف الأسلوبية، ومن الأسلوب اتخاذ الشكل الخاص في الكتابة بخروج اللغة، حيث أنه « هناك رسالات (نص، عبارة، كتاب) نتخذ في إنجازها وأدائها شكلا خاصا، يخرج بها من المؤلف في استعمال الناس للكلام الجاري أو اليومي»²، ومخالفة المؤلف خرق لما ألفه الناس في لغتهم أو عاداتهم أو قيمهم.

جاء في قوله تعالى: ﴿أَذْلِكَ خَيْرٌ نُزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ، إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ، فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾³، فأَيّ شجرة (الزَّقُّوم) في الواقع يمكن تصوّرها بهذا الوصف؟ فهي لا مثال لها في خلق الله تعالى جميعهم، ومعرفتها تتجلى بالنص الذي وردت فيه وهي في الوجود من الحقيقة التي لا ريب فيها، ولولا قدرة اللغة على خلق الأشياء، وتجاوز الضوابط المقيّدة لها لما تجلت وظيفة اللغة⁴.

وبقدرة اللغة على الخرق والتجاوز، تبقى قدرة المتلقي عاجزة عن الفهم والإدراك، بل تسبّب له حيرة وغبطة ودهشة، هذه الثلاث تقوم مقام المثير الأسلوبي بالنسبة للنص، والمثير النفسي بالنسبة للمتلقي، وبينهما يبحث القارئ عن المعنى المفقود، أو السرّ المغيب.

كما يُصنّف (الإلغاز) من ظواهر الخرق، ويذكره أحد المهتمين متحرّياً مفهومه بتسميته (لعبة العلامات اللغوية)، في دراسته للخطاب الشعري، فيقول عنه: «... مهما كان خرقاً للقانون

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص43.

2- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص58.

3- الصافات/ 62-67.

4- ينظر: منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص62، 63.

اللغوي، أو لعباً بالعلامات اللغوية، فإنّ الذي يهم القارئ هو توفر القيم المعنوية والدلالية... فخرج التعبير عن قواعده فيه رؤية وصياغة وتركيب»¹.

ويحمل الإلغاز معنى الخرق لما في مفهومه « من معنى الغموض الذي يدلّ على الخفاء ومعنى الإبهام الذي يدلّ على الخفاء والإشكال والإغراق والالتباس، إضافة إلى ما في الإلغاز من معاني التعمية والتعقيد والفوضى...»². وعليه، فإنّ كثرة المفاهيم المشتركة في معنى الخرق أدّى إلى ضرورة ضبط المعايير التي توحّد المصطلح وتحدّد مفهومه، وهذا لا يزال البحث فيه قائماً خاصة في ظل فوضى المصطلح.

2- الغريب:

ارتبط هذا المصطلح بألفاظ القرآن الكريم، وإن كنت أعني بالمثير الأسلوبى خرق في القاعدة اللغوية بوجه خاص، فإنّ (الغريب) خرق في ألفاظ اللغة مما يشكّل في تقديري غموض يتلبّس به المعنى، وفي هذا الصدد ذكر الخطّابي (تـ388هـ) في مفهوم الغريب بمعنى « الغريب - من الكلام - يقال به على وجهين، أحدهما: أن يراد به: بعيد المعنى، غامضه، لا يتناول الفهم إلّا عن بعد ومعاناة فكر. والآخر: أن يراد به كلام من بعدت به الدار، من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم: استعربناها. وإنما هي كلام القوم وبيانه »³.

1- خالد محمد، ظاهرة الإلغاز، مجلة الموقف الأدبي، العدد: 292، ديسمبر 2003، مجلة الموقف الأدبي، ص04.

2- المرجع نفسه، ص02.

3- الخطّابي، غريب الحديث، تح: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، دار الفكر، دمشق، 1982. ج1/71. وينظر: علي أحمد طلب دراسات تحليلية لغوية لسور قرآنية، د ط، مصر، مطبعة دار البيان، 1406هـ/1986م، ص07.

ولا تتأتى دلالاته إلّا لمن « له اطلاع وتبصر في اللغة العربية»¹، فإذا كان من الغريب في لغتنا: الرجل الذي لا نعرفه لبعده عنا، فإنّ «المقصود به ما وجد في القرآن من ألفاظ استعملتها قبائل عربية بعُدت عن غيرها من قبائل العرب زماناً أو مكاناً»².

ويرتبط مفهوم الغريب عند الزمخشري بالمتشابه، وسمّاه (التفنن في استعمال التعبير) ويكون التفنن في القرآن الكريم بكامله، وهو ما أدرجه علماء القرآن في المتشابه، ويرتبط مصطلح التفنن بمفهوم الاختيار الداخل في تحديد مفهوم الأسلوب، والدال على قدرة المتكلم في تلوين الكلام³. لهذا يقول الزمخشري في دراسته للأساليب المتقاربة من حيث المعنى: «ما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام افتناناً، وتجمع الغاية وما دونها، على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه»⁴.

ويتحكّم في المثير الأسلوبي عندئذ السياق القرآني (الفصل الأخير من هذا البحث)، وعليه يكون الأسلوب تنوعاً لطرق التعبير المختلفة التي يقتضيها السياق. كما أطلق الزمخشري مفهوم الأسلوب على الافتتاح المتشابه بين سورة ق وسورة ص يقول الزمخشري: «الكلام في ق (والقرآن المجيد بل عجبوا) نحوه في ص (والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا) سواء بسواء لالتقائهما في أسلوب واحد»⁵.

1- القول لأبي حيان الأندلسي في كتابه (تحفة الأريب لما في القرآن من الغريب)، نقلاً عن: أحمد مختار عمر، قاموس القرآن الكريم، ط1، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1993/1414، ص103
2- هادي نهر علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط1، اربد-الأردن-، عالم الكتب الحديث، 1429هـ/2008م ص251.

3- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص10.

4- الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض بمشاركة أ.د فتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، ط1، السعودية -الرياض-، مكتبة العبيكان، 1418/1998، ج03/ 103.

5- المصدر نفسه، ج04/ 379.

لقد حمل القرآن الكريم الكثير من الألفاظ الغريبة التي انعكست غرابتها على معنى التركيب ومعنى الآية أو السورة ككل، ولذا استعان الصحابة على فهمها بالنبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً، أو بما ورد في أشعار العرب، « فقد كانت تخفى عليهم معاني بعض الكلمات من القرآن... وهي تعدّ من الغريب الذي كانوا يسألون عنه النبي صلى الله عليه وسلم، أو يسأل بعضهم بعضاً... ويستعينون بما ورد عن العرب في شعرهم ونثرهم»¹، ولعلّ في قصة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه اعتبار لما « سئل عن قوله تعالى: (فاكهة وأباً). فقال: أيّ سماء تظلّني؟ وأيّ أرض تقلّني؟ إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم»².

ويذكر أحمد مختار عمر في هذا الموضوع أنّه « قد ألف كثير من العلماء في غريب القرآن، وحملت تأليفهم أسماء كثيرة أشهرها ثلاثة هي: (غريب القرآن)، (معاني القرآن)، (مجاز القرآن) »³، فالظاهر أنّ معنى المجاز أقرب من معنى (الغريب)؛ ولذا كان في المجاز الكثير من المسائل اللغوية التي توقف عندها العلماء بالبحث والشرح وحتى التأويل.

ومعرفة لغات العرب أساس لمعرفة أهمية تفسير الغريب « كان من مقومات فهم القرآن وتفسير معانيه معرفة الألفاظ الغريبة، فلا يتمكن من تفسير القرآن من يجهل معاني بعض ألفاظه»⁴، ناهيك عن مراعاة القرائن السياقية.

لقد ذكر ابن الأثير قيمة اللفظ الغريب في التركيب القرآني، وأورد عنه قوله تعالى: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ، تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾⁵، فلفظة (ضيزى) تحمل غرابة في نفسها وفي المعنى

1- علي أحمد طلب، دراسات تحليلية، ص 08.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، بيروت- لبنان-، دار الفكر، 1980، ج1/ 296.

3- أحمد مختار عمر، قاموس القرآن الكريم، ص104.

4- علي أحمد طلب، دراسات تحليلية لغوية، ص09.

5- النجم/21، 22.

كلّهُ، ومردّد ذلك حسبهُ أنها جاءت على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه، وغيرها لا يسدّ مسدها في مكانها»¹، وفي الآية مراعاة للفواصل القرآنية التي جاءت عليها الآيات.

قال الفراء: « (ضيّزى)، ومن العرب من يقول: (ضيّزى) وبعضهم يقول: (قسمة ضازى، وضوْزى...، وإن رأيت أولها مكسوراً هي مثل قولهم، (بيض) و(عين)، كان أولها مضموماً فكرهوا أن يترك على ضمته، فيقال: (بوض) و(عون)...، فكسروا أولها ليكون بالياء»². ويذكر الألوسي في ذلك: « وجوز أن يكون (ضيّزى) (فعلى) بالكسر ابتداءً على أنه مصدر كـ(ذكرى)، ووصف به مبالغة وهو من الفعل (ضازره) (يضيزه) »³. وجاءت هذه الصيغة في (روح المعاني) دالة على معانٍ متعددة؛ يعنى بها في مستوى الدلالة اللفظية.

وكانت ألفاظ غريب القرآن قد تجاوزت حدود الدلالة إلى حدود الإعجاز فهي «مُخالفةٌ معناها وسياقها الخاص، ووقعها في النفوس موقف التقبّل والقبول السريعين، بما يؤكد أنّ القرآن الكريم وإن حفل بالغريب كتاب معجز في لفظه وسياقه»⁴. أما الغريب القرآني فهو: الألفاظ القرآنية، التي يبهم معناها على القارئ، والمفسر، وتحتاج إلى توضيح معانيها.

وللرّافعي رحمة الله عليه في كتابه (إعجاز القرآن) عبارة؛ يوضّح فيها معنى الغريب في القرآن الكريم، فيقول: « في القرآن الكريم ألفاظ اصطلاح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنه منكّرة، أو نافرة، أو شاذّة، فإنّ القرآن منزّه عن هذا جميعه، وإنّما اللفظة الغريبة

1- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه معلّق عليه: د.أحمد الحوفي ود. بدوي طبانه، د ط، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د ت، ج 1/ 160.

2- الفراء، معاني القرآن، تح: محمد علي النجار، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983. 98/3.

3- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: محمد حسين العرب بإشراف هيئة البحوث والدراسات، دار الفكر، لبنان، 1414هـ/1994، ج 81/27، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، 367/5.

4- هادي نهر علم الدلالة التطبيقي، ص254، 253.

ههنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل؛ بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس»¹.

لقد توقف بعض العلماء قديما من الخوض في مدلولات ألفاظ معينة من (غريب القرآن) رغم أنهم كانوا يدركون الدلالة الإجمالية للفظ التي تؤدي إلى فهم النص. وأحيانا لا تكون غرابة اللفظ في ذاته، كما أحصته كتب الغريب، ولكن نجد أن التركيب القرآني هو الذي أكسب هذا اللفظ (الغرابة)، في استعمال لم يعهده العرب سابقا، ومن هنا يكتنف اللفظة غموض ينتج عنه تعدد في المعنى واختلاف في الفهم². فيجتهد القارئ (المفسر) في تتبع الطرق والوسائل المؤدية إلى المعنى المقبول.

3- المُشكَل:

كلما ذكر مصطلح (المشكل) إلّا وارتبط معناه عموما بالغريب والمتشابه على الرغم من اختلاف هذه المصطلحات الثلاث، وقد ارتبط أكثر بالمتشابه، وجعله الله تعالى في كتابه العزيز لقياس إيمان الناس، ولذا عمل الباحثون في علوم القرآن على استكشاف وجوه الحكمة منه. ويراد بالمشكل ما جاء فيه إشكال، ومنه أُلْتَبِسَ معناه، وقد نال حظا وافرا من الدراسة في تراثنا العربي فقد ذكره ابن قتيبة بالمعنى « ويسمى مشكلا لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره فشابهه وشاكله، ثم قد يقال لكل ما غمض وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل »³.

الجدير بالذكر أنّ مفهوم المشكل يتجاوز حدود اللفظ، فيتعداه إلى حدود التركيب وحتى السياق، ولعلّ هذا ما قصده ابن قتيبة في قوله (وان لم يكن غموضه من هذه الجهة)، زيادة على

1- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط8، بيروت، دار الكتاب العربي، 2005، ص71.

2- ينظر: قضايا اللغة في كتب التفسير، د. الهادي الجطلوي ط1، تونس، دار محمد علي الحامي للنشر مخطوط دكتوراه-، 1998، ص255-256.

3- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص86.

وصفه له بالغموض الذي يضيف غرابة على اللفظ والتركيب ككل، فاستعمال مصطلح المشكل كمفهوم مقارب لـ (المثير الاسلوبي) نظرا لتموقعه في غموض المعنى، وما يلحق ذلك .

جاء في مفهوم مصطلح المشكل - اصطلاحا- « ما لا يُنال المراد منه إلّا بتأمل بعد الطلب، أو أنه اسم لفظ يشتبه المراد بدخول في أشكاله، أي على وجه لا يعرف إلّا بدليل يُتأمل في استخراج المراد من دلالاته »¹، فتأمل اللفظ، وتأمل التداخل الحاصل بين الأمثال والأشياء في المعاني الناتجة عن التركيب بتلك الألفاظ أمر لا بد منه لتحصيل الدلالة المقصودة. وبهذا المعنى يدلّ مفهوم هذا المصطلح على كلّ ما كان فيه غموض أو خفاء أو إبهام، ومن ثمة قارنوا بين بعض المترادفات منها، كما هو الحال بين (المشكل) و(الخفي).

يقول الزمخشري: «...فإن قلت: فهلا كان القرآن كله محكما؟ قلت: لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عما يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال، لما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه »². فالمؤمن يقبل كل ما ورد في القرآن الكريم، ولو لم يعرف حكمة تشريعه، والذي في قلبه مرض، يتساءل: لماذا؟ ثم يؤول تأويلات قد تكون باطلة.

وفي قضية (المُشكَل) بين الغموض والخفاء أسباب أذكر منها³:

1- طبيعة النظم من حيث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والفصل والوصل، فيصير الكلام مقلوبا أحيانا.

2- قد يقصد المنشئ الإبهام والإخفاء والتعمية.

3- الإشارة المقصود بها اشتغال اللفظ على معان بإيماء إليها، أو لمحة تدلّ عليها، هذا عن الخفاء.

1 - القول لصاحب الإتيان، نقلا عن علم الدلالة التطبيقي، هادي، ص255.

2- الزمخشري، الكشف، ج1/255.

3- الأسباب كثيرة ذكرت منها ما يناسب البحث، ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 256-275.

أما الغموض فمن أنماطه غموض في:

1- اللفظ دلاليا وتركيبيا.

2- تعددية المراجع بسبب استعمال الضمير العائد.

3- استحالة الصورة.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا¹، فالآية تشير إلى وجود آواني في الجنة، ويتحدّد الإشكال بين (القوارير) ومعدن (الفضة)، فما المقصود بذلك ؟

يقول صاحب التعريفات: « إذا تأملنا علمنا أنّ تلك الأواني لا تكون من الزجاج ولا الفضة بل لها حظ منهما، إذ القارورة تستعار للصفاء، والفضة للبياض والقوة، فكانت الأواني في صفاء القارورة، وبياض الفضة²، فبمعرفة الفائدة من كل مادة يزول اللبس، ويزول معه المُشكل من لفظ القوارير في تركيبه في السلسلة الكلامية التي حملت معها معدن الفضة.

أما الدكتور فاضل صالح السامرائي في كتابه (لمسات بيانية)؛ فقد استفاد في ولوجه معنى الآية، وقد تسلسلت لديه دلالاتها، فاستهلّ تخريجه بما سبق والذي يمثّله (ذكر الفاكهة ذكر الشراب بعدها)، وذكر المشروب بعد الطعام في حكم المعلوم والمتواضع عليه، والظاهر هو ذكر الطعام قبل الشراب، وهذا متعارف عليه بحكم أهميّة الطعام.

وفي تعقيبه لبيان قوله تعالى (قوارير من فضة) تبعا لما ذكره في الفقرة أعلاه؛ يورد ما يلي « والمعلوم أنّ القوارير تكون من زجاج فكيف جمع بين القوارير التي هي من زجاج وبين الفضة؟

1- الإنسان 15/16.

2- الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: نصر الدين تونسّي، ط1، القاهرة، ص181.

ونقول أن الفضة هي فضة في صفاء القوارير وشفافيتها وهذه هي فضة الجنة العجيبة¹. ثم يبين المعنى السالف في الآية السابقة ويدعمه؛ ذاكرا قوله تعالى (وقدروها تقديرا). فيها معنيان: الأول على مقدار حاجتهم لا أكثر ولا أقل. والثاني على ما تشتهيهم أنفسهم كيف تكون هيئة القوارير وشكلها؛ أي قدروها على ما يرغبه الشخص من هيئة وشكل². والثالث في هذه اللمسة البيانية؛ التوافق بين معاني الآيات على التوالي بما يوافق معنى الآية الشاهد (بَآيَةٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ)، وعندئذ تتشكل بالتكافؤ المساواة التالية:

ذكر الفاكهة ثم الشراب = قدم الطعام على المشروب = الألوان ثم القوارير

أي: الفاكهة طعام تناسبها الألوان من جهة، أما الشراب أو المشروب فيناسبه القوارير من جهة أخرى.

4- اللطيفة:

ارتبط مصطلح (اللطائف) بالتفسير القرآني، ويصرّ المفسرون على ذكره لما في القرآن من جودة نظم من خلال دقة التراكيب، وخفاء المعاني. وأوضحت المعاجم العربية معناه في مادتي (لَطَف) و(لُطْف)، « يقال لطف به وله بالفتح، يلطف لطفًا إذا رفق به. فأما لطف، بالضم، يلطف فمعناه صغر ودق... واللطيف من الكلام: ما غمض معناه وخفي...»³.

ويشترك معنى اللطائف مع معنى (الملح) و(النكت)؛ فهذا الموضوع « يحرص عليه كثيرا ممن يقرأ في كتب التفسير، وهي ما يسمى بلطائف التفسير، أو ملحه أو نكته، وقد يتوسّع بعضهم

1- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط3، دار عمار للنشر، عمان -الأردن- 2003/1423، ص178.

2- المرجع نفسه، ص180.

3- ابن منظور، لسان العرب، ج9/ 277، 278.

فيسميتها فوائد، مع أنّ الفوائد أوسع مدلولاً من المصطلحات السابقة»¹ كما يعدّ التندرّ أو الإلغاز سبباً من أسباب اللعب بالكلمات؛ فيحدث تداخلاً بين متعدد المعنى؛ أي في استطاعة المتكلم أن يتلاعب بالمعاني.

وعليه، يحقّق معنى (اللّطائف) مفهوم (المثير الأسلوبى)؛ لأنّه إذا كان معناه اللغوي الذي أشرت إليه، فإنّ تسمية اللطائف يكون « لما فيها من الخفاء الذي لا يدرك إلّا بإمعان نظر، أو للترفّق في الوصول للطيفة، أو لاجتماعهما معا فيها»²، وصبّت كتب إعراب القرآن في هذا المعنى لما فيها من لطائف أسلوبية زيادة على فوائدها النحوية.

قد تجمع اللطائف بين (المُح) و(النكت) في الوقت نفسه؛ لما في الملح « من الغرابة التي يستعذبها القارئ ويستلذّها حتى تستوي على لبه...و يظهر أنّها أشبهت بحسنها الملح الذي يحسنّ طعم الطعام ويزينه...، وسُميت اللطائف نكتاً لأنّها تؤثر على لبّ قارئها، فأصل النكت يرجع إلى معنى التأثير اليسير على الشيء»³، فبين الملح والنكت تتكشف اللطائف كقالب تستويان فيه.

ومن أمثلة اللطائف الأسلوبية المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، ما جاء في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾⁴، فكيف يتمّ التبديل؟ وما طبيعته؟ وإن كان كذلك أ يكون التبديل في الأشكال؟ أم في الصفات؟

وقد أورد الألوسي نصاً يبيّن فيه ذلك بقوله: « أي: أهلكناهم وبدّلنا أمثالهم في شدة الخلق...فالتبديل في الصفات...و لكون الأمر محققاً جيء بـ(إذا)، وذكر المشيئة لإبهام وقته...»

1- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، ملح التفسير ولطائفه، ملتقى أهل التفسير، شبكة التفسير والدراسات القرآنية، ماي 2006، attayar@hotmail.com، ص02.

2- المرجع نفسه، ص02.

3- المرجع نفسه، ص02.

4- الإنسان/ 28.

ويجوز أن يكون المعنى: وإذا شئنا أهلكناهم وبدّلنا غيرهم ممن يطيع، فالتبديل في الذوات، و(إذا) لتحقّق قدرته تعالى عليه...»¹.

في حين نجد السامرائي يربط معنى هذه الآية بما قبلها في صورة تعالق وتراتبية، وفي شكل علاقة قويّة العرى؛ بالنظر إلى قوله في السياق الكلّي: « هذا يدل على أن الذي خلقهم وشدّ أسرهم (نحن) هو الذي أنزل عليهم القرآن (نحن) فينبغي لهم أن يسمعون لكلام خالقهم ويطيعوا تنزيله فكأن الآية التي سبقت هي مقدمة لهم بأن يسمعون ما أنزل على الرسول... والأسر هي المفاصل والعظام وما إلى ذلك. فهو الذي أحكم خلقهم وشدّ أسرهم... فالخلق نعمة وشدّ الأسر نعمة وهو القادر أن يفعل ما يشاء (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً) »².

والجدير بالذكر في قواعد العربيّة أنّ الجملة الاسمية تفيد الثبات؛ ولعلّ تقديم الضمير المنفصل (نحن: مبتدأ) على (خلقناهم: خبر)؛ إثبات على تنزّه الخالق عزّ وجلّ، وتفردّه بمخلوقاته تأكيد منه تعالى على قدرته أن يفعل بخلقه ما يشاء، ويستلزم منهم مقابل هذه الخصوصية الإذعان له وطاعته عزّ من خالق.

الحصُول أنّ اللّطائف الأسلوبية لا تتشابه بتشابه الآيات، لأنّ للسياق دوراً بصفته يحيط بنظمها، هذا من ناحية، وما يعدّه أحد المفسرين لطيفة أسلوبية لا يعتبره آخر كذلك من ناحية أخرى، لكن كلّ المفسرين يتفقون على حكم واحد بالنسبة للّطائف باعتبارها تعبير دقيق بلاغياً وبالتالي فإنّه يستحسن عدم ضبط اللّطائف بقاعدة أو قانون؛ لأنّ ذلك تقييد وتضييق عليها، وهذا ما لا يحقق للمثير مبتغاه.

1- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ملح التفسير ولطائفه، ص 03.

2- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التّزِيل، ص 181.

5- بين العدول والانزياح:

5-1- العدول:

وُجدت في تراثنا العربي إشارات لمفهوم العدول مع اختلاف المصطلح، وعدم دراسته وتحليل مكوناته، فقد أجمع علماء العربية قديماً على أن أسلوب القرآن العظيم خارج عن المألوف من كلام البشر، وهذا يبين تنبّه العرب إلى هذه الظاهرة الأسلوبية إذ أجازوا العدول عن أصل اللغة، وقد اتّضح أكثر في العصر الإسلامي لوقوعه في لغة القرآن الكريم، فتناوله علماء النحو والفقه والأصول بتسميات مختلفة منها: العدول والانزياح والانحراف، وحتى الالتفات.

لقي مصطلح (العدول) ومفهومه ومجالاته التطبيقية اهتماماً منقطع النظير لدى البلاغيين وتميّز عندهم في تخيير الألفاظ، وهو في مفهوم النحويين « خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغ أخرى »¹. وتحيل مادة (عدل) في المعاجم اللغوية العربية إلى دلالات كثيرة² منها: العدل ضد الجور. وعدل عن الحق إذا جار عدولاً. وعدل عن الشيء يعدل عدلاً وعدولاً: حاد، وعن الطريق: جار، وعدل عن الطريق نفسه: مال. ويهمننا من الدلالات السابقة ما يشير إلى معنى التحول عن الشيء إلى غيره. وهو المعنى الذي اعتمدته، وعلى أساسه أجري مقارنة ظواهر التحول والعدول من صيغة إلى صيغة أخرى في السياقات القرآنية بحثاً عما تحمله من دلالات وقيم جمالية.

وأقف عند خاصية هذا العدول بالنظر إلى فائدته النحوية والبلاغية، والسياقية، وارتباطها ببعض المفاهيم في الدلالة النحوية والتفسيرية والبلاغية، وهاته الثلاث تجتمع على دلالة واحدة هي دلالة الانصراف عن الشيء وتركه والتحول إلى غيره. يقول القرطبي في مسألة تنصيب الإمام المفضول مع وجود الفاضل: « فإذا خيف بإقامة الأفضل الهرج والفساد وتعطيل الأمور التي لأجلها

1- الشريف الجرجاني، التعريفات، ص124.

2- ابن منظور، لسان العرب، ج4/129.

ينصب الإمام ، كان ذلك عذراً ظاهراً في العدول عن الفاضل إلى المفضول»¹. ويقول الشوكاني: « فإنّ العدول عن دعاء القادر إلى دعاء غير القادر أقبح وأقبح »².

يرى البلاغيون في حسن تخيير اللفظ « نوع من أنواع العدول، فكأنّ الاختيار في حقيقته إنما هو عدول على المستوى النمطي أو العادي من اللغة إلى المستوى الفني من الكلام، وقد يمثل تخيير اللفظ نوعاً من العدول عن النظام اللغوي أو عن الاستخدام الشائع، أو عدولاً داخلياً...»³. وللدلالة ذاتها يوظف البلاغيون مادة (عدل)، قال عبد القاهر الجرجاني: « وغرضي بهذا أن أعلمك أن من عدل عن الطريقة في الخفي، أفضى به الأمر إلى أن ينكر الجلي»⁴.

ويقول أيضاً: « واعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين : قسم تعزى المزية والحسن فيه إلى اللفظ ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم، فالقسم الأول للكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة، وكل ما فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر، فما ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذ وقع على الصواب وعلى ما ينبغي أوجب الفضل والمزية »⁵؛ ويقصد من قوله ترك طريقة في القول معروفة إلى طريقة أخرى لأنها أحسن ولمعنى زائد سببه حاجات في التعبير يقصر التعبير الحقيقي عن تأديتها.

يقول الإمام السكاكي: « والمتأخرون ما وقعوا في التطويلات وتدوينهم لما دونوا من الأسفار إلا لعدولهم في العكس عن حفظ الجهة ، وأول حامل حملهم – فيما أرى -على العدول عنه

1- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006، بيروت لبنان، ج1/271.

2- الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: سيد إبراهيم، ط3، دار الحديث، القاهرة، 1997، ج1/666.

3- عبد الحميد أحمد هندواوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، ط1، اربد-الأردن-، عالم الكتب الحديث، 1429هـ/2008م ، ص144.

4- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، 132/2.

5- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص42.

المتعارف العامي»¹ . ويقول ابن الأثير عن القرآن الكريم: « فمن أخذ به نجا وسلم، ومن عدل عنه هوى وندم»² ويتفق هذا التعريف مع المفهوم العام للعدول وهو ترك الشيء والتحول عنه إلى غيره. ويرى القرطاجني أن العدول في إثارة المفاجأة « ولما كانت النفوس تحبّ الافتتان في مذاهب الكلام وترتاح للنقلة من بعض ذلك إلى بعض ليتجدد الكلام عليها، وكانت معاونة الشيء على تحصيل الغاية المقصودة به بما يجدي في ذلك...فوجب أن يكون الشعر المراوح بين معانيه أفضل من الشعر الذي لا مراوحة فيه »³. فالقرطاجني يرى أن عنصر المفاجأة والمجيء بما هو غير العدول الصرفي في القرآن الكريم.

ويتلخص مفهوم العدول في حقل الأسلوبية بـ« الانتهاك الذي يحدث في الصياغة، والذي يمكن بواسطته التعرف على طبيعة الأسلوب...»⁴ . فبالنظر إلى الأسلوب يتراءى العدول كصفة خصيصة تميز صاحب الأسلوب أو الأسلوب في حدّ ذاته، خاصّة إذا ما حقّق اختراقاً على مستوى الأداء اللغوي.

هذا ويتحدّد مفهومه أيضا في أنّه « التعبير ببنية تركيبية متصرف في بنيتها الأصل، تقديم أو تأخيرا»⁵، وقيمة هذا الشكل من التعبير تضيفي قيمة دلالية، وأخرى أسلوبية في مستوى اللغة الخارجي، ومستواها الداخلي على التوالي.

1- السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م، ج4/211.

2- ابن الأثير، المثل السائر، ج5/72.

3- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص361.

4- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص198.

5- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص286.

ويتحدّد من جهة أخرى في أنّه « شكل منحرف عن المعيار»¹، والمراد بالمعيار هو القاعدة الداخلية التي تركّب الألفاظ، أو القاعدة الخارجية التي تقتزن بما يمليه السياق بالنظر إلى القرائن أي أنّ العدول يتم في مستوى اللفظ أو بنية اللفظ، ويتم في مستوى أشمل من ذلك يحدّده السياق.

يشكّل العدول محور دراسة المعاني، فقد « دارت مباحث المعاني في كثير من جوانبها حول العدول على النمط المألوف... وهذا العدول يمثل الطاقات الإيحائية في الأسلوب»²، وليس الإيحاء الأسلوبي الّا مثيرا أسلوبيا، سواء في الإيحاء اللفظي باستعمال ألفاظ ذات شفافية وقدرة على الاختراق، أو في الإيحاء التركيبي بكسر المعيار اللغوي.

إنّ العدول في علاقته بالظاهرة الأسلوبية ينبغي إحاطته بشيء من الرقابة، وأهميته تكمن في تغيير مجرى المعاني الناتجة، والدلالات المرجوة، فبه « يمكن استخلاص الظواهر الفنية للأداء التركيبي والوصول إلى نتائج محدّدة، وذلك برصد كيفية تركيب الأداء ونظام الترتيب اللغوي للجمل، ومدى التسلسل والتتابع أو طريقة التشابك بينها...»³.

ويعطي محمد عبد المطلب لقيمة العدول في مباحث التقديم والتأخير أهمية كبيرة فطابعه الأسلوبي والدلالي يظهر من خلال « التركيب الذي يخضع بالضرورة لطابع اللغة ونمطها المألوف في تركيب أجزاء الجملة، من حيث كان العدول عن هذا النمط بمثابة منبّهات فنية يعمد إليها المبدع لخلق صورة فنية متميزة »⁴، وما يهّمنا هو معرفة قيمة العدول والمستوى الذي يتم فيه؛ بالنظر لعلاقته بالتركيب اللغوي.

1- عبد الحميد هندواي الإعجاز الصرفي في القرآن، ص: 146.

2- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص: 199.

3- رجاء عيد، البحث الأسلوبي، ص 148.

4- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص: 200، 201.

ليس مجال العدول في مباحث المعاني مقتصرًا على التقديم والتأخير فحسب؛ بل له صلة أوثق بتشكيلات بلاغية أخرى، كالإيجاز والإطناب؛ فقيمتها البلاغية تتضح « من حيث كانا ممثليْن لعدول عن أصل مفترض هو المساواة التي حدّدها ابن مالك بأن يكون لفظ الكلام بمقدار معناه لا ناقصا عنه بحذف للاختصار، ولا زائدا عليه يمثل الاعتراض والتتميم والتكرار أما التوسيع وهو أن يزداد في الكلام ما يصير به على الضدّ مما ذكر»¹. ولذا كانت غاية الإيجاز والإطناب في التعبير جمالية من حيث قيمتها البلاغية، وذات قيمة دلالية من حيث إرادة الإفصاح، فسلك بذلك مسلك المثير الأسلوبية.

وفي القرآن الكريم وردت مادة (عدل) بصيغ مختلفة لمعانٍ متعددة. والذي ذكر في مفهوم العدول لدى المفسرين؛ جاء بمعنى التسوية. يذهب الفخر الرازي مفسراً قول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾² إلى القول: «عدل الشيء بالشيء إذا سواه به، ومعنى يعدلون يشركون به غيره. فإن قيل: على أي شيء عطف قوله. قلنا: يحتمل أن يكون معطوفاً على قوله (الحمد لله) على معنى أن الله حقيق بالحمد على كل ما خلق لأنه ما خلقه إلّا نعمة ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ فيكفرون بنعمته ويحتمل أن يكون معطوفاً على قوله (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) على معنى أن خلق هذه الأشياء العظيمة التي لا يقدر عليها أحد سواه، ثم إنهم يعدلون به جماداً لا يقدر على شيء أصلاً. فإن قيل: فما معنى (ثم)؟ قلنا: الفائدة فيه استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته، والله أعلم»³.

ومما يلاحظ من العرض السابق أن القرآن الكريم لم يوظف مصطلح العدول بمعنى الانصراف عن الشيء وتركه إلى غيره. وبالتالي ليس كل عدول مثيراً؛ لأنّ ذلك يقدره المتلقي الذي

1- محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 203.

2- الأنعام/1.

3- الرازي، مفاتيح الغيب، ج 16/257.

أفردته بالبحث (انظر العنصر الثاني من هذا البحث)، وسيأتي الحديث عنه أيضا في الفصل الأخير (السياق).

يمتلك مصطلح العدول بكونه ظاهرة أسلوبية جمالية ، وبوصفه تقنية أسلوبية فذة حضوراً بارزاً في الدرس اللغوي العربي القديم ، فقد تنبّه الدارسون العرب القدماء إلى سمة بارزة من سمات الأسلوب العربي هي سمة المراوحة بين الأساليب والانتقال المفاجئ من أسلوب إلى آخر ومن صيغة إلى أخرى، وقد أطلقوا على هذه الظاهرة مصطلحات عدّة منها: « المجاز والنقل والانتقال والتحريف والانحراف والرجوع والالتفات والعدول والصرف والانصراف والتلون ومخالفة مقتضى الظاهر وشجاعة العربية والحمل على المعنى والترك ونقض العادة وغير ذلك »¹.

تباينت آراء الدارسين في تحديد ماهية القاعدة أو الأصل الذي يتم العدول عنه ، هل هي القاعدة المعيارية المتواضع عليها ، أو أنها القاعدة السياقية التي يفرضها السياق اللغوي ويستأثر بتشكيلها ؟ فيرى بعض الدارسين « أن السياق هو الأصل الموثوق به في عملية العدول، فهو وحده الأصل الذي يمكن مشاهدته والإمساك به ووضعه موضع المقابلة بينه وبين أي وحدة من وحداته .. ومن ثم يصبح السياق هو مظهر العدول الحقيقي عن أي قاعدة من القواعد، ومن ثم يكون جديراً بأن يكون هو القاعدة السائدة في قياس العدول »².

تعدّ ظاهرة العدول إحدى الظواهر الأسلوبية التي تتميز بكفاية عالية في القيام بوظائف مختلفة في بنية الخطاب اللغوي على مستويات شتى ومن زوايا نظر متعددة . وإذا كانت عملية الاتصال اللغوي لا تتشكل إلا بوجود ثلاثة أقطاب رئيسية هي : المبدع ، النص ، المتلقي ، فإنّ ظاهرة العدول تؤدي وظائف استثنائية بالقياس إلى كل قطب من هذه الأقطاب الثلاثة.

1- عبد الحميد هندراوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص14.

2- المرجع نفسه، ص 148، 149.

وفي خضمّ التعدّد المصطلحي لمفهوم العدول، أفاض أصحاب الدلالة والأسلوبية كثيراً بدراستهم لمصطلح ((الانحراف) كشريك للعدول أو بديل عنه من حيث اتّصال هذا العدول بالانحراف الأسلوبي، وبالسياق - الذي أفردته بفصل- وبانحراف ينتهك القاعدة.

يمسّ الانحراف الصيغة الصرفية وبناء المفردات، على اعتبار وضوح القانون الذي يحكمها ويحدّها. ويكاد أن يتطابق مفهوم الأسلوب- في بعض استعمالاته- والانحراف؛ إذ أنّ « تعريف الأسلوب بالنظر إلى النص على أنّه قد يكسّر القواعد اللغوية الموضوعة أو يخرج عن النمط المألوف للغة، أو يبتكر صيغ وأساليب جديدة... هذا الخروج عن الاستعمال العادي للغة يطلق عليه الأسلوبيون وعلماء اللسانيات عدة مصطلحات لعل أبرزها الانحراف»¹.

ويربط صلاح فضل بين الانحراف والسياق، فيقول: «...فإن اختلاف التأثير الناجم عن الانحراف الدائم يمكن شرحه بسهولة إذا كان طرف التقابل متغيراً في نفس الوقت وهذا الطرف المتغير لا بدّ أن يكون السياق»، فكلّما وُجدت القرائن خاصة الخارجية منها، كلّما تجلّى الانحراف؛ فكأنّ العلاقة بينهما طردية، تخضع لمقدار الزيادة والنقصان؛ أي حضور الانحراف بقوة يكون في حضور السياق. ويختم حديثه عن تلك العلاقة بذكره أهمّ خاصية أسلوبية لها، ويصطلح عليها (التنوع)؛ فيقول: « هو الذي يوضّح لنا السبب في عدم اعتبار اضطراد القاعدة واقعة أسلوبية بالضرورة بمثل ما أنّ التأثير الأسلوبي لا يتوقف دائماً على الشذوذ عن القاعدة»². وعليه يتلخّص مفهوم الانحراف بمعنى الشذوذ الذي ذُكر، وهو تفسير للنمط المألوف في التركيب، وبالتالي تشكّل قاعدة الانحراف الناشئة ظاهرة لغوية لافتة في النص، وحيلة يلجأ إليها الكاتب لجذب انتباه القارئ.

1- عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط1، القاهرة- مصر- مكتبة وهبة، 1413هـ/1992م، ص 140.

2- صلاح فضل، علم الأسلوب، ص 192.

وهذا المصطلح لا يليق بالنصّ المقدّس، ومع تمسك بعض الأسلوبيين على هذه الترجمة الحرفية للمصطلح أدى إلى إثثار إحياء المصطلح العربي القديم العدول؛ لأنه أحسن من الناحية العلمية، إذ يسمح بتوحيد المصطلح لإمكانية إطلاقه على النص القرآني، وطالما هو موجود في تراثنا القديم، فمن الأولى أن نتمسك به، أما مصطلح الانحراف فإنه يصف السلوك والمنهج، فهو يخص الدراسات النفسية.

5-2- الانزياح:

اهتمّ الدارسون المحدثون بظاهرة (الانزياح) في حقل الأسلوبية، وخصّوه بعناية فائقة كونه أحد محدّدات الأسلوب الثلاثة، بالإضافة إلى الاختيار والتركيب، وما يهتمّ في هذا المصطلح هو معرفة مدى قبوله كمثير أسلوب، وتحقيقه لقيم دلالية، وأخرى جمالية في النص.

إنّ في عملية الخروج عن الواقع اللغوي لآخر طارئ يعيننا على تدبّر دلالاته التي يومئ إليها. يرى الدكتور نورالدين السّد قيمة دلالية لعنصر من عناصر الأسلوبية، ويتجلى ذلك حين نتدبّر التركيب، ونحاول فهمه؛ إذ أنّ « الانزياح هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي يظهر في تشكيل الكلام وصياغته... »¹.

ويذكر أيضا تقسيم الأسلوبيين اللغة إلى مستويين «المستوى العادي وتتجلى فيه هيمنة الوظيفة الإبلاغية... والمستوى الإبداعي وهو الذي يخترق الاستعمال المألوف للغة وينتهك صيغ الأساليب الجاهزة...»²، ففي المستوى الإبداعي خرق لغوي يؤثّر في المتلقي ويضفي على النص جمالية.

1- نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، د ط، الجزائر، دار هومو للنشر، د ت، ص 179.

2- المرجع نفسه، ص 196.

وعليه فإنّ في مفهوم الانزياح شيء من العدول، وفيه تفسير للنظام الفعلي للغة، ويتحدّد على أنّه « خروج عن النمط التعبيري المتواضع عليه، فهو خرق القواعد حيناً، واللجوء إلى ما عزّ وندر حيناً آخر»¹. ولذا كان الانزياح سمة أسلوبية، تثير انفعالات متعددة ومتميزة، ويقابل ذلك دلالات ممكنة؛ فارتبط حينئذٍ بالبلاغة والأسلوبية، « فهو من مشمولات علم البلاغة فيقتضي إذا تقييدا بالاعتماد على أحكام معيارية، والبحث فيه متطلب لغوي أسلوبى»².

وحَتَّى يتحقّق للانزياح مفهومه الأسلوبى، والمتمثّل أيضاً في القدرة على انتهاك واختراق المألوف في مستويات اللغة، يجب « عدم حصر الكلام في تكرار جمل جاهزة، كل واحد يستعمل اللغة لأجل التعبير عن فكرة خاصة في لحظة معينة، يستلزم ذلك حرية الكلام»³. وإذا كان للانزياح في النص وقع لغوي، وبصمة جمالية، فإنّه يعبر عن حدث أسلوبى في علاقته بالأسلوب، وبتنوع النصوص المثيرة كان لزاماً أن تتعدد أنواع الانزياح، ولعلّ أبرزها انزياح النص عن الشفرة اللغوية المتعارف عليها، والمقيّدة للتركيب ودلالته.

وقد استشهد منذر عياشى لتمثيل هذا النوع من الانزياح بقول الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً﴾⁴، معلقاً « فلفظ اللباس ليس من خواص الليل، كقولنا (الليل مظلم أو أسود أو مخيف)، ثمة معيار يحدّده الاستعمال الفعلي للغة، ذلك لأنّ اللغة نظام...»⁵، وكلامه هذا تبرير غايته ضرورة توافق اللفظ والقاعدة التركيبية والمعنى الناتج.

1- نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص192.

2- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص103.

3- المرجع نفسه، ص 101.

4- الفرقان/47.

5- منذر عياشى، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص77.

أمّا عن الانزياح فيراه « إمّا خروج على الاستعمال المألوف للغة، وإمّا خروج عن النظام اللغوي نفسه؛ أي خروج على جملة القواعد التي يصير بها الأداء الى وجوده »¹ والملاحظ أنه في (كسر القيود اللغوية كسر للمعيار)، وبالتالي نفهم تعمّد المبدع لما أبدعه. ومنه يتمظهر الانزياح في شكل مثير أسلوبى يعطي قيمة دلالية لغوية، وقيمة جمالية أسلوبية، ولذا ارتبط بالمتكلم إبداعا وبالمتلقي تأثيرا « ولا يتحقّق ذلك التأثير عادة إلّا بالخروج عن المألوف إلى الغموض الجميل »².

وفي تقسيم آخر للانزياح ما يثري مفهومه كمصطلح يضيف أكثر مصداقية ومقاربة لإحدى استعمالات المثير الأسلوبى؛ حيث أنّه يظهر كانزياح تركيبى، وآخر دلالي، يقول عبد السلام المسدي: « احتيال الإنسان على اللغة وعلى نفسه لسدّ قصوره وقصورها معا »³. واحتيال الإنسان فيه تلاعب بالألفاظ، وهدم متعمد للمعيار اللغوي، واستعمال أوسع للرموز والأمارات، وكل ما يحقق للانزياح غايته الجمالية والمثيرة.

يصنّف الدكتور عبد الجليل مرتاض الانزياح في صورة اللغة لا في اللغة نفسها؛ أي أنّه ينبّه للشكل الدلالي الذي يصير عليه التركيب القواعدي بعيدا عن القاعدة في حد ذاتها؛ بحيث « لا تسمح بأن يتخذ الإبداع مبررا لحمل قوانين اللغة على غير محلها »⁴. ويذكر أن الانزياح ما هو إلّا خرق أو ما يسميه مخالفة لسانية، وأجاب عن تساؤله: خرق دلالي أو قواعدي؟ بقوله « المخالفة

1- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص:77.

2- أحمد حساني، المكوّن الدلالي للفعل في اللسان العربي، د ط ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، 1993، ص 140، 141.

3- عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، ص 102.

4- عبد الجليل مرتاض الظاهر، والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2005، ص59.

لا تتعلق بمستوى قواعدي واحد دون المستويات الباقية، فحين يقول كاتب: (إنّ التراب أزرق مثل برتقالة)، فالأمر يتعلق بخرق دلالي لا سانتكسي...»¹.

ويشبه الانزياح بالمجاز في العدول إليه عن الحقيقة طلباً للاتساع، ولذا كان الغرض الأكبر للانزياح هو «توسيع الحقول الدلالية للعناصر الأساسية، الأمر الذي يجعلها تتبدى في أكثر من حقل، وذلك ما ذكره ابن جني بالاتساع»².

والجدير بالذكر أنّ تحديد المصطلحات المستعملة كمفاهيم للمثير الأسلوبي ليس بالأمر الهين، ويرجع ذلك إلى عدم اكتمال الدراسات حول مفهوم مصطلح (المثير الأسلوبي)، ومجالات تطبيقه في اللغة، أو في النص الأدبي، أو في النقد، ولذا اقتصر اسقاطه - في هذا البحث - على النص اللغوي عموماً، والقرآن الكريم بوجه خاص ثري بمجالات الخرق اللغوي العجيب واللافت، والذي يظهر كمثيرات أسلوبية.

6- الالتفات:

لما كان الالتفات يكاد يتطابق في تحليلات المفسرين بالأسلوب العدولي الذي يميّز القرآن الكريم، ولكثرة توفّره في النص القرآني، وفي هذه الكثرة تنوع لا نجده في نص من نصوص اللغة العربية، لهذا وجد فيه المفسرون مجالاً واسعاً للتحليل الأسلوبي، فحلّوه تحليلاً مستفيضاً؛ يقول أبو السعود (982هـ): «ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الأمم السالفة مع الرسل المرسلّة إليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم إبراهيم عليه الصلّة

1- عبد الجليل مرتاض الظاهر، والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، ص59.

2- أحمد حساني، المكون الدلالي للفعل، ص 141.

والسَّلامُ ممن لحق بهم العذابُ بل إنما لحق بقومٍ لو طُ منهم خاصةً غيّر الأسلوبُ المطرّدُ فيما سبق من قوله تعالى وإلى عادٍ أخاهم هودًا وإلى ثمودَ أخاهم صالحًا»¹.

أجمع أصحاب المعاجم على أنّ الالتفات في اللغة هو صرف الشيء عن جهته إلى أخرى. سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالجهات أو فيما يتعلق بالأمور المعنوية كالآراء والأحاسيس وغيرها، فقال ابن منظور (711هـ): «لَفَتَ وجهه عن القوم: صرفه. والتفت التفتاً والتفت أكثر منه. وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه... وقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾»². أمّر بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب... والتفت: الليّ. ولَفَتَه يلفته لفتاً: لواه عن غير جهة... وقيل: الليّ: هو ان ترمي به إلى جانبك ولفته عن الشيء يلفته لفتاً: صرفه»³.

أمّا في الاصطلاح فلم يقع إجماع على تعريفه ومباحثه وبواعثه. وهل هو من المعاني أم من البديع أم من البيان؟ وليس من مهمة البحث هنا التعمّق والخوض في سبب عدّه الالتفات من هذا القسم من البلاغة أو من ذاك. فقد نبّه الباحثون إلى هذا الاختلاف وفصلوا القول فيه تفصيلاً دقيقاً، وخير من تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد نجد الدكتور أحمد مطلوب؛ إذ يقول: «ولولا تقسيم السكاكي البلاغة على أقسامها وحصر كل قسم بتعريف منطقي جامع مانع لما احتيج إلى هذا التّحّل والإغراق في التأويل، وإلاّ فهل يمكن استعمال أسلوب الالتفات من غير ان يؤدي معنى

1- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، د ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د ت، ج4/224.

2- هود 81/.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة: لفت.

فيكون مطابقاً لمقتضى الحال وتكون فيه ظرافة وطلاوة؟¹. فالانتقال من أسلوب إلى آخر لا يكون إلا إذا اقتضى الحال وأريد به نوع من الإبداع والمتعة الفنية.

عدّ أبو هلال العسكري (395هـ) الالتفات من البديع وهو بهذا مسبوق بابن المعتز. لكن تقسيمه كان أدق وأوضح؛ إذ جعل الالتفات على ضربين: فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به ... والضرب الآخر أن يكون الشاعر أخذاً في المعنى وكأنه يعترضه شك أو ظنّ أن راداً يردّ قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً إلى ما قدمه، فأما أن يؤكد أو يذكر سببه أو يزيل الشك منه². وكلام أبي هلال العسكري يدلّ على أنه اطلع على ما ذكر قبله فيما يتعلق بظاهرة الالتفات.

أما الزمخشري (538هـ) فقد بيّن وعرف الالتفات حين عرض له من خلال تفسير القرآن الكريم وبيان أوجه البلاغة في آياته، ويعني عنده كل أقسام الالتفات إلا أنه لم يذكر أقسامه في موضع واحد كما فعل البلاغيون، لكنه كان يشير عند كل آية يرد فيها قسم من أقسام الالتفات بأنها من الالتفات ويذهب في سرد فائدته وما يتبع ذلك من أمور بلاغية إذ نجده يقول وهو يعرض لأول التفات في سورة الفاتحة: « هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم ... على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه »³. ويظهر مذهب الزمخشري في فائدة الالتفات الذي ذكره في كتابه (الكشاف) في مجال عود الضمائر.

1- أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د ط، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987/1407، ص268.

2- ينظر: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1952، ص392.

3- الزمخشري، الكشاف، ج1/64، 65.

لم يحدّ السكاكي (626هـ) الالتفات بحدّ كما فعل سابقوه؛ إذ نجده تارة يجعله في ضمن علم المعاني، وأخرى في ضمن علم البديع؛ إذ قال وهو يعرض له في علم المعاني في ضمن المسند والمسند إليه: «واعلم ان هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثهن ينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني»¹. وقال عن الالتفات وهو يتحدث في باب البديع: «ومنه الالتفات وقد سبق ذكره في علم المعاني»². وتتويه السكاكي يدلّ إلى أنّ الالتفات أقرب إلى علم المعاني.

ثمّ يأتي ابن الأثير (637هـ) ليعرض لهذا الفن ويكشف أسرارهِ. فيسميه (شجاعة العربية) في كتابه (المثل السائر). ويذهب إلى القول بأنّ الالتفات من (البيان): «وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يُدندنُ واليها تستند البلاغة وعنّها يعنعن. وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا»³.

وأفرد العالم اللّغوي الفذّ ابن جنّي في الخصائص باباً في شجاعة العربية، ألمح فيه للالتفات بمجموعة من الظواهر اللّغويّة، وهي في المجمل مستقلّة عن بعضها البعض. فذكر «اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف»⁴. ومثّل للالتفات بشكل خاصّ بالحذف، والذي قال فيه: «قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته. فأما الجملة فنحو؛ قولهم في القسم: (والله لا فعلت) (وتالله لقد فعلت)، وأصله: (أقسم بالله)... وكذلك الأفعال في الأمر والنهي والتحضيض؛ نحو قولك: (زيدا) إذا أردت اضرب زيدا أو نحوه. ومنه (إيّاك) إذا

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص87.

2- المصدر نفسه، ص179.

3- ابن الأثير، المثل السائر، ج2/170.

4- ابن جنّي، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط4، بغداد- العراق- دار الشؤون الثقافية العامة، 1990م، ج2/153.

حذَرْتَه؛ أي: (احفظ نفسك ولا تضعها)... وإنما تحذف الجملة من الفعل والفاعل لمشابتها المفرد بكون الفاعل في كثير من الأمر بمنزلة الجزء من الفعل... وليس كذلك المبتدأ والخبر»¹.

عدّ حازم القرطاجني (684هـ) الالتفات من البديع أيضاً، إذ قال مسلطاً الضوء على ما يبعثه الالتفات في النفس من الارتياح: «اعلم أنّ الانعطاف بالكلام من جهة إلى أخرى أو غرض إلى آخر إنما يسنح للخاطر سنوحاً بديهاً ويلاحظه الفكر المتصفح بالتفاتاته إلى كل جهة ومنحى من أنحاء الكلام. والصورة الالتفاتية هي أن يجمع بين حاشيتي كلامين متباعدي المآخذ والأغراض وإن ينعطف من أحدهما إلى الآخر انعطافاً ليناً من غير واسطة تكون توطئة للصيرورة من أحدهما إلى الآخر على جهة من التحول»². ويبدو هذا التعريف واضحاً جديراً بالانفراد؛ لما فيه من التحليل الجيد لهذا الأسلوب؛ وخاصةً مجيئه بمصطلح (الصورة الالتفاتية) وهو يعني الكثير؛ لأنّ الصورة تعطي أكثر من اللفظ العام.

كما عدّ الزركشي (794هـ) تلوين الخطاب مرادفاً للالتفات بقوله: «تسميه أهل المعاني التفتاتاً»³، ولا شك أنّ هذا الربط يلمح إلى تعريف الأسلوب بأنّه عدول عن النسق الذي بني عليه التركيب القرآني، فالظاهرة الأسلوبية المتفشية في القرآن الكريم هي الالتفات – المصطلح البلاغي القائم في أساسه على العدول في التعبير – تؤكد هذا الترابط بين مفهوم العدول والالتفات. فهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، ثم ذكر ما يقرب من عشرة أساليب لهذا الالتفات وتوسع فيه كابن الأثير، وأورد قسماً سمّاه (بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه)، وأدرج تحته قوله تعالى:

1- ابن جني، الخصائص، ج2/360.

2- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص315، وينظر: ص362.

3- السيوطي، البرهان في علوم القرآن، ج2/246.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾؛ لأنه عدل فيه من القول: غير الذين غضبت عليهم. والسبب في ذلك هو رعاية الأدب في الخطاب مع الله تعالى بعدم نسبة ما يعيب أو يضر إليه¹.

فالأسلوب يؤدي دوراً في لفت الانتباه إلى المعنى الدقيق عندما يتغير، وقد جعل أبو السعود وراء كل تغيير في الأسلوب نكتة تستفاد، ومعنى يحصل، وغالباً ما جعل الالتفات كذلك، «وأياً ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الأسلوب رعاية لأمر مطلوب كما قيل فإن ذلك إنما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكاً معيناً ولكن يُعدل عن ذلك لنكتة أهم منه كما في قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾². فإن مقتضى الظاهر أن يقال والذي يُسَقِّمُنِي ويشفين ولكن غير إلى ما عليه النظم الكريم تفادياً عن إسناد ما تكرهه النفس إليه سبحانه»³.

ويرتبط التلوين بالالتفات في التحليل الأسلوبي عند كثير من المفسرين في العصر الحديث، فالألوسي وظفه عندما شرح الالتفات في الآية الأولى من سورة الإسراء، فقال: «وصرف الكلام من الغيبة التي في قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁴ إلى صيغة المتكلم المعظم في ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ لتعظيم البركات والآيات؛ لأنها كما تدل على تعظيم مدلول الضمير تدل على عظم ما أضيف إليه، وصدر عنه كما قيل: (إنما يفعل العظيم العظيم)، وقد ذكروا لهذا التلوين نكتة خاصة وهي أن قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ يدل على مسيره عليه الصلاة والسلام من عالم الشهادة إلى عالم الغيب فهو بالغيبة أنسب وقوله تعالى: ﴿بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ دل على إنزال البركات فيناسب تعظيم المنزل والتعبير بضمير العظمة متكفل بذلك، وقوله سبحانه:

1- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3/333.

2- الشعراء/79، 80.

3- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج5/99.

4- الإسراء/1.

﴿لِنُرِيَهُ﴾ على معنى بعد الاتصال وعز الحضور فيناسب التكلم معه ، وأما الغيبة فلكونه صَلَّى الله عليه وسلّم إذ ذاك ليس من عالم الشهادة ولذا قيل إن فيه إعادة إلى مقام السر والغيوبة من هذا العالم والغيبة بذلك أليق»¹.

خلاصة:

تتكشف لي في نهاية هذا المبحث تداعيات كنتيجة حتمية لما يورثه البحث في جانب من جوانب الدلالة في علاقتها بعنصر من عناصر الأسلوبية. ففي الخروج عن النمط المألوف إلى نمط غريب غير متوقع معايير وإن لم تكن ثابتة، فهي متغيرة وهذا التغير يتسبب في إشكالية جديدة؛ تتلخص في تغير المعيار وعدم ثباته، لأنّ الاستعمال اللغوي في تطور مستمر، وكثيرا ما يحدث أن تتحوّل بعض الأساليب المجازية والصور البلاغية لكثرة تكرارها، إلى قوالب جاهزة واستعمالات متداولة على كل الألسنة، فتفقد بذلك قيمتها الأسلوبية وتصبح لا فرق بينها وبين الاستعمالات الأخرى فيصعب بذلك تحديد المعيار.

ومن هذه التداعيات؛ تقارب المفهوم الذي أرساه ريفاتير مع المفاهيم البلاغية القديمة التي نشأت مع الجرجاني وغيره، فجاء من الغرب ما يوقظنا، ويلفتنا بشدة إلى تراثنا الذي قد يحتاج إلى رؤية جديدة تختلف تماما عن الرؤية القديمة باعتبار أن النصوص تتحكم بها السيرورة التاريخية. ولا يعوزنا إلا النظر إلى أمثال الجرجاني الذين بإمكاننا أن نعتبرهم مجددين في عصرهم، ولم يتوان الجرجاني نفسه عن تفسير بعض آيات القرآن الكريم بأسلوب مختلف عن الأساليب التقليدية مطمئنا إلى سداد رأيه في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

إنّ مصطلح المثير الأسلوبي في الدرس اللغوي وُجد له أثر في تراثنا، وإن لم يتبلور في شكل مصطلح خاصّ ذي دلالة معينة؛ شأنه شأن الكثير من المصطلحات، وتمّ تناوله في حدود

1- الألوسي، روح المعاني، ج14/08.

الخرق اللغوي أو ما يسمى بخرق المعيار المتسبب في غموض المعنى، وفي حدود ما بدا من أشكال قسيمة للمثير الأسلوبي في جانب منها. فالأسلوب مجال الدراسات الأسلوبية الحديثة على اختلاف اتجاهاتها ومدارسها، وهو المجال المشترك بين الأسلوبية الحديثة والبلاغة القديمة.

لقد كان لمفسري القرآن الكريم خاصة الذين انتهجوا نهجا بلاغيا نحويا في تفاسيرهم محاولات في تحليل النظم القرآني، وإبراز أسرار البيان، وتتقاطع هذه التحاليل البلاغية والنحوية من التحليل بالمثير الأسلوبي الذي يمثل الجانب التطبيقي للنظريات الأسلوبية الحديثة، ثم إن الاختلاف في مفهوم المثير الأسلوبي القرآني يختلف باختلاف مدارس التفسير، وبالتالي يتبادر إلى الذهن سؤال محوري : أين نصنف المثير الأسلوبي؟ أ لدى المنشئ ؟ أم المتلقي؟ أم في النص؟ وهو ما حاولت الإجابة عنه فيما انقضى.

وعنصر المثير الأسلوبي يندرج ضمن الأسلوب باعتبار هذا الأخير مفهوما أساسيا اعتمدته الأسلوبية في تأسيس علم يدرس الخصائص التركيبية التي بها يكتسب الكلام إلى جانب وظيفة الاتصال وظيفته التأثير الجمالي. ولقد نشأ الاهتمام بالأسلوب عند العرب مرتبطا بإعجاز القرآن الكريم ، حيث سعى علماء الإعجاز وعلماء التفسير على حدّ سواء لإيضاح الإعجاز القرآني الكامن في أسلوبه ، لذا يقول محمد عبد المطلب: « والذي لا نشكّ فيه أنّ استخدام القدماء لكلمة الأسلوب قد ارتبط بفهمهم للكلام الإلهي ومقارنته بالكلام البشري ، كما ارتبط بإدراكهم لوجود جانبين للأسلوب: أحدهما خفيّ غير ملموس والآخر متجسّد في الصياغة اللغوية»¹.

لقد أكّد كثير من الدّارسين أن التراث العربي يمثل مصدرا أساسيا للتحليل الأسلوبي، خاصة تفسير القرآن الكريم، وللدّارسين المحدثين وقفة عند هذه الألفاظ المستعملة من قبل المفسرين في

1- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ط1، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1995، ص31.

تحليلاتهم للتراكيب القرآنية. فقد استعمل النحاة والبلاغيون والمفسرون جملة من المصطلحات وصفوا الظاهرة الأسلوبية التي تمثل خاصية من خصائص أسلوب القرآن المعجز والمصطلحات هي التي كشفت عنها في استعمالات المثير الأسلوبي (المبحث الثاني من هذا الفصل).

والملاحظ على كل هذه المحاولات في تفضيل مصطلح على مصطلح آخر؛ أن الدارسين اختلفت وجهات نظرهم إلى هذه الكلمات في دراسة ظاهرة واحدة تخص القرآن الكريم، والأصح لو نظر هؤلاء إلى مفهوم الأسلوب في عمومته أي دون جعله مرتبطاً بظاهرة واحدة لأمكن الخروج من هذا التشبث في توظيف مصطلح المثير الأسلوبي. ووجدت أن هذا الإكثار من المصطلحات مرتبط بنشأة الدرس الأسلوبي في علم التفسير وعلوم القرآن، ومن ثمّة فاختلاف المنظور سبب في هذا الإكثار من المصطلح. وأرى أن استعمالات المثير الأسلوبي المتنوعة هي مصطلحات ترتبط فيما بينهما ارتباطاً يكاد أن يكون وثيقاً؛ بل تربطها صلة معنوية تجمعها.

الفصل الثّاني

علاقة المثير الأسلوبى بالدلالة الصّرفيّة.

توطئة:

انتبه العلماء إلى أهمية الصرف* والأبنية الصرفية في تشعب المعاني، وكان تقليب اللفظة من وجه إلى وجه آخر صرفي يؤدي إلى تنوع المعاني الناتجة عن ذلك التقليل أو التغيير، ولذا كان التصريف علماً قائماً بذاته يضاهي أو يفوق علم النحو أهمية؛ لأنَّ « التصريف نظر في ذات الكلمة والنحو في عوارضها، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر»¹. ولم يجعل علماء اللغة للمسائل الصرفية خصوصية كاهتمامهم بالقضايا النحوية والخلافات التي تناولها القدماء أو المحدثون بالشرح والتحليل، وأرى أنَّ جمع هذه المسائل من بطون كتب النحو والمعاجم يساعد في إثراء الدرس اللغوي، وبيان أهمية البنى الصرفية عند القدماء.

تتمثل هذه الدلالة فيما تؤديه الزيادات الصرفية من معانٍ مضافا إليها معنى الجذر المعجمي، فلو قيل: مرض الطبيب الرجل، لكان المعنى المتعين من هذا الفعل مرض مؤتلفاً من معنى الجذر مضافاً إليه دلالة هذه الصيغة التي تفيد القيام على المرض في هذا المقام، ولو قيل "محبب" بكسر الميم، لكان المعنى المتعين من هذا اللفظ هو دلالة حلب مضافاً إليها دلالة هذه الصيغة الصرفية التي تدل على القدح الذي يحلب فيه، وإذا ما قيل محلب فإن المعنى المستفاد بالإضافة إلى معنى الجذر دلالة صيغة مفعول التي تدل على المكان الذي يحتلب فيه².

*- الصرف لغةً: يعني التغيير أو التحويل أو التصريف في الكلام؛ أي اشتقاق الكلام بعضه من بعض. أمّا في الاصطلاح فيعني العلم الذي يدرس أبنية الألفاظ وأوزانها وما يطرأ عليها من تغيير فبتغيير أبنية الألفاظ تتغير المعاني. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط : ج3 / 167. وابن منظور: لسان العرب ج9/189.

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1/297.

2- ينظر: ابن فارس، أبو الحسن أحمد: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط1، بيروت، مكتبة المعارف، 1993، ص193.

وهكذا يتبين أنّ لهذه القوالب الصرفية دوراً في تقديم جزء من المعنى، وقد يحدث في بعض الأحيان أن تختلف هذه القوالب الصرفية دون أن يكون هذا مفضياً إلى اختلاف في المعنى، ومن ذلك مجيء صيغة (فعل وأفعل)¹ بمعنى واحد في بعض الأحيان، فيقال: محضته النصح وأمحضته النصح، والمعنى واحد. ونقول سلكته وأسلكته، قال الله عز وجل ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾². فالمقصود بالاحتمال الصرفي هو ما تحتمله الأوزان من معانٍ، أو ما تحتمله الألفاظ من أوزان بحسب القرائن الموجودة في الكلام. ففي اللغة ألفاظ ترد على أوزان مخصوصة إلا أنّ هذه الأوزان تحتمل معاني متعددة.

وللصرف أهمية بالغة عند علماء العربية؛ لصلته الوطيدة بفروع اللغة الأخرى من صوت ونحو ودلالة؛ إذ نتمكّن بالإفادة من علم الصرف من معرفة دلالات أبنية الألفاظ، وما تحمله من معانٍ مختلفة، بحسب الزيادات التي تطرأ عليها، فنشتقّ - على سبيل المثال - من لفظة (علم) صوراً كثيرة منها (عالم، معلوم، معلّم، يعلم...) وهكذا، فلكلّ منها معنى وظيفي. وقد تتناوب هذه الصيغ فيما بينها، فيحلّ بعضها محلّ الآخر، مسبباً اختلافاً في معانيه على حسب ورودها في السياق.

ورأيت أن يكون موضوع هذا الفصل في مسائل الدلالة الصرفيّة، ثمّ إنّي اقتصرته في ذلك على توجيه بعض أبنية الألفاظ، من خلال أبنية الأسماء وهذا يتعلّق باحتمال الصيغة الصرفيّة لأكثر من معنى؛ ومن خلال أبنية الأفعال، فقد تعدّدت معانيه عند الصرّفيين؛ بحيث يخرج الفعل عن المعنى الموضوع له في القرآن الكريم، وأردت من ذلك الكشف عن مدى تأثيرها على فهم المعنى القرآني. وقد أثر هذا على المعنى الذي يحمله التركيب.

1- ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، شرح علي فاعور، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية، 1988، ص283.

2- المدثر/42.

ووقفت في مستهل هذا الفصل عند علاقة المثير الأسلوبى بالصرف، وقد احتوى علاقة الصيغة بالمعنى زيادة عن دلالتها الإفرادية، وكشفت عن أهمية البناء الصرفى تحديد الدلالة، بحيث دلالة الفعل الرباعى المزد بـ حرف غير دلالة المزد بحرفين ونحو ذلك. والسؤال الآن هل فى تركيب الأبنية الصرفية دلالات؟ وماذا يصير حين يتعرّ ذلك التركيب؟ أي: هل لهذه الأبنية دلالات وظيفية بصرف النظر عن دلالاتها المعجمية؟

إنّ الإجابة عن هذا الطرح؛ تتحدّد فى الأبنية التى تأتي على بناء معين، بحيث لا تستخدم فى السياق اللغوى على نحو واحد. وفى هذا البحث إيضاح لدلالات بعض أبنية الأفعال وفى خروجها عمّا رُكبت له فى العربية حسبما جاء فى كثير من الكتب الصرفية والنحوية. من خلال دلالات الأبنية نفسها، ومن خلال العلاقات التى تربطها، والمقصود بذلك مجيء بناء ما دالاً على دلالة يحيل إليها فى العادة بناء آخر.

يعنى الدرس الصرفى بتناول البنية التى تمثلها الصيغ التى تؤدي معانٍ صرفية أو نحوية وهو يشير عادة إلى دراسة الوحدات الصرفية دون أن يتطرق إلى مسائل التركيب النحوي ومعروف أن الدرس الصرفى تقليديّ؛ يغلب عليه المنهج المعيارى كما أنه قسيمٌ للإعراب، الذى لا يقوم إلّا على معطيات الصرف؛ لأنّ النحاة القدامى مهتّوا لأبواب الدراسة بالحديث عن اللفظ وأقسامه، وعن الشروط الصرفية التى لا يصح بها هذا الإعراب. فذكر ابن جنى أنّ الأولى تقديم درس الصرف على درس الإعراب: « فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمات الثابتة والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة»¹.

1- ابن جنى، الخصائص، ص212.

وارتأيت في آخر المبحث أن أذكر ملخصاً مهماً في قضية (العدول من وإلى الصيغ)، لما في ذلك من أثر في المعنى، فمن العدول مثيرات أسلوبية، وختمت هذا المبحث بالحديث عن أهمية الالتفات في الصيغ، سواء على مستوى الأفعال أو على مستوى الضمائر.

المبحث الأول

المنظور الدلالي للصناعة الصرفية.

- 1- العلاقة بين الصيغة والمعنى.
- 2- دلالة الصيغة الإفرادية.
- 3- أهمية البناء الصرفي في تحديد الدلالة.
- 4- دلالات الأفعال.

1- العلاقة بين الصيغة والمعنى:

يتحدث كثير من العلماء والدارسين قديما وحديثا عن أهمية العلاقة الوطيدة التي تربط المبنى بالمعنى، أو الصيغة الصرفية بالمعنى الذي تحيل إليه، وفي هذا المقصد يشير المختصون إلى طبيعة تلك العلاقة؛ إذ أنه كلما نُقل لفظ ما من صيغة لأخرى، كلما زاد في المعنى، وبالتالي كان العدول من صيغة إلى صيغة أخرى أكثر من الأولى حروفا، لا بدّ أن يتضمن من المعنى أكثر مما تحويه الأولى¹.

ووجدت في هذا المقام من البحث ما يدعم تلك العلاقة القائمة بين الصيغة ومعناها، فهذا ابن الأثير يقول: « اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بدّ أن يتضمن من المعنى أكثر مما تتضمنه أولا؛ لأنّ الألفاظ أدلّة على المعاني، وأمثلة الإنابة عنها فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه لبياناه...»².

ويضرب مستشهدا في مقام المبالغة مثلا على ما ذهب إليه، وهذا ما يشكل في تقديري مثيرا أسلوبيا، فمعنى (اقتدر) أقوى من معنى (قدر) في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾³، فالعدول من اسم الفاعل (قادر) إلى اسم الفاعل (مقتدر) شكّل قوة في المعنى للدلالة على القدرة العظيمة التي لا مثيل لها، فكانت صيغة (مقتدر) أبلغ في الدلالة على عظمة القدرة من صيغة (قادر)، وعليه فإنّ صيغة (إفتعل) أبلغ وأشدّ تأثيرا من (فعل)⁴. وفي ذلك عدول - أشرت إليه سابقا في الشقّ النظري؛ كما سأتي إليه بالتحليل والتطبيق في المطلب الأول من المبحث الثاني - عن صيغة فاعل فلم يقل: قادر إلى صيغة (افتعل)؛ لأنها أضافت دلالات أخرى، إذ

1- ينظر: عبد الحميد أحمد هندواي، الإعجاز الصرفي في القرآن، ص35.

2- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2/ 241.

3- القمر/ 42.

4- ينظر: المصدر نفسه، ج2/ 242.

بيّنت شدة الأخذ الصادر عن قوة الغضب، كما أفادت الدلالة على بسط القدرة، فالمقتدر أبلغ في البسطة من القادر.

وفي قوله تعالى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾¹. جاء في (روح المعاني): « عند ملك، أي: ملك عظيم الملك، وهو صيغة مبالغة، وليست الياء من الإشباع...و(المقتدر) أبلغ أيضاً من (القادر) ذلك أن (المقتدر) اسم فاعل من (اقتدر) وهذا أبلغ من (قدر) فإن صيغة (افتعل) قد تفيد المبالغة والتصرف والاجتهاد والطلب في تحصيل الفعل بخلاف فعل «².

وذكر الزمخشري بخصوص هذه الآية: « فإن قلت: لم خصّ الخير بالكسب والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهي النفس، وهي منجذبة إليه وأمرة به كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال «³.

يدعم السامرائي هذا الطرح فيقول: «...ثم انظر كيف أنه لما كان المذكورون هم من خواص المؤمنين، وهم المتقون وليسوا عموم المؤمنين أعلى أجرهم ودرجتهم وبالع في إنعامهم وإكرامهم جاء بالصفة والموصوف بما يدلّ على المبالغة فقال: (عند ملك مقتدر) ولم يقل: (ملك قادر)؛ فإنّ (ملك) أبلغ من (ملك) و(مقتدر) أبلغ من (قادر) فإن كلمة (ملك) على صيغة (فعليل) وهي أبلغ وأثبت من صيغة (فعل) «⁴.

ويشير - مدعماً رأيه - إلى أمر هامّ، يتعلّق بمعاني صيغ المبالغة فيقول « إطلاق وصف (المبالغة) على صفات الله نحو علام، وعليم، وغفور، وما إلى ذلك فقد توهم بعضهم أنه ينبغي أن

1- القمر/55.

2- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج8/140.

3- الزمخشري، الكشاف، ج3/ 301.

4- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص170.

لا يطلق على صفات الله وصف المبالغة، لأنها صفات الله وصف المبالغة؛ لأنها صفات حقيقية وليست مبالغاً فيها... فالمقصود أن هذا البناء يفيد كثرة وقوع الفعل، وليس المقصود أن الأمر مبالغ فيه. فـ (عليم) أبلغ من (عالم) و(صبور) أبلغ من (صابر) ذلك أن الموصوف بعليم معناه أنه موصوف بكثرة العلم، وليس المقصود أن صاحبه وصف بهذا الوصف وهو لا يستحق أن يوصف به فكان الوصف به مبالغة¹. فجاء ههنا، أي: في قوله: (مقتدر) بالصيغة الدالة على القدرة البالغة مع الملك الواسع الثابت. فانظر كيف بالغ وأعظم في الأجر، وبالغ وأعظم في الملك، وبالغ وأعظم في القدرة لمن بالغ وجد في عمله وصدق فيه وهم المتقون.

ترتبط الصيغ الصرفية في العربية بمعانٍ صرفيةٍ وظيفيةٍ، فالبنية الصرفية للاسم تختلف عن بنية الفعل، فالدلالة على الاسمى وظيفة لصيغ صرفية معينة تحمل علامات خاصة بهذا المعنى، وكذلك الفعلية، فهي وظيفة لصيغ صرفية تتحقق في جملة من المباني، وتحمل علامات خاصة بمعنى الفعلية. وقد تنبّه علماء العربية إلى هذا الارتباط بين الصيغ الصرفية والمعنى، ومنهم الخليل وسيبويه، فهما أول من أشار إلى هذه العلاقة². وبين ابن جني بعد ذلك أن هذا المعنى مرتبط بالمصادر التي جاءت على (فعلان)³. وكان ابن جني أكثر العلماء بحثاً في العلاقة بين الصيغة الصرفية والمعنى، ووجد أن في العربية صيغا صرفية ترتبط بمعانٍ محدّدة، وهنا لا بدّ من التفريق بين شيئين هامّين في الصيغة؛ أحدهما الدلالة الكلية للصيغة، والآخر وظيفتها البلاغية.

وفي مثال آخر بخصوص هذه العلاقة يرى ابن الأثير في صيغة (رتّل) في قوله تعالى:

﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾⁴، أن « لفظه (رتّل) على وزن (قتل) ومع هذا ليست دالة

1- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص171.

2- ينظر: تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، -الدار البيضاء- المغرب، دار الثقافة، 1994، ص 82.

3- ابن جني، الخصائص، ج2/152.

4- المزمّل/ 04.

على كثرة القراءة، وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأني والتدبر، وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تنقل عنه إلى الرباعي، وإنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة، وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة في اللفظ والمعنى إلا بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه¹. إن بلاغة القرآن الكريم، وتنوع دلالاته تستند أساساً على المبالغة والتوكيد، ويتم هذا الاستناد بشيء من العدول الأسلوبي القائم على التفضيل والتخيير بين أقرب المعاني الصحيحة للمعنى المتوخى، وعلى هذا الشكل من التخريج الدلالي كان تمييز صيغة اللفظ (رتل).

وقد نلّف علاقة أشدّ وثيقة بين مبنى الصيغة ومعناها من جهة، وبين البواعث النفسية المحركة لها من جهة أخرى، « فالكلمات يمكن أن تخضع للبواعث المحركة لها فتصبح شفافة أو معتمة، ويتم هذا في مستويات صوتية وصرفية ودلالية، ولكل منها نتائج أسلوبية بارزة »². ففي قوله تعالى: ﴿... قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ...﴾³، تمثيل حقيقي لشفافية الصيغة أو عتمتها بحيث أنه اختلف في توجيه دلالة الصيغة (أدنى)، فقليل أنها من القرب المكاني أو من القرب الزماني، أو من الدناءة والخسة، أو أنها تعبّر عن الأردل تارة، وعن الأصغر تارة أخرى⁴. ويذكر صلاح فضل عن قيمة المثير الأسلوبي في ناحية الصرف ودوره الرئيسي في تشكيل النسيج الأسلوبي، واستحضار الدلالة ما يؤكد نسبياً توجه بحثي؛ حين يقول: « أمّا الباعث الصرفي

1- ابن الأثير المثل السائر، ج2/ 245، 246.

2- صلاح فضل، علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، مجلة فصول، أكتوبر 1984، ص57.

3- البقرة/61.

4- ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العرب، ص57.

فيتمثل في وجود صيغ ومشتقات صرفية شفافه ذات أثر أسلوبى ... تكتسب دلالة أسلوبية جديدة في سياق تعبيرى يبرز شفافيته ويخفف من عتمتها¹.

تتجلى العلاقة بين دلالة الصيغة والمعنى العام من خلال النظر في الوجهة التفسيرية؛ لأن ردّ الدلالات الخاصة إلى الدلالة العامة أساس لفهم المقاصد التي جاء بها القرآن . والصيغ الاشتقاقية خصوصاً هي إحدى هذه المفردات التي تأثرت بالمعنى العام وأثرت فيه ، ومن ثم تحددت دلالة بعض الصيغ بالمقصود العام للنص القرآني؛ وإن كان ذلك التحديد مؤثراً في الأصل الدلالي للصيغة. ولعلّ صيغة (ظلام) في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾² تصلح مثالا يتضح به المقصود.

فالمتعارف عليه أن صيغة (فَعَال) هي إحدى صيغ المبالغة التي تدل على الكثرة أو الشدة ونحوهما، عبّر عن ذلك الرازي بقوله : « يفيد نفي كونه ظلاماً ، ونفي الصفة يوهم بقاء الأصل فهذا يقتضي ثبوت أصل الظلم»³.

لم يقف ابن عاشور طويلاً أمام تأويلات العلماء في هذا الأسلوب ، واكتفى بأنه « جرت عادة العلماء أن يجيبوا بأن المبالغة متصرفة إلى النفي، كما جاء ذلك كثيراً في مثل هذا... نفي (ظلام) بصيغة المبالغة لا يفيد إثبات ظلم غير قوي »⁴. ويعلّل ذلك بعلة تعدّد قاعدة دلالية ، وهي أن الصيغ لا مفاهيم لها؛ ولعلّه يقصد أن كل صيغة إنّما وضعت للدلالة على معناها في هيئة محدّدة لا يصلح

1- صلاح فضل، علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، ص:57.

2- فصلت/ 46.

3- الرازي، مفاتيح الغيب، ج 9/120.

4- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، 1984، ج10/42.

معها مفهوم المخالفة في سائر الصيغ، كالمبالغة في هذه الآية، وهو مع ذلك لا يستبعد احتمال تعلق الظلم المنفي بكثرة العبيد؛ فعبر بالمبالغة عن كثرة أعداد الظلم باعتبار تعدد أفراد معموله¹.

خضع مصطلح الصيغة كغيره من المصطلحات اللغوية لعملية التقنين ووضع الضوابط والقيود من قبل علماء اللغة. يقول صاحب اللسان: « فأما قول الراجز أنشدته سيبويه:

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَرَى جَدْبًا ... فِي عَامِنَا ذَا بَعْدَمَا أَخْصَبَا

فإنه أراد جدبا، فحرك الدال بحركة الباء وحذف الألف على حد قولك: رأيت زيد في الوقف... ويروى أيضاً جدبياً؛ وذلك لأنه أراد تنقيط الباء والدال قبلها ساكنة فلم يمكنه ذلك وكره أيضاً تحريك الدال؛ لأن في ذلك انتقاص الصيغة فأقرّها على سكونها، وزاد بعد الباء باء أخرى مضعفة لإقامة الوزن...² ويستتبط عبد الحميد الهنداوي وهو أحد الباحثين المعاصرين من الدلالة اللغوية لمصطلح الصيغة ضوابط³ تحدّد ماهية هذا المصطلح؛ أذكر منها: أن تكون هذه الهيئة مثلاً يحتذى ويصاغ على منواله.

ولعلّ ما يميّز هذا الضابط كون الصيغة أنموذجاً أو قالباً لغوياً يصاغ عليه وينسج على منواله فاسم الفاعل من الثلاثي (فاعل) وهذه البنية اللغوية نعتها صيغ؛ لأنها تمثل قالباً لغوياً نصب فيه كل مادة لغوية ثلاثية لصياغة اسم الفاعل منها. ومن هنا جاء تعريف الصيغة الصرفية. وبالتالي؛ فإنّ الصيغ الصرفية قوالب استتبطها الصرفيون ليعبروا بها عما يدور في أفكارهم من معانٍ محدودة. وفي الدرس الصرّفي يكثر الخلط بين مصطلحي الصيغة الصرفية والميزان الصرّفي، بحيث يتتابعان فيحلّ أحدهما محلّ الآخر في المقاربات الصرفية.

1 - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج42/10.

2 - ابن منظور لسان العرب، مادة جدب، ج2/194-195.

3 - ذكر للصيغة أربعة ضوابط. ينظر: الإعجاز الصرّفي في القرآن الكريم، عبد الحميد الهنداوي، ص19.

2- دلالة الصيغة الإفرادية:

تُعَدُّ دلالات الصيغ الإفرادية- بعيدا عن نُظْمها - رافدا ينهل منه من أراد، فهي كالمادة التي يمكن التصرف فيها؛ وتشكيلها كيفما نشاء وفق قوالب معدة لذلك فالدلالة الإفرادية « بمثابة مادة أولية لا غنى للمتكلم عنها في التعبير عن معانيه ومقاصده، وأنه إذا كانت الكلمة المفردة تمثل الوحدة التحليلية الأولى للكلام، فإن المدلول الإفرادي لتلك الكلمة هو بمثابة الوحدة التحليلية الأولى للمعنى في هذا الكلام »¹.

وإذا ما تأملنا الصيغة (أتى) في قوله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾²، نجد تباينا بين دلالتها الإفرادية في المعجم، وبين دلالتها المستشفة من استعمالها في صيغة الماضي المراد به المستقبل أو غير ذلك، هذا ما يلفت الانتباه ويشكل لافتة أسلوبية مثيرة تستوقف القارئ. قال الزمخشري في ذلك: « أتى أمر الله، الذي هو بمنزلة الآتي الواقع، وإن كان منتظرا لقرب وقوعه »³.

ويستفيض عبد الحميد هنداوي في تعليقه على الزمخشري للآية السابقة بملاحظتين هامتين: «... ولكن المراد هو توظيف الصيغة في معنى الاستقبال متضمنة معنى الماضي، وموظفة له في الوقت نفسه، فكأن مقصود الآية أن تقول سيأتي أمر الله لا محالة مجيئا مقطوعا به؛ بل هو في حكم ما وقع وأتى بالفعل... وأتى أمر الله تعالى فعلا باعتبار تقديره أو وقوع مبادئه وأماراته، وحينئذ لا مجاز ولا تجاوز، لأن الصيغة حينئذ موظفة في معناها الذي وُضِعَتْ له »⁴.

1- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، ط1، القاهرة مصر، دار الفكر العربي، 1418هـ/1998م، ص09.

2- النحل/ 01.

3- الزمخشري، الكشاف، ج2/ 321.

4- عبد الحميد أحمد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن، ص 49.

العدول من صيغة الماضي إلى المضارع والعكس يدلّ بصيغته الصرفية على الماضي المطلق في زمن انقضى، إلّا أنّ وروده في السياق يفرض عليه دلالة سياقية يقتضيها السياق، ويدلّ عليها وهي دلالة الاستقبال؛ لأن القرينة اللفظية (فلا تستعجلوه) في السياق النحوي التركيبي تشير إلى أنه لم يقع بعد، ومع كونه فعلاً ماضياً في الصيغة الصرفية؛ فإننا لا نفرغ هذه الصيغة الصرفية من دلالتها الزمنية ولا نخضعها للدلالة السياقية فقط؛ إذ لو كان ذلك هو المراد لجاءت الصيغة صريحة (سيأتي أمر الله).

وبالتالي: عدل إلى صيغة الماضي لدلالة إضافية، فمع الجمع بين الدالتين الصرفية والنحوية، الإفرادية والتركيبية يمكننا معرفة سبب هذا العدول؛ إذ المراد: أن أمر الله سيأتي لا محالة. ثم إنّ العدول بدلالة الصيغة الإفرادية إلى غير ما وضع إزاءها من معنى أحد موضوعات الدلالة اللفظية بوجه عام، فإذا ما تركزت الدراسة على وظيفة الصيغة الإفرادية في مجال الصرف تميزت عن الدراسة الدلالية للفظ، وهذا المجرى من العمل له يبرره حين نلاحظ دينامية الصيغة (أتى) في القرآن.

أمّا السامرائي فقد عقد- مفصلاً - مقارنة بين صيغتي (أتى) و(جاء) في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾¹، حتى تستبين دلالة الأولى، ويتضح الفرق بينهما، « فقد قال في النحل: (أتى أمر الله)، وقال في غافر: "جاء أمر الله"، وبأدنى نظر يتضح الفرق بين التعبيرين، فإن المجيء الثاني أشق وأصعب لما فيه من قضاء وخسران، في حين لم يزد في الآية الأولى على الإتيان. فاختار لما هو أصعب وأشق (جاء) ولما هو أيسر (أتى) »². ثمّ دعم رأيه حينما أورد قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ

1- غافر/78.

2- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية، ص53.

نَصَرْنَا فَنجِّي مَنْ نَشَاءُ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَاِ الْمُرْسَلِينَ﴾².

فخرج الآيتين بقوله: « في آية يوسف (جاءهم نصرنا) وفي آية الأنعام: (أتاهم نصرنا) ومن الواضح أن الحالة الأولى أشق وأصعب، وذلك أن الرسل بلغوا درجة الاستيئاس وهي أبعد وأبلغ، وذهب به الظن إلى أنهم كذبوا، أي: أن الله سبحانه وتعالى كذبهم ولم يصدقهم فيما وعدهم به، وهذا أبلغ درجات اليأس وأبعدها، وعند ذاك جاءهم نصره سبحانه فنجي من شاء وعوقب المجرمون »³.

جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾⁴، فالتعبير بالماضي على سبيل الحقيقة، ومنه لا فلاح لساحر مهما تفنن في سحره، ويستشهد صاحب هذا الرأي⁵ بقول القرطبي: « أي لا يفوز ولا ينجو حيث أتى من الأرض، وقيل حيث احتال ». وعليه فإن (أتى) صيغة وضعت لتأكيد فشل السحرة وبطلان عملهم الذي صار حجة عليهم. وهكذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁶؛ فإن للصيغة الصرفية الإفرادية (أتى) دلالة أخرى ذات معنيين مختلفين « إما في تحقيق القدوم على الله والمثول بين يديه... وإما الإتيان بقلب سليم على وجه التحقيق والكمال »⁷.

1- يوسف/110.

2- الأنعام/34.

3- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية، ص53 وما بعدها.

4- طه/69.

5- ينظر: عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن، ص 50.

6- الشعراء/89.

7- ينظر: عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي، ص50.

وبهذا تتفرّد الصيغة بدلالة إفرادية، يمكن توظيفها بحسب السياقات، ولكن تبقى دلالتها الجديدة ذات صلة بأصلها فـ « الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضمّ بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد »¹، وليس المثير ههنا أن يتم خرق في القاعدة أو القانون؛ ولكن المثير أن يتعدد الاستعمال فتشكّل حينئذ ميزة أسلوبية ذات صور دلالية.

3- أهمية البناء الصرفي في تحديد الدلالة:

الدلالة الصرفية الناتجة عن دلالة مبنى الصيغة الصرفية ركن أساسي وهام في تخريج الدلالات وتحديدّها، فهي مطية مشروعة لغويا في فهم النص اللغوي « ونحن نعدّها عنصر من عناصر تحديد الدلالة، ومصدرا من مصادر بيانها، وطريقا للوصول إليها، وليس دلالة موصوفة بالصرفية »²، فليست الدلالة الصرفية أمرا اعتباطيا أو عفويا؛ بل هي حقيقة يجب الانتباه إلى قيمتها في معزل عن السياق ومقتضى الحال، فالعلماء « أكدوا أن طبيعة الصيغة الصرفية للكلمة المعينة وجرسها يُشعر بدلالاتها »³.

ومن ذلك - قضية البناء- دلالة الفعل الرباعي المزيد بحرف واحد، والذي به نرفع اللبس عن المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَمَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾⁴، فمن التأويلات لهذه الصيغة الصرفية؛ قول الزمخشري (538) في الكشف: « من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان، أو وجدناه غافلا عنه »⁵. وبصرف النظر عن التأويلات المختلفة لهذه الآية، « فالدلالة في الفعل الذي جاء على صيغة (أفعلت) يدلّ على أنه وجد الشيء على صيغة

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 415.

2- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 61.

3- المرجع نفسه، ص 61.

4- الكهف/ 28.

5 - الزمخشري، الكشف، ج 2/ 482.

معين، مثل (أكرمت زيدا)، والمعنى المراد لديك أنك وجدته كريما ، وقد يكون معناه أنك جعلته كريما، فهذا الاشتراك في دلالة الصيغة الصرفية أدّى إلى الاختلاف في معنى النص القرآني «¹ . والملاحظ أن تعدّد دلالات الصيغة (أفعل)، فتح باب التأويل فمن دلالاتها الدخول في الزمان والمكان، ومشابهة المفعول للذات، وجعل الذات في المفعول² هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ فإنه يكفي أن يتعدى الفعل بمجرد زيادة حرف و(غفل) غير (أغفل)، ولأسلوب القرآن الكريم مزية التفرد كونه يفتح باب التفسير بحسب أهواء المفسرين، فالزيادة في وزن الكلمة وبنائها زيادة في معناها.

وقد جاء الفعل (أغفل) دالاً على التعدية والوجود لصفة معينة، فقد رأى أبو السعود أنّ الفعل (أغفلنا) أفاد معنيين، هما : التعدية، ووجود الشيء على صفة معينة؛ إذ قال : « أي: جعلناه غافلاً لبطلان استعداده للذكر بالمرّة، أو وجدناه غافلاً، كقولك: أجبنته، وأبخلته، إذا وجدته كذلك »³. ومن ذلك يتبيّن أنّ أبا السعود قد تنبّه إلى أنّ هناك فرقاً دلاليّاً بين صيغتي الفعل الثلاثي المجردّ (غفل) والمزيد (أغفل) بزيادة الهمزة التي استدعت زيادة في المعنى، وهذه الزيادة هي: التعدية أو الوجود لصفة معينة. وينحو هنداوي المنحى الدلالي نفسه في فهم معاني (أغفلنا)؛ فيقول: « أي: نسبناه للغفلة، كقول القائل: أكفرت فلانا، إذا نسبته إلى الكفر، وأبخلته إذا نسبته إلى البخل »⁴.

ويعقّب ابن جنّي عن رأي ابن القيم الجوزية (ت 751هـ) بالقول: « فإنّه سبحانه أغفل قلب العبد عن ذكره، فغفل هو فالإغفال فعل الله والغفلة فعل العبد. ثم أخبر عن أتباعه هواه، وذلك فعل العبد حقيقة والقدرية... تحرّف هذا النص وأمثاله بالتسمية والعلم، فيقولون : معنى أغفلنا قلبه سميناه

1- أحمد عرابي، الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة، مخطوط دكتوراه، جامعة وهران، 2004، ص 08.

2- ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 65.

3- أبو السّعود، إرشاد العقل السليم، ج 219/5 .

4- عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي، ص 52، 53.

غافلاً أو وجدناه غافلاً، أي: علمناه كذلك، وهذا من تحريفهم بل أغفلته مثل أقمته وأقعدته وأغنيته وأفقرته؛ أي: جعلته كذلك... وهل يخطر بقلب الداعي: اللهم أقدرني أو أوزعني وألهمني أي سميني وأعلمني كذلك»¹.

ومردّ هذه التأويلات المختلفة في حقيقتها إلى الالتزام باللغة، وما تعنيه من دلالات، ثم ربط هذه الدلالات اللغوية صرفية أو نحوية أو لفظية بمقصد الشارع الحكيم، فالدلالة في الفعل الذي جاء على صيغة أفعلت دلالة مشتركة تدل على أنه وجد الشيء على صيغة معينة، مثل: أكرمت زيدا، والمعنى أنك وجدته كريماً، وقد يحمل معنى أنك جعلته كريماً، فهذا الاشتراك في دلالة الصيغة الصرفية أدى إلى الاختلاف في معنى النص القرآني، ويبقى الحكم للسياق القرآني الذي يحدد المعنى. وعلى هذا النحو نحا الألوسي قائلًا: «أغفل؛ أي جعلنا قلبه غافلاً، وهو من قولهم: أغفل فلان أبله إذا تركها غفلاً من غير سمة وعلامة...، فالإغفال المذكور استعاره لجعل ذكر الله تعالى الدال على الإيمان به كالسمة، لأنه علامة السعادة»². وذكر سيبويه أيضاً في هذا المعنى: «وقال بعض العرب: أفنتت الرجل وأحزنته، وأرجعته، وأعورت عينه، أرادوا جعله حزيناً وفاتناً، فغيروا (فعل) كما فعلوا ذلك في الباب الأول»³.

وابن جني (ت 392 هـ) يدرج (أغفلنا) هنا من باب أفعلت الشيء صادفته ووافقته كذلك، وقد دعم رأيه بقول الشاعر: فأصممتُ عمراً وأعميته عن الجود والمجد يوم الفجار. أي صادفته أعمى، وحكى الكسائي: دخلت بلدة فأعمرتها، أي وجدتها عامرة، ودخلت بلدة فأخربتها أي وجدتها خراباً. ويكون ما قاله الخصم: أن معنى أغفلنا قلبه: منعنا وصددنا، نعوذ بالله من ذلك، فلو كان الأمر على ما ذهبوا إليه منه لوجب أن يكون العطف بالفاء دون الواو. وأن يقال: (ولا تطع من

1- ابن جني، الخصائص، ج 3/ 253-254.

2- الألوسي، روح المعاني، ج 15/ 334.

3- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988، ج 4/ 57.

أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه) ، وذلك أنه كان يكون على هذا الأول علة للثاني والثاني مسببا عن الأول ومطاوعا له، كقولك أعطيته فأخذ، وسألته فبذل، لما كان الأخذ مسببا عن العطية، والبذل مسببا عن السؤال، وهذا من مواضع الفاء لا الواو ألا ترى أنك إنما تقول جذبتَه فانجذب، ولا تقول وانجذب، إذا جعلت الثاني مسببا عن الأول ونقول كسرتَه فانكسر، واستخبرته فأخبر، كلّه بالفاء، فمجيء قوله تعالى: (واتبع هواه) بالواو دليل على أن الثاني ليس متسببا عن الأول، على ما يعتقد المخالف . وإذا لم يكن عليه كان معنى أغفلنا قلبه عن ذكرنا أي صادفناه غافلا على ما مضى، وإذا صودف غافلا فقد غفل لا محالة¹.

4- دلالات الأفعال:

يحتلّ الفعل أهمية كبيرة في الجملة العربية؛ فهو العنصر الذي يدلّ على حيوية الحدث بخلاف المصدر الذي يدلّ على مجرد الحدث، فالفعل يدلّ على الحدث المرتبط بالزمن من حيث الماضي والاستقبال، كما يدلّ على تجددّه من حيث الاستمرار.

وإذا كان الدكتور تمام حسان يرى أن الفعل يدلّ على الزمن - من حيث المستوى الصرفي - « ومعنى إتيان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة أن الزمن هنا وظيفة الصيغة المفردة ومعنى أن الزمن يأتي على المستوى النحوي من مجرى السياق، أن الزمن في النحو وظيفة السياق وليس وظيفة صيغة الفعل »² ، أقول : إذا كان الدكتور تمام حسان يرى أن الزمن في الفعل على المستوى النحوي وظيفة سياقية وليس وظيفة صيغية، فإننا نستطيع المزج بين الوظيفتين بأن الصيغة أصل في تحديد زمان الحدث والسياق مؤثر عرضي مهم في توجيهها، وذلك عند وجود السياقات الخاصة التي تقلب دلالة المضارع من الاستقبال إلى الماضي ، مثل دخول (لم) عليه ، أو توجّه صيغة

1- ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/57.

2- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص104.

الماضي من الماضي إلى الاستقبال مثل دخول (إذا)، فهي كلها دلالات سياقية عارضة لا تلغي أصل الصيغة؛ وإنما تتدخل في إعادة توجيه دلالتها.

والعرب يُعبّرون عن الأحداث الماضية بفعل مضارع وعن الأحداث المستقبلية بفعل ماضي. « والتعبير عن الأحداث المستقبلية بالفعل الماضي دلالة على أن هذا الأمر واقع وهو بمنزلة ما مضى من الأفعال. فلا شك في وقوع حدث ماضي لأن الفعل الماضي لا شك في حدوثه فهذه الأحداث المستقبلية وإن كانت مستقبلة فهي بمنزلة ما مضى من الأفعال ولا شك بوقوعها »¹. فكما أن الفعل الماضي حصل ووقع فهذه بدلالة ما وقع وحصل. كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَيَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا... ﴾². وكذلك قوله: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾³، وفي كثير من الآيات. فهذه الأحداث المستقبلية هي من التحقق بمنزلة ما مضى من الأفعال.

والذي يخلص للباحث في أهمية دلالة الفعل أنها هي عنصر الحيوية في الجملة، ومن ثم تكررت الإشارة عند ابن عاشور تصريحاً وإيماءً إلى هذه الخصوصية للفعل، ففي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾⁴. يقرّر أنه « جيء بجملة (يخرج الحي من الميت) فعلية للدلالة على أن هذا الفعل يتجدد ويتكرر في كل آن »⁵.

1- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية، ص114.

2- الزمر/71.

3- الأعراف/48.

4- الأنعام/95.

5- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج7/389.

وفي مقابل ذلك له أكثر من غرض متى يستعمل الفعل الماضي في المضارع؟ قال تعالى:

﴿...قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾¹. « لم يقل قتلتم وهذا من باب التشنيع على الفعل، فعندما تكون الأمور مهمة تحتاج إلى جعلها صورة معاصرة لأن الإنسان يتفاعل مع الصور الحيّة القريبة منه، وهي ليست كالأحداث الماضية البعيدة عنه، فقد نسمع أحداث ماضية ولا نتفاعل معها؛ لكننا بالتأكيد نتفاعل مع حادثة قتل أماننا مثلاً². فالعرب عموماً إذا أرادوا حكاية الحال ليعبروا عن الأحداث الماضية يجعلونها حيّة. ويقول بعض النحاة - الذين ذكرونها آنفاً - : إمّا ينقلك إلى الحدث أو ينقل الحدث إليك. وكلاهما تعبير عن الأفعال الماضية بالفعل المضارع ويدخل في زمن الفعل. ولل فعل أزمان متعددة ينبغي تدريسها في المدارس والجامعات خصوصاً.

في هذا الصدد؛ ذهب بعض اللغويين إلى أنّ الأفعال لا تدل على الزمان بالمطابقة، بل تدلّ عليه بالالتزام إذا كان الفاعل زمانياً، كما في (يقوم زيد) أما إذا كان الفاعل غير زمانى كما في (يعلم الله) فلا دلالة فيه على الزمن، والأمر كذلك في فعل الأمر؛ لأنه أسلوب إنشائي، فلا يدلّ على الزمن وتعبير آخر إن الدلالة على الزمن في الفعل دلالة نحوية تؤخذ من سياق الجملة وقرائنها، وليست دلالة صرفية لصيغة الفعل. إنّ الاستعمال اللغوي العربي يقتضي دلالة الفعل على الأزمنة الآتية:

أ- **الدلالة على الماضي:** ويقع بإيراد الفعل الماضي على صيغته الصرفية المعروفة، حيث يحتفظ الفعل بزمنه الصرفي ولو دخل في الكلام ما يشته به بأنه صارف له من المضي إلى الحال أو الاستقبال.

1- البقرة/91.

2- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية، ص81.

ب- الدلالة على الزمن الحاضر: وأوضح صيغة له هي صيغة المضارع المقترن بما يعينه للحال في نحو (محمد يصلي الآن) وكذلك صيغة الأمر المقترن بما يصرفها للحال نحو (صل الآن يا محمد).

ج- الدلالة على الاستقبال: وأظهر صيغة له هي المضارع المقترن بما يعينه للمستقبل في نحو (سيذاكر محمد) وكذلك الأمر المقترن بما يصرفه لإيقاعه في المستقبل في نحو (ذاكر يا محمد غداً).

د- الدلالة على الاستمرار في الماضي والحاضر والمستقبل في نحو قولهم: (قبل الرماء تُملاً الكنائن) و(أنت لا تجني من الشوك العنب) حيث يكون التخصيص بزمان معين في هذين المثالين غير مقصود للمتكلم ، ومثلهما قولك (تشرق الشمس) و(يضيء البدر) و(كل حي يموت) فإنها تفيد الحدث الثابت مما يعني استمرار الحدث وعدم تخصيصه بزمان معين.

هـ- الدلالة على الزمن المبهم: وتأتي هذه الدلالة في صيغة المضارع المحتملة للحال والاستقبال في نحو (محمد يذاكر) وكذلك صيغة الأمر في (ذاكر يا محمد)¹.

وإذا كانت هذه دلالة الفعل عامّ؛ فإنّ لأنواع الفعل خصوصية دلالية في هذا الإطار العام تحملها صيغته لتؤديها من خلال السياق، ومن ثمة تختلف هذه الخصوصية على حسب صيغة الفعل، ولعل التقسيم التالي لدلالة أنواع الأفعال يشير - على اختصاره - إلى هذا المعنى.

1- ينظر: عادل بن معتوق العيثان، صيغة الفعل دلالتها الصرفية والنحوية عند اللغويين المعاصرين كلية الآداب جامعة الملك سعود، ص40 وما بعدها.

4-1- الفعل الماضي:

يستفاد من توجيه ابن عاشور لدلالة الفعل الماضي أنه تحقق الوقوع، ويظهر ذلك جلياً في تعليقه على الأفعال الماضية التي جاءت للدلالة على الاستقبال ، فالسّر في مجيئها على صورة الماضي عنده للدلالة على الجزم بتحقق وقوعها، فالفعل الذي تضاف إليه (إذا) يكون « بصيغة الماضي غالباً لإفادة التّحقّق »¹، وإنما صيغ بصيغة الماضي تشبيهاً للمؤكد تحصيله بالواقع، واستدلّ ابن عاشور بقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾² استعمل الفعل كان « في معنى تكون فعبر بصيغة الماضي تشبيهاً للفعل المحقق وقوعه بالفعل الذي مضى »³ ، وتشبيه الفعل المحقق وقوعه بالفعل الذي مضى عن طريق استخدام الفعل الماضي يدل على أن دلالة تحقق الوقوع في الفعل الماضي دلالة أصيلة فيه.

4-2- دلالة المضارع:

يبدو من خلال تعبيرات ابن عاشور عن دلالة المضارع – التي تتكرر كثيراً في تفسيره – أن الأصل في دلالة الفعل المضارع عنده هو التجدد، وهذا التجدد قد يفهم منه معنى التكرار والاستمرار والازدياد، وهو كثير في الأفعال لدلالاتها، إلّا أنه قد يفهم منه دلالة الحدوث بمعنى أن هذا الفعل جديد حادث على فاعله، وليس قديماً متأصلاً فيه؛ ولعلّ من أمثلة هذا عنده قول الله تعالى في صفة المتقين: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾⁴ . فقد « وصفهم الله بقوله: (يؤمنون) بالغيب أي بعد أن كانوا يكفرون بالبعث والمعاد ... ولذلك اجتلب في الإخبار عنهم هذه

1- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج30/590.

2- العنكبوت/32.

3- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج20/244.

4- البقرة/3.

الصَّلَاتِ الثلاثِ صيغة المضارع الدالة على التجدد إيداناً بتجدد إيمانهم بالغيب وتجدد إقامتهم الصلاة والإنفاق، إذ لم يكونوا متصفين بذلك إلا بعد أن جاءهم هدى القرآن»¹.

ومهما يكن من الرأي في هذا الاستنتاج من صاحب التحرير فلعله الموضع الذي يشير فيه إلى دلالة التجدد بهذا المعنى، وإنما تكثر دلالة التجدد وتتراحم فروعها بمعنى الاستمرار والتكرار والتكثير، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾². وكذلك صيغة المضارع (يحافظون) في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾³. ومن دلالات المضارع الأصيلة عنده دلالة استحضار الحالة خصوصاً فيما وقع في غير زمن الحال، كما في كثير من دلالات الفعل المضارع. وعموماً؛ فإن ما في المضارع من معنى التجدد يسمح له بتنفس دلالات متعددة يتبع بعضها بعضاً ويتفرع بعضها عن بعض.

ويختتم السامرائي كلامه عن استخدام صيغة الماضي والمضارع في القرآن كثيراً⁴ ضارباً لنا الأمثلة التالية؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٌّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾⁵؛ أي كلما سنحت له الفرصة قتل وهذا دليل التكرار لذا جاء الفعل بصيغة المضارع.

1- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1/229.

2- النمل/4.

3- المعارج/34.

4- ينظر: فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية، ص93.

5- النساء/92-93.

4-3- القيم التعبيرية المبني للمجهول في القرآن الكريم:

يتبدّى الفعل المبني للمجهول في النصوص القرآنية بكيفية تظهر فيها اللغة العربية على قدر عال في استخدام الفعل ضمن أساليب وظيفية دقيقة هي في الظاهر تعبيرية من جهة، وفنية جمالية من جهة أخرى. فالأفعال بشكل عامّ مادة الجمل، وأصل بنائها، والفعل من لوازم اللغة العربية الراقية لكونه يعيد تنظيم العلاقة بين عناصر هذه الجملة وتحقيق الغاية التعبيرية، منها والرسو بالمعنى على مراد المتكلم. فالفعل على هذا ناقل مصور لنشاط الحياة وحركة المتكلمين، يصور أفعالهم، ويفصح عن وجدانهم، ويعكس أمزجتهم في علاقاتهم بأنفسهم وغيرهم.

والفعل المبني للمجهول هو ذلك الذي لم يعرف فاعله. وللإمام الزمخشري تعريف جامع فيه وهو قوله: « هو ما استغنى عن فاعله فأقيم المفعول مقامه، وأسند إليه معدولا عن صيغة (فعل) إلى (فعل) ويسمى فعل ما لم يسم فاعله»¹. وهذه الصيغة المعدولة فسرّها العلماء - ومنهم الطاهر بن عاشور والزمخشري وغيرهما - على أنها اختيار سوغته قلّة استعماله وغرابة معناه في الأفعال.

ولمّا نستقرئ النصوص الواردة عن أعلام اللغة يتبيّن أن ظاهرة البناء للمجهول في العربية استندت على مصطلحين متلازمين هما: الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل. واللافت من الاستقراء نفسه أن مفاهيم هذين المصطلحين النحويين متعددة التسميات، وقد أفاض العلماء في تحديد هذين المفهومين وصرفهما إلى مستويات اللغة في معطياتها الدلالية والبيانية والبلاغية، وخلصوا إلى أن استعمالها إنما يلبي الحاجة التعبيرية.

1- الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، تح: علي أبو ملح، ط1، بيروت، مكتبة الهلال، 1993، ص258، 259.

4-3-1- ماهية الفعل المبني للمجهول في السياق القرآني:

أوقف سيبويه تعريف الفعل المبني للمجهول على الميزان الصرفي وهو ضم فاء الفعل وكسر عينه في الماضي (فُعِلَ)، وضم ياء المضارعة وفتح عينه في المضارع (يُفَعِّلُ) وسمّاه (فعل المفعول) في إشارة إلى الاسم الذي يليه والذي يقوم مقام المفعول كما بين ذلك بقوله: « وقد يتعدى فعل المفعول فينصب، وذلك قولك: كُسي عبد الله الثوب وأعطى عبدالله المال. وانتصب الثوب والمال لأنهما مفعولان تعدى إليهما فعل مفعول هو بمنزلة الفاعل»¹ وقد بين مفهوم الفعل المشتغل على الاسم الواقع بعده بقوله: «..فيرتفع إذا شغلت الفعل به»². وهو على هذا يوجهنا إلى خاصية انصراف المبني للمجهول لنائب الفاعل، من ثم كانت تسميته له بـ: (الفعل الذي شغل بالمفعول). وقد جراه الأخفش الأوسط (ت215هـ) على اشتغال الفعل بالاسم بعده وضرب المثل بقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾³. فقال: « شغل الفعل بالآيات حتى صار بمنزلة الفاعل، فنصب القرآن»⁴.

ويستفاد منهما أن تسميتهما جاءت نتاجا تحليليا تقعيديا، وهي القاعدة التي ألزم بها ابن جني نفسه فأطلق على الفعل مصطلح « بناء الفعل للمفعول»⁵، في وصف تصريفي. وبالنظر إلى مسألة تسمية الفعل ذاته نلمس لدى الفراء (ت207هـ) توقيفا على الوصف لما نعت الفعل بـ: (فعل لم يسم فاعله)، وهي التسمية التي تفتح المجال للنظر في أغراض احتجاب الفاعل في البنية العميقة للجملة الفعلية القرآنية المبنية للمجهول. والظاهر أن تسمية الفراء لقيت استحسانا لدى جمهور

1- سيبويه، الكتاب، ج1/ 41، 42.

2- المصدر نفسه، 229.

3- فصلت/ 03.

4- الأخفش، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج1/ 102.

5- ابن جني، المحتسب تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي، عبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، د ط، مصر، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1969، ج1/ 135.

النحاة، فوجدت النحاس (ت338هـ)¹ على سبيل الذكر لا الحصر ينحو المنحى نفسه في تسمية الفعل.

غير أن الإمام القرطبي (ت671هـ) ألفيته أول من يضع المصطلح بصيغته المتداولة اليوم حيث نعت به (الفعل المبني للمجهول) في تفسيره حين تعرض لقوله تعالى: ﴿...فَقَدْ رَحِمْتَهُ...﴾² قال: « ولم يقل رُحِمَ على المجهول .. »³. ومن هنا يتبين لنا أن الاستدلال على ظاهرة الفعل المبني للمجهول كان صرفياً باستخدام وزن (فعل) ووصفا بإطلاق تسمية ما لم يسم فاعله تارة والمبني للمفعول والمبني للمجهول تارة أخرى.

4-3-2- نائب الفاعل في القرآن: مفعول بمنزلة الفاعل.

أجمع علماء اللغة على أن نائب الفاعل اسم يقوم مقام المفعول باعتبار معنى الفعل المبني للمجهول قبله، وقد فسر سيبويه مقام المفعولية الذي يحتله هذا الاسم بقوله: « مفعول بمنزلة الفاعل »⁴. وهي التسمية التي وافقه عليها الأخفش، واعتبر نائب الفاعل في مرتبته تلك تحولا في المقام حيث قال في مسألة اشتغاله عند قوله تعالى ﴿...كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ...﴾⁵؛ « لأنك شغلت الفعل بالصيام حتى صار يقوم مقام الفاعل »⁶. ومسألة اشتغال الفعل بالمفعول بدلا عن الفاعل أصلا هي ما يدفعنا إلى النظر في أغراض ظاهرة البناء للمجهول في القرآن.

حفل القرآن الكريم بخاصية البناء للمجهول حتى كان ظاهرة تميز الذكر الحكيم عن غيره من الكلام، وأغلب ما جاء فيه كان مبنيا لما أصله مفعول به إذ يقوم المفعول به؛ مقام الفاعل في

1- النحاس، إعراب القرآن، تح: زهير غازي زاهد، ط2، بيروت، عالم الكتب، 1985، ج1/ 212 و332.

2- غافر/09.

3- القرطبي، تفسير، ج1/397، 398.

4- سيبويه، الكتاب، ج1/42.

5- البقرة/183.

6- الأخفش، معاني القرآن، ج3/306.

قراءات متواترة وأخرى شاذة، وهو ما يعنينا في مقام الحديث عن الفعل الرباعي مثلاً في القرآن الكريم البناء للمجهول ودلالة نائب الفاعل بعده في بيان قصدية النص القرآني، والمعنى الذي أوحته هذه الأفعال في شكلها البنائي المميز، والأغراض التي ترمي إليها هذه الأفعال؛ إنما هي الوقوف على قصد الحصول منه بالبحث عن سر الفاعل المحذوف الذي احتجب في البنى العميقة للجمل المبنية للمجهول بشكل عام والجملة القرآنية على وجه التحديد.

فقد يضيع الفهم الدقيق للآية ويجانب الغرض الحقيقي لها مع التأويل أو التقدير أو الظن فلو بحثنا عن الفاعل – للبيان والتمثيل – في قوله تعالى: ﴿...وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾¹؛ لتعددت الآراء في تحديد الفاعل بين من يصرفها إلى الله من قبيل الامتحان، أو من يردها إلى الكفار من باب غلبة العدد أو من يرجعها للشيطان في سعيه لإضعاف صف الحق ومظاهرة صفوف المبطلين.

ومن ثم كانت لأغراض البناء للمجهول وظيفة نحوية بالدرجة الأولى، فأنشئت الجملة بهذا النسيج المتألق لعلاقة سياقية محددة. وما ذكره علماء النحو عن الفعل المبني للمجهول من أغراض يكاد يكون موقوفاً على أغراض هي السبيل لفهم دواعي حذف الفاعل.

المبحث الثاني

الأبعاد الدلالية للصيغ الصرفية .

1- الخلافات الدلالية في توجيه بعض الأبنية الصرفية.

2- العدول بالصيغ.

3- الالتفات في الصيغ.

1- الخلافات الدلالية في توجيه بعض الأبنية الصرفية.

مما يذكر من الخلافات الدلالية في توجيه بعض الأبنية الصرفية ما جاء في مسألة (بين الجمع والمفرد)؛ بحيث تحتل صيغة (فعل) معنيين، فهي جمع للمفرد المؤنث، قال سيبويه: «إذا جاوزت بناء أدنى العدد كسرتة على فعل، وذلك قولك: رُكِبَ وغُرِفَ وجُفِرَ، وربما كسروه على فعال، وذلك قولك: نُقِرَ ونُقِرَ، وبُرِمَ وبرام، وجُفِرَ وجِفِرَ، وبُرِقَ وبراق»¹، وهذا البناء من أبنية الاسم الثلاثي، وهو من مصادر الثلاثي، نحو: (هَدَى)، فالصيغة بناء على هذا تحتل الداليتين.

وقد اختلف العلماء في دلالة (النهي) في قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾²، وكان لهم رأيان:

- أ- على الجمع: ومن الناحية³ من اختار الدلالة على الجمع، فالنهي في كلام العرب جمع (نهيّة).
- ب- على الأفراد: يرى أبو علي الفارسي أنه يجوز أن تكون اسماً مفرداً⁴. ولا شك أن هناك فرقا في الدلالة بين المفرد والجمع، لكن هذا الفرق لم يؤثر على المعنى العام للآية، فسواء قلت: أنتم أصحاب العقل الرّاجح، أم قلت: أصحاب العقول الرّاجحة؛ لأنك لم ترد بالمفرد المفرد، فأنت ذكرت المفرد وأردت الجمع؛ لأنك تخاطب جمعا.

ومن الآيات التي اختلفت في دلالة الصيغة فيها بين المفرد والجمع قوله تعالى:

1- سيبويه، الكتاب، ج3/579.

2- طه/54.

3- ينظر: الفراء، معاني القرآن، ج2/181. والزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1988، ج3/359.

4- ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، د ط، بيروت، دار الفكر، 1420هـ، ج6/234. و السمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، د ط، سوريا، دار القلم، 1982، ج8/52.

﴿فَنَجِّنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا﴾¹، فقد اختلفوا في دلالة قوله: (فُتُونًا)، فالصيغة صيغة مصدرٍ وذلك نحو: (جُلُوسٍ)، و(خُرُوجٍ)، و(تُبُورٍ)، و(لُزُومٍ)، وهي أيضا صيغة جمع، وذلك نحو: (بُدُورٍ) و(قُدُورٍ)، وغيرها، ولأجل هذا الاشتراك في الصيغة كان للعلماء في (فُتُونًا) قولان²: منهم من رأى أنها مصدر على (فُعُولٍ)، والمعنى عندهم: اختبرناك اختبارا. ومن العلماء من رأى أنه جمع (فُتْنَةٍ)، أو (فُتْنٍ)، والمعنى في هذا الرأي يختلف عن المعنى في الرأي السابق، فالمعنى هنا: فتّناك ضروبا كثيرة من الفتن.

والسبب فيما أرى يرجع إلى أمرين: الأول ذكرته سابقا وهو احتمالية الصيغة الصرفية للمعنيين، حتى إنه لم يحدّد معنى منهما، فيجوز الأمرين، وذلك لاحتمالية المعنيين، أمّا السبب الآخر خلاف أهل التّأويل، وهذه الآراء تفسير للرأي الصرفي الأول، وهو أنّ هذه صيغة مصدر، وأنّ (فُتُونًا) مصدر (فُتْنٍ).

ونقل عن أهل التّأويل ما يؤيد الرأي الثاني، وهو أنّ المقصود بالآية مجموعة من الفتن والمحن، قال الزّمخشري: «سأل سعيد بن جبیر ابن عباس رضي الله عنهما فقال: خلّصناك من محنة بعد محنة، ولد في عامٍ كان يُقتل فيه الولدان، فهذه فتنة يا ابن جبیر، وألقته أمه في البحر، وهمّ فرعون بقتله، وقتل قبطيّا، وأجر نفسه عشر سنين، وضلّ الطّريق، وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة، وكان يقول عند كلّ واحدة: فهذه فتنة يا ابن جبیر»³.

ويلاحظ أنّ المعنى تأثر بهذا الخلاف؛ فالمعنى في الرأي الأول يختلف عن المعنى في الرأي الثاني، وهذا الاختلاف في المعنى لم يتأثر به المعنى العامّ للآية، فالرأيان يدلان على أنّ

1- طه/40.

2- ينظر: الزّمخشري، الكشف، ج3/65. وأبو حيّان، تفسير البحر المحيط، ج6/227. والسمين الحلبي، الدرّ المصون، ج8/39. والرازي، التفسير الكبير، ج22/48.

3- الزّمخشري، الكشف، ج3/65-66. وينظر: السيوطي، تح: عبد الله بن عبد المحسن تركي، ط1، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 2003، ج5/569.

موسى عليه السلام قد فُتِنَ، ولذلك لا يظهر الفرق في المعنى بين الرأيين إلا لمن يتبصر ويدقق في ألفاظ الكتاب العزيز، وأثر خلاف العلماء في هذه الألفاظ على المعنى. وقد بني على هذا الخلاف خلاف نحوي، فمن ذهب إلى أن (فُتُونَا) مصدرٌ نصبه على المصدرية، ومن ذهب إلى أنها صيغة جمع، وأن المراد أنواع من الفتن نصبه على نزع الخافض، فالمعنى: فَتَاكَ بِفُتُونٍ.

الجدير بالذكر في هذه المسألة؛ ما يسميه العلماء دلالة العدول أو النيابة كاستعمال مبنى صيغة الجمع للدلالة على المفرد، وهو فيما أراه يطابق مفهوم أسلوب الالتفات. والأمر اللافت للانتباه في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾¹؛ هو استعمال صيغة الجمع (مساجد) للدلالة على مسجد الله الحرام، فمخاطبة الله عز وجل للمشركين بصيغة الجمع؛ لأن المراد هو ذلك، فالزمخشري يشير إلى ذلك بقوله: «وإنما قيل: مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها»².

ونجد في قوله تعالى: ﴿...فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَأُمَّهُ السُّدُسُ...﴾³ تعبيراً أسلوبياً مثيراً فجعل مبنى الصيغة (إخوة) للدلالة على المثني، يدفع القارئ لتحري قيمة ذلك في الميراث، فلم المخاطبة بصيغة الجمع في الآية الكريمة؟ إذا علمنا أن أقل الجمع اثنان، فإن الزمخشري يقول: «فإن قلت: فكيف صح أن يتناول الأخوة (الأخوين)، والجمع خلاف التثنية؟ قلت: الأخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية، والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية، وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق، فدل بالأخوة عليه»⁴.

1- التوبة/ 17.

2- الزمخشري، الكشاف، ج2/253.

3- النساء/ 11.

4- الزمخشري، الكشاف، ج1/ 483.

وأهمية البناء الصرفي في تحديد الدلالة لا تتجسّد فيما تحيل إليه الصيغة الصرفية، بل يبقى للسياق تأثير بالغ الأهمية في تحديد المعنى المراد بالصيغة على مستوى الأفراد، أو على مستوى التركيب وفي هذا الأخير حديث عن علاقة المثير الأسلوبي بالنحو.

1-1- الاشتراك بين المصدر واسم المكان:

اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ...﴾¹، حيث إنّ المحيض في اللغة العربية يأتي مصدرا بمعنى الحيض، ويأتي اسم مكان؛ فيدل على مكان الحيض الذي هو الفرج، فهو مشترك بين المعنيين، فهل المراد اعتزلوا النساء زمن الحيض أو المراد اعتزلوا النساء في محلّ الحيض؟

وسبب نزول الآية أنّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم- فانزل الله هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اصنعوا كل شيء إلا النكاح"، وفي لفظ "إلّا الجماع"².

قال الرازي: «اعلم أن أكثر المفسرين من الأدباء زعموا أن المراد بالمحيض ههنا الحيض، وعندي أنه ليس كذلك، إذ لو كان المراد بالمحيض هنا الحيض لكان معنى قوله تعالى: "فاعتزلوا النساء في الحيض"، ويكون المراد فاعتزلوا زمان الحيض، فيكون ظاهره مانعا عن الاستمتاع بها فيما فوق السرة ودون الركبة، ولما كان هذا المنع غير ثابت لزم القول بتطرق النسخ أو التخصيص إلى الآية، ومعلوم أن ذلك خلاف الأصل، أما إذا حملنا المحيض على موضع الحيض، كان معنى الآية، فاعتزلوا موضع الحيض من النساء، وعلى هذا التقدير لا يتطرق إلى

1- البقرة/ 222.

2- الحديث رواه مسلم في صحيحه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، مصر، دار إحياء الكتب العربية، 1965م، ص: 302.

الآية نسخ ولا تخصيص، ومعلوم أن اللفظ إذا كان مشتركاً بين معنيين وكان حمله على أحدهما يوجب محذوراً، وعلى الآخر لا يوجب ذلك المحذور، فإنّ حمل اللفظ على المعنى الذي لا يوجب المحذور أولى وهذا إذا سلمنا أنّ لفظ المحيض مشترك بين الموضع وبين المصدر، مع أنّنا نعلم استعمال هذا اللفظ في الموضع أكثر منه في المصدر»¹.

أورد الجصاص أنّ: « لفظ المحيض قد يكون اسماً للمحيض نفسه، وقد يكون اسماً لموضع الحيض كالمبيت والمقيل، موضع البيتوتة، وموضع القيلولة، ولكن في الآية الكريمة ما يشير إلى أنّ المراد هو المحيض، لأنّ الجواب ورد بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾، وذلك صفة لنفس الحيض لا للموضع الذي فيه»². والملاحظ أنّ الجصاص اعتمد هنا على قرينة لفظية في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَذَى﴾، والمعروف أنّ مجرد قرب الزوجة لا يكون أذى مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن لا ينجس"³.

أمّا الطبري فقد فرق في دلالة لفظ (المحيض) على المكان وما فيه، « فالمكان هو الفرج وما يحدث فيه هو الدم فقوله: (هو أذى) صفة لنفس الحيض لا الموضع الذي فيه، والذي في النص نفسه وهو قوله تعالى في الآية السابقة، عند التحريم إلى غاية التحليل فذكر بعد الغاية الإتيان، فدلّ أنّ المحرم قبله هو الإتيان فقط»⁴.

1- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج7/242-244.

2- الجصاص، تفسير أحكام القرآن، تح: محمد صادق قمحاوي، د ط، بيروت، دار إحياء الكتب العربية - مؤسسة التاريخ العربي، 1412/1992، ج1/397.

3- ابن رشد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، القرطبي، بيروت - لبنان، دار بن حزم، 1999م/1420هـ، ج1/55.

4- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ج1/135.

و كان المرجح عند الصابوني دلالة لفظ المحيض على اسم المكان يقول: « كان اليهود يبالغون في التباعد عن المرأة حالة الحيض، فلا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يساكنونها في بيت واحد ويعتبرونها كأنها داء أو رجس وقذر، وكان النصارى يفرطون في التساهل فيجامعوهن ولا يبالون، فجاء الإسلام بالحدّ الوسط (افعلوا كل شيء إلا النكاح)، وهذا من محاسن الشريعة الإسلامية الغراء، حيث أمر المسلمين بالاقتصاد من الأمرين ¹. وبهذا تكون كل القرائن سواء الداخلية المتعلقة بالنص والقرائن الخارجية عنه من السنّة، موجهة للمعنى ومرجّحة لدلالة لفظ المحيض على المكان منه على دلّالته على المصدر.

1-2- التساوي بين صيغتين مختلفتين أو أكثر:

من الألفاظ التي تساوت دلالة الصيغة فيها عند ابن عاشور لفظة (الصريخ) في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾²، فهي على حدّ رأيه « بمعنى المستغيث المستجد فهي فعيل بمعنى الفاعل...ويطلق الصريخ على المغيث، فعيل بمعنى مفعول، وذلك أن المنجد إذا صرخ به المستجد صرخ هو مجيباً بما يطمئن له من النصر»³. فالصريخ هنا بمعنى المستغاث، ثم يؤول ابن عاشور المعنى بحيث يتوافق مع الدالّتين؛ « والمعنى : لا يجدون من يستصرخون به وهم في لجج البحر ولا ينقذهم أحد من الغرق »⁴.

ولعلّه بذلك يريد أن لا مغيث لهم يمنع الغرق، وهم في لجج البحر، ولا هم ينقذون إذا أدركهم الغرق. فتعدد الوجوه في هذه اللفظة ممّا يدلّ على التفنن والاقتدار، وقد عبّر بعض الباحثين عن ذلك

1- محمد علي الصابوني، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، ط3، دمشق -سوريا- مكتبة الغزالي - مؤسسة مناهل العرفان، 1980، ج1/296.

2- يس/43.

3- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج23/29.

4- المصدر نفسه، ج23/29.

بتضافر « معاني تلك الصيغة في خلق معنى ذي ظلال متعددة تتفق مع السياق وتتناغم معه »¹. ولعلّ فكر ابن عاشور الدلالي يطلعنا عن بعض جهوده في مجال الاشتقاق أن نكون لمسنا إحاطة الطاهر بقضاياها - على تشعبها - ومدى إفادته منه في إبراز المعنى القرآني ، والرؤية العميقة لدلالاته.

وفي تساوي أكثر من صيغتين؛ إذا كانت صيغة فعيل تعطي دلالة المفعول في مواضع من القرآن الكريم، فإنها تعطي دلالة الفاعل في مواضع أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿...وَأِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾². فإن صيغة ظهير « وصف بمعنى المظاهر أي المؤيد ، وهو مشتق من الظهر ، فهو فعيل بمعنى مفاعل»³؛ أي أنّ جماعة الملائكة بمثابة فوج مظاهر، ويعلّ ابن عاشور مميّزا بين فعيل التي لها دلالة الفاعل والأخرى التي لها دلالة المفعول؛ بأنّ الأولى تطابق موصوفها في الأفراد وغيره ، وبناءً على هذه القاعدة يحاول تفسير مجيئها مفردة للإخبار عن الملائكة وهم جمع ، ومعنى هذا أن دلالة الفاعلية فيها لا تتزحزح بمجرد مخالفتها في الأفراد أو الجمع لمن أخبرت عنه ، وإنما تؤول هذه العلاقة للاحتفاظ بدلالة الفاعلية فيها.

وقريب من تناوب الصيغ في الدلالة ملمح آخر يتعلق بتعدد الدلالة في الصيغة الواحدة إمّا طريقة الاحتمال؛ وإمّا على طريقة الاستيعاب، فالحصير في قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾⁴. يمكن أن يكون بمعنى الفاعل من حيث حصر المكان لمن فيه ، كما يمكن أن يكون بمعنى المفعول إذا تعلق بالمحصورين فيه؛ أي: تحصرهم،

1- عبد الحميد هندأوي، الإعجاز الصرفي، ص183.

2- التحريم/4.

3- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 359/28.

4- الإسراء/8.

ويبدو أن الداليتين متساويتان عند ابن عاشور، وهما تتصبان على معنى واحد وهو « المكان الذي يحصر فيه فلا يستطيع الخروج منه، فهو إمّا (فعل) بمعنى (فاعل) ، وإمّا بمعنى (مفعول) على تقدير متعلق أي محصور فيه »¹.

2- العدول بالصيغ:

لقد كثر الحديث عن العدول (الانحراف) في الدراسات الأكاديمية وغيرها، وتم التوصل إلى استنتاج بعض التسميات الأسلوبية التي تجعل من بعض العدول مثيرا أسلوبيا، وهذا ما نستطيع أن نكتشفه من خلال هذا العنصر. فما مفهوم العدول بالصيغ أو العدول الصرفي على وجه التحديد؟

إذا كان الصرف هو العلم بأحكام بنية الكلمة وبما لأحرفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وإبدال، كما ورد في مهاد هذا الفصل؛ فيُعرّف العدول الصرفي على اعتبار ذلك بأنه ترك الوزن القياسي لوزن آخر لدلالة معنوية لا يحتويها الوزن الأول . وهذه الزيادة في الحروف وفق أوزان وصيغ معروفة في اللغة العربية بالاشتقاق. وقد أُخضعت الصيغ إلى معايير قياسية منتظمة يتمّ التحكم فيها بأوزان صرفية . إنّ لكل حرف يضاف إلى صيغة صرفية زيادة في المعنى، قال ابن جني: « إن زيادة المبنى إنما جاء به لمعنى »²، وكنت قد أشرت إلى مثله في بداية هذا المبحث لدى ابن الأثير. ففي كل زيادة في بناء صيغة الكلمة الصرفية تستوجب زيادة في الدلالة، فاللغة العربية لغة مطاوعة مرنة يمكن اشتقاق عدد كبير من المفردات.

1- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 39/15

2- ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط3، بيروت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ج 1/ 233.

2-1- العدول السياقي بالصيغ.

يقول الله تعالى في سورة البقرة مخاطباً اليهود : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾¹ . ذهب كثير من المفسرين إلى أن في الآية عدولاً عن الماضي إلى المضارع ، والأصل : ففريقاً كذبتم وفريقاً قتلتم . إن صيغة الماضي (كذبتم) « تمثل القاعدة السياقية التي تم العدول عنها؛ فإن إثارة صيغة الماضي هذه ابتداء فيه إشعار ضمني بتوجه السياق إلى بناء نسق متتابع من الأفعال الماضية، ويأتي قانونا الجوار والعطف ليعززاً هذه الفكرة لدى المتلقي ففي ضوء هذين القانونين يصبح تجانس المتجاورين والمتعاطفين أمراً مألوفاً ومتوارداً في الأسلوب العربي »² . فيكون الحكم بوجود ظاهرة عدولية في الآية أمراً مقبولاً ومستنداً إلى قوانين لغوية معتبرة.

لكن الأمر يختلف تماماً في مثل قوله تعالى على لسان بني إسرائيل مخاطبين موسى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾³ . إن القول بوجود ظاهرة عدول عن (مجاهرة) إلى (جهرة) « فيه من التعسف والاعتباط ما لا يخفى ، ولعل السبب في ذلك غياب القاعدة أو الأصل المعدول عنه عن السياق اللغوي ، فضلاً عن افتقار هذا الزعم إلى المبررات الأسلوبية والقوانين اللغوية الداعمة »⁴.

1- البقرة/ 87

2- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، ص 23.

3- البقرة/ 55.

4- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، ص 24

والحقّ أنّ التّعويل على القاعدة المعيارية في بعض ظواهر العدول قد يكون مقبولاً ومستساغاً
 ففي قوله تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾¹. يُصبح القول
 بالعدول عن صيغة المستقبل (سيأتي) إلى صيغة الماضي (أتى) منطقياً ومعقولاً لا يتأتى إلا من
 خلال إدراكنا ومعرفتنا المسبقين بأن الحديث في الآية عن يوم القيامة ، ويوم القيامة - بداهة - يقع في
 حيز المستقبل ، ولولا هذه المعرفة المسبقة - التي تُعد مرجعيةً خارجةً عن السياق اللغوي - لما سلّمنا
 بصحة دعوى وجود ظاهرة عدولية في الآية .

وحتى مع وجود قرينة لغوية داعمة لهذه الدعوى وهي قوله تعالى (فلا تستعجلوه)،
 والاستعجال لا يكون إلّا لما سيأتي ، فإنّ اشتراط وجود القاعدة السياقية المعدول عنها في السياق يظلّ
 ضرورة ملحة؛ ذلك لأن هذا الوجود يُغني عن وجود القرائن الخارجية (السياق التاريخي وسياق
 المقام) والقرائن الداخلية الداعمة (القرائن اللغوية) . فيصبح توافر هذه القرائن وحضورها من
 المعززات الداعمة لدعوى وجود ظاهرة عدولية.

وليس شرطاً لصحة هذه الدعوى، وليس الأمر كذلك بالنسبة للقاعدة المعيارية ؛ لأن السياقات
 الخارجية والقرائن اللغوية الداخلية تظل شروطاً أساسية لصحة الحكم بوجود ظاهرة عدول عن هذه
 القاعدة ، فضلاً عن أن صحة هذا الحكم لا تطرّد في كل النماذج العدولية المزعومة ؛ ذلك لأنّ القاعدة
 المعيارية المعدول عنها تظل افتراضية متخيلة عاريةً من المعززات الأسلوبية الداعمة في كثير من
 هذه النماذج ولعلّ في الشاهد السابق الذي أوردناه (مجاهرة) (جهرة) ما يؤكد هذه الحقيقة². وسأتي
 إلى ما يعزّز توجّه بحثي بخصوص القرائن في الفصل الأخير من هذا البحث (دور السياق في
 إظهار دلالة المثير الأسلوبي).

1- النحل/1.

2- ينظر: جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، ص24.

ويميل أحد الدارسين المحدثين إلى رأي الجمهور القاضي بـ «الحق أن الرأي الذي تبناه جمهور البلاغيين في هذا الصدد هو - فيما نرى - أقرب إلى الصواب ؛ ذلك أنه ليس ثمة تحول أو نقل في إيراد نوع من أنواع الضمائر في مقام يقتضي سواه ، أو لنقل - بعبارة أخرى - إنَّ النقل الذي نلاحظه في مثل هذا الإيراد إنما هو نقل تقديري عما تقتضيه مواضع اللغة ، وليس نقلاً أسلوبياً متجسداً بطرفين في نسيج الكلام»¹.

2-2- العدول في المصادر:

عدل الحكيم عز وجل عن المصدر (تَبَتَّلًا) إلى المصدر (تَبَتَّلًا)، أي من وزن (التفَعَّل) إلى (التفَعِيل) في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَتُّلاً﴾²، ويرجع الزمخشري هذا العدول إلى الفواصل «فإن قلت: كيف قيل (تَبَتَّلًا) مكان (تَبَتَّلًا)، قلت لأن معنى تَبَتَّل: بَتَّلَ نفسك فجاء به على معناه مراعاة لحق الفواصل»³، فالملحظ من قول الزمخشري أن الفاصلة في القرآن الكريم تشكل مثيراً أسلوبياً، والحديث عن الفاصلة يحتاج إلى بحث علمي مستقل.

يُدرج السامرائي معاني الآية سائلة الذكر في باب التوسّع في المعنى في الجمع بين الألفاظ والصيغ المشتركة ذات الدلالات المختلفة، وهي لديه من مواطن التوسّع في القرآن الكريم؛ من خلال الجمع بين الألفاظ والصيغ ذات الدلالات المختلفة. فيذكر معلقاً «...القياس أن يقال تَبَتَّلَ تَبَتُّلاً؛ إنما في الآية جاء بالفعل ولم يأت بمصدره، وإنما جاء بمصدر فعل آخر ليجمع بين أمرين. (صيغة تفعل تفيد التدرج) ... ولأنَّ (صيغة فعل تفيد التكثير). ففي قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَتُّلاً﴾ جمع بين المعنيين التدرج والتكلف؛ والمبالغة والتكثير، ووضعهما وضعاً تربوياً عجباً يبدأ بالتدرج ثم ينتهي بالتكثير. فالتَبَتَّل هو الانقطاع إلى الله في العبادة.

1- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د ط، مصر، دار الفكر العربي، 1998، ص26.

2- المزمّل/ 8.

3- الزمخشري، الكشف، ج4/15.

وقد علّمنا تعالى أن نبدأ بالتدرج في العبادة شيئاً فشيئاً، ثم ندخل في التكثير ولا ندخل في العبادة الكثيرة مباشرة؛ لأن التدرج في العبادة يؤدي إلى الكثرة فيها فيما بعد، وهذه هي الطريقة التربوية للعبادة تبدأ بالتدرج وتحمل نفسك على العبادة شيئاً فشيئاً ثم تنتهي بالتكثير والكثرة في العبادة. والتّدرج والتكّلف جاء بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدّد (تبتّل) ثم جاء بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت (تبتيلاً)، فبدل أن يقول تبتّل إليه تبتّلاً وبتّل نفسك إليه تبتيلاً، وهذه صياغة فنية تربوية عجيبة وقد جمع في الآية عدة أمور بيانية في التعبير. والعرب قديماً كانوا يفهمون هذه البلاغة بالفطرة لكنهم عجزوا عن الإتيان بالصيغة التي جاء بها القرآن الكريم وهذا هو التحدي والإعجاز في القرآن»¹.

أمّا الدكتور عبد الحميد هنداوي في دراسته الإعجاز الصرفي، فقد عمّق البحث عن المعنى المقصود من العدول السابق الذكر، فهو يرى أن معنى المصدر (تبتيلاً) يتضمن معنى المصدر (تبتّلاً)²، ويستدل في تخريجه هذا بتضمين فعل ما معنى فعل آخر حين استشهد بقوله تعالى: ﴿وَنَصْرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾³، فيقول: «أي نجيناه من القوم، حيث أراد أن يبين سبحانه أن هذا النصر لم يكن بالغلبة، وإنما كان بالتنجية من أذى قومه، فعدها بـ(من)، وكان حقه أن يعدى بـ(على)، وذلك ليضمنه معنى نجيناه أي ونجيناها وخلصناه منتصراً من القوم»⁴.

واستطرد في شرحه «... وأتى في المصدر بـ(تبتيلاً) ليدلّ على أن المراد هو الإكثار من هذا التبتّل والانقطاع، وذلك لحاجة الداعي إليه في أول الطريق حتى ينال نصيبه من زكاة النفس،

1- السامرائي فاضل صالح، من أسرار البيان، ط1، دار الفكر عمّان -الأردن- ، 2009/1429، ص79.

2- ينظر: عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي، ص 170.

3- الأنبياء/77.

4- ينظر: عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي، ص170، 171.

ومجاهدتها ... وبهذا يتضمن الأمر معنى المحاولة والمجاهدة مع الإكثار من (التبتّل) المطلوب للداعي ليكون زادا له في دعوته للناس»¹. ولقد انطوى العدول في الصيغة السابقة على شرح آخر حدّد في أن « السبب في إثثار (تبتّل) على (بتّل) أن (تبتّل) مطاوع (بتّل)، حيث يقال (بتّله فتبتّل) معنى (بتّل) »²، وبهذا نجد الآية الكريمة جمعت بين عدولين في آن واحد أي عدول في عدول فـ(تبتّل) مصدر الفعل (بتّل)، و(تبتّل) مصدره (تبتّل)، وبالتالي كان (التبتّل) بمعناه المشار إليه سابقا طوراً زمنياً مهماً لأجل التبتّل الذي يناسب معناه ترويض النفس والمداومة على الانقطاع إلى عبادة الله.

2-3- العدول إلى اسم الفاعل:

ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَتَّبِعَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أُنْتَبِتَ تَابِعِ قِبَلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعِ قِبَلَةِ بَعْضٍ وَلَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾³، فالتعبير في هذه الآية الكريمة كان بصيغتي (الفعل) و(الاسم)، (تبعوا) و(تابع) عن أهل الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم على التوالي.

ولعلّ سبب العدول المثير من صيغة الفعل إلى صيغة اسم الفاعل، يعود إلى أن « التعبير باسم الفاعل منفياً لينفي عن النبي صلى الله عليه وسلم أهليته لهذا الأمر من الأصل، ويؤيد ذلك أن اسم الفاعل يأتي للنسبة، ومن ثم كان التعبير باسم الفاعل منفياً لأدنى احتمال في انتساب النبي صلى الله عليه وسلم لمتابعة أهل الكتاب »⁴.

1- عبد الحميد هندراوي، الإعجاز الصرفي، ص 172.

2- المرجع نفسه، ص 172.

3- البقرة/145.

4- عبد الحميد هندراوي، الإعجاز الصرفي، ص 175.

ويجزم الزمخشري في تفسيره للآية السابقة بأن التعبير بصيغة اسم الفاعل عن النبي صلى الله عليه وسلم قطع للشك باليقين، وأنّ هذا الأمر حسم، وفيصل لأطماع أهل الكتاب وانعدام رغبتهم في الإيمان¹، وما زاد التعبير بصيغة اسم الفاعل (تابع) قيمة، هو ربطها بـ(الباء) للنفي المؤكد وبالتالي تخلص النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الأمر الذي يترجّاه أهل الكتاب، وهو أن يتّبع الرسول الأكرم أهواء أهل الكتاب وأطماعهم.

وقياس هذا التحليل على قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾². يعرض سياق الآيتين الكريمتين قضية العبادة : عبادة النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه من جهة وعبادة الكافرين من جهة أخرى . ومن خلال هذا العرض يظهر تأكيد نفي تحول أحد الطرفين إلى عبادة معبود الطرف الآخر؛ لأنّ « من مظاهر هذا التأكيد ووسائله الأسلوبية توظيف الجملة الاسمية في سياق النفي (ولا أنا عابد ، ولا أنتم عابدو) ، واختيار اسم الفاعل للإخبار به في الجملتين . ولولا هذا الاختيار لما كان للجملة الاسمية أي دلالة على الثبوت، ولهذا فإنّها تكون مفرغة من دلالة التأكيد »³.

ثم يدلّ على رأيه بقول أبي البقاء: « والجملة الاسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على تجدد أو استمرار، وإذا كان خبرها اسماً فقد يُقصد به الدوام والاستمرار الثبوتي »⁴. وهذا يعني أن الجملة الاسمية التي يكون الخبر (المسند) فيها اسماً حين تقع في سياق النفي تدلّ على ثبوت نفي الخبر عن المبتدأ (المسند إليه) . فيكون معنى الآيتين : ثبوت نفي عبادة النبي معبود الكافرين وثبوت نفي عبادة الكافرين معبود النبي صلى الله عليه وسلم.

1- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2/ 268.

2- الكافرون/04.

3- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، ص25.

4- المرجع نفسه، ص25.

ويلاحظ تغاير فعل العبادة المسند إلى الكافرين مع نظيره المسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم، « فقد أتى هذا الفعل - ابتداء - مع الكافرين بصيغة الماضي (عبدتم)، ثم عدل إلى صيغة المضارع في الفعل المسند إلى النبي صلى الله عليه وسلم (أعبد). ونفترض اتحاد الصيغتين في بنية العمق بصورة الماضي (عبدتم، عبدت)، وهذا الافتراض يستند إلى قانون الجوار أولاً، ثم يستند إلى مقتضيات وضروريات قانون التقابل ثانياً¹، ويتراءى في الآيتين أنهما تمثلان بنيتين لغويتين متقابلتين:

إيمان	كفر
توحيد	شرك
ألوهية	وثنية
ثبات على الإيمان	ثبات على الكفر

الجدول 1: التناسب الدلالي باعتبار الشرح بالخلاف.

هذا التقابل يقتضي اتفاق البنيتين المتقابلتين في العناصر اللغوية الموازية إثباتاً ونفيًا. وقد اتفقت البنيتان اللغويتان في معظم عناصر الموازنة بينهما، فاتفقتا في حرف العطف والنفي: (ولا، ولا)، وفي أن المسند إليه ضمير (أنا، أنتم)، وفي أن المسند اسم فاعل (عابد، عابدون) وفي أن المفعول به اسم موصول (ما)². إن الاتفاق على مستوى هذه العناصر الثلاثة كان يفترض أن يحدث اتفاق على مستوى العنصر الأخير (عبدتم، عبدت) فما دلالة ذلك؟

1- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، ص 26.

2- المرجع نفسه، ص 26، 27.

يقول الزمخشري : « فإن قلت : فهلاً قيل : (ما عبت) كما قيل : (ما عبتُم) ؟ ، قلت : لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل البعث ، وهو لم يكن يعبد الله تعالى في ذلك الوقت »¹. ويرى القرطبي أن الغرض من هذا العدول هو الإشارة إلى أن ما عُبد في الماضي هو الذي سيعبد في المستقبل². فضلاً عما سبق يرشدنا العدول في الآية بدلالة إضافية هي أن عبادة الكفار الأصنام ماضية ذاهبة منقطعة ، وأن عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين الله باقية مستمرة دائمة لذلك أُوثرت صيغة الماضي وعدل إلى صيغة المضارع .

2-4- العدول إلى اسم المفعول:

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْأَشْرَاقِ، وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾³، يرى صاحب الكشف في خطاب الله تعالى عن نبيه داوود عليه السلام ، عدول أسلوبه من (يسبحن) إلى (محشورة) أي من صيغة (الفعل) في الآية 18 إلى صيغة (اسم المفعول) في الآية التي تليها، والشاهد ههنا في قوله تعالى (محشورة)؛ يقول الزمخشري « وقوله (محشورة) في مقابلة (يسبحن) إلا أنه لما لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من إرادة الدلالة على الحدث شيئاً بعد شيء، جيء به اسماً لا فعلاً »⁴؛ لأن التعبير بـ(محشورة) أدل على القدرة .

وباعتبار هذا التخريج الدلالي فإن « التسبيح يقع من المخلوقات شيئاً فشيئاً أما الحشر فيقع من الله تعالى جملة واحدة بأمر واحد، إذ يقول للشيء كن فيكون، كما أن ذلك يدل على اجتماع

1- الزمخشري، الكشف، ج4/809.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 20/225.

3- ص/18، 19.

4- الزمخشري، الكشف، ج3/32.

الطير لداود عليه السلام في وقت واحد ساعة تسبيحه، لا أنها تحضر في أوان تسبيحه شيئاً فشيئاً بل تحضر معه جملة واحدة من بداية التسبيح إلى منتهاه»¹، وليس فعل العبد كفعل الخالق تعالى.

وفي سياق الحديث هذا، ذكر الدكتور حسن طبل أن صيغة الاسم تفيد الخصوصية والتمييز² ذلك أن سرّ التعبير الأسلوبى في الآية الكريمة يظهر المنزلة الرفيعة التي أرادها الله تبارك وتعالى لنبيه داود عليه السلام، ومن ثم « تبرز خصوصية النعمة التي أنعم الله بها على نبيه داود إذ من شأن الطير الحركة والتنقل، ومن ثم فإن التعبير بصيغة الاسم تفيد أن الطير حين تسبح مع داود تفارق طباعها وتثبت في مكانها خاشعة»³. إذا فلو استعملت صيغة اسم المفعول (محشورة) بصيغة الفعل (يحشرون) وصار التعبير عندئذ (وسخرنا الطير يحشرون)، لدلّ ذلك على حدوث فعل الحشر بالتدريج، أمّا التعبير بصيغة اسم المفعول فالمراد به أن الحاشر هو الله الواحد والقادر على ذلك⁴.

والحقيقة أن تفسير الزمخشري لظاهرة العدول في الآية هو تفسير عام ؛ لأنه يركز على ظاهرة العدول عن الفعل إلى الاسم دون الإشارة إلى دلالة إيثار صيغة اسم المفعول دون غيرها من الصيغ الاسمية الأخرى.

تمثل بنية العدول في الآية الكريمة نموذجاً فريداً من نماذج الظاهرة العدولية في القرآن الكريم وتكتسب فرادتها من كون بنية العدول فيها تنفتح – دلاليًا – على قيمة المضارعة في فعل التسبيح بحيث: « لما كانت صيغة المضارع دالةً ببنيتها على استحضار الصورة وعرضها أمام المتلقي لتلمس مواطن العبرة والروعة والجمال فيها؛ فإنّ إيثار صيغة المضارع المبني للمعلوم (يسبحن) مواطن العبرة والروعة والجمال فيها؛ فإنّ إيثار صيغة المضارع المبني للمعلوم (يسبحن)

1- عبد الحميد هندواوي، الإعجاز الصرفي، ص181.

2- ينظر: حسن طبل، المعنى في البلاغة، ط1، مصر، دار الفكر العربي، 1418هـ/1998م، ص30.

3- عبد الحميد هندواوي، الإعجاز الصرفي، ص181 .

4- ينظر : الكشاف، الزمخشري، ج3/ 32 .

- تحديداً - يخدم هذا الغرض الجمالي خدمةً مذهشةً ؛ ذلك لأنّ هذه الصيغة توفّر للصورة العنصر الحيوي الفاعل فيها (نون النسوة) الذي يمارس الحدث المراد تصويره ¹.

وعليه؛ فإنّ استحضار الصورة يتطلب تدرّجاً زمنياً لعرض المشاهد والأحداث أمام المتلقي ليتيح له التّمعّن فيها والتعاشيش معها والانفعال بها، واستكشاف بواعث الروعة والجمال والإدهاش فيها؛ لأنّ بطء حركة الزمن يرتبط بطاقة التصوير، وبذلك يتحقق الغرض الجمالي وهو الدلالة على عظيم قدرة الله تعالى في حشر الطير وجمعها دفعة واحدة دون تدرج. ولا شك أن القصد التصويري يتنافى مع قصد إظهار قدرة الله في حشر الطي؛ ذلك لأنّ التصوير يقتضي بطئاً وتدرجاً في حركة الزمن وإظهار قدرة الله تعالى في الحشر تقتضي السرعة والمبادرة ².

إن اسم المفعول - في الصناعة الصرفية - يُصاغ من الفعل المبني للمجهول ويؤدي الوظيفة الدلالية التي تُعدّ المسوغ الأسلوبية الأساسي لإيثار السياق صيغة اسم المفعول في بنية المعدول إليه ذلك لغرض تعظيم الله سبحانه وتعالى وتفخيمه؛ فحريّ به - سبحانه - هيبة الخفاء والاستتار ليكون ذلك أدلّ على عظيم قدرته بحشر الطير وجمعها دفعةً واحدةً مع تنزهه وغيابه عن ملابسة الحدث.

2-5- العدول إلى الصفة المشبهة:

من لطائف القرآن الكريم التي وسمت أسلوبه العدول إلى الصفة المشبهة، وأفضل دليل على ذلك ما استشهد به بعض العلماء وأهل الاختصاص فيما يخص قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ، يَقُولُونَ أَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ، أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً، قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ...﴾ ³ والشاهد في عدول الآية عن

1- ينظر: جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، 28.

2- المرجع نفسه، ص30.

3- النازعات/6-13.

اسم الفاعل الذي جاءت عليه الفواصل إلى صيغة الصفة المشبهة في قوله تعالى ﴿أَنذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخْرَةً﴾، ومردّد ذلك إلى اختلاف بعض القراء، لكن المهمّ لماذا هذا العدول؟

تتوالى في الآية الكريمة سلسلة من صيغ اسم الفاعل (خمس صيغ)، والتي تتابع في مشكلة نسقا متجانساً يمتد على طول ست آيات؛ ليضيفي تناعماً صيغياً عدا العدول الأسلوبى في بنية الصيغة السادسة (نخرة / صفة مشبهة)، الذي مثّل قطعاً أسلوبياً مفاجئاً لوتيرة الإيقاع؛ ليحقّق غرضاً جماليّاً؛ بالاستفادة من قواعد الدرس الصرفي، يذهب أكثر الدارسين إلى أن (فَعَلَ) أبلغ من (فاعِل) ¹. واستناداً إلى هذه القاعدة يمكن القول إنّ (نخرة) أبلغ من (ناخرة)؛ لأنّ العظام النخرة هي البالية المتفتّنة. أمّا الناخرة : فهي التي لم تتخر بعد؛ أي : لم تبلّ ولا بدّ أن تتخر ². وعلى ذلك تكون صيغة (فَعَلَ/ نخرة) أبلغ في نسبة صفة البلى والتفتّت للعظام وثباتها فيها : « فلا جرم كان هذا أكثر مناسبة لاستبعاد هؤلاء الكافرين المنكرين للبعث بقولهم : أننا لمردودون في الحافرة » ³.

ومن ناحية أخرى نلاحظ أن جميع الأحداث التي عبّر عنها بصيغة اسم الفاعل – ابتداء – هي أحداث طارئة حادثة . فالراجفة : هي النفخة الأولى ، والرادفة : هي النفخة الثانية . والواجفة : هي القلوب المضطربة . والخاشعة هي الأبصار والحافرة : هي الحالة الأولى في الدنيا وحقيقتها الطريق التي جاء فيها الإنسان فحفرها بقدمه أي أثر فيها ⁴. وكل هذه الأحداث طارئة حادثة على موصوفاتها لذلك أوثرت الصيغة المُعبّر بها. في حين تناسبت دلالة الصفة المشبهة (فَعَلَ) على الثبات والديمومة مع دلالة (فاعِل) على ثبات صفة البلى والتفتّت في العظام بسبب طول المكث وتقدم العهد.

1- ينظر: الزمخشري، الكشف، ج 4/694 . والآلوسي، روح المعاني، ج 3/28.

2- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19/190.

3- عبد الحميد هندراوي، الإعجاز الصرفي، ص 174.

4- ينظر: الزمخشري، الكشف، ج 4/693، 694.

وجاءت هذه الصيغة في (روح المعاني) دالة على الأدواء والعيوب الباطنة. ذكر الألوسي أنَّ النخرة هي البالية، وهي صفة مشبهة... وقد فسّرت من قبل بعضهم بالأشد، و(النخرة) التي لم تتخر بعد، وذكر أنَّ بعضهم جعلها بمعنى واحد. ويعد الألوسي (فعل) أبلغ من (فاعل)، وإن كانت القاعدة التي أسسها ابن جني تقول: إن زيادة المبنى تؤدي الى زيادة المعنى¹.

يرجع هادي نهر، الاختلاف في الصيغتين إلى «تقادم العهد في العظام النخرة كونها قد آلت إلى التفتت والبلى، في حين تكون العظام النخرة هيا كل جوفاء تمر الريح خلالها، والعظام المفتتة النخرة أظهر وأدعى للتعجب من إحياءها مرة أخرى من العظام المجوفة»² وحسبه أن قدرة الله جلّ جلاله في بعث العباد تظهر في إرجاعهم إلى حالتهم التي كانوا عليها في الدنيا حتى وإن كانت عظامهم فتات وجزيئات.

ويرجح آخرون العدول نفسه في الآية السابقة إلى قضية تفاضل الصيغتين بلاغيا، «... فقد صرحوا بأن (فعل) أبلغ من (فاعل) وإن كانت حروفه أكثر...»³ ، وهذه الأفضلية في التعبير بصيغة الصفة المشبهة أقرّها الزمخشري بذكره قيمة الصيغة (فعل) بلاغيا في المعنى من صيغة (فاعل)⁴ ، وفي المعنى نفسه «كان التعبير بنخرة وهي صفة مشبهة تدل على ثبات تلك الصفة في العظام لطول العهد مع ما فيها من معنى المبالغة، خاصة وأن (فعل) من صيغ المبالغة كذلك»⁵ وليس- بهذا المعنى - في مخالفة الإيقاع في الآية الكريمة من سبب إلّا تقديم أهمية المعنى على أهمية اللفظ.

1- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ج30/320.

2- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص60.

3- عبد الحميد هندراوي، الإعجاز الصرفي، ص180.

4- ينظر: الكشف، الزمخشري، ج4/ 181.

5- عبد الحميد هندراوي، الإعجاز الصرفي، ص180.

2-6- العدول إلى المفرد:

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾¹، فاللآفت في هذه الآية الكريمة هو ذكر النور بصيغة المفرد، وذكر الظلام أو الظلمة بصيغة الجمع، فما السر في ذلك؟

تحدث ابن القيم بإسهاب في هذا الأمر الذي تكرر في مواضع عدة من القرآن فيقول: «... والمقصود أن طريق الحق واحد، إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة متعددة فإنها لا ترجع إلى شيء موجود، ولا غاية لها توصل إليها...»². ويرى أن السبيل إلى الله واحد والسبل إلى دونه كثيرة متفرقة، فالله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾³. ويختتم ابن القيم حديثه بهذا التخيـرج الشيق: «لما كانت الظلمة، بمنزلة طريق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق، أفرد النور وجمعت الظلمات»⁴.

وعليه؛ فهناك ألفاظ اجتمعت بصيغتي الأفراد والجمع في سياق واحد لتدل كل واحدة على معنى إضافي يوضح المعنى ويقويه، جاءت لفظة (سبيل) في بداية الآية بصيغة الجمع (سبل) لأنها تدل على الباطل، وللباطل طرق متشعبة ومتعددة، وفي نهاية الآية عدل عنها إلى صيغة الأفراد؛ لأن طريق الحق واحد، وطرق الضلال والشر متعددة فناسب ذلك الإتيان بصيغة الجمع لطرق الشر،

1- البقرة/ 257.

2- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تح: هشام عطا وزميلاده، د ط، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى، 1416/ 1990، ج1/ 119.

3- الأنعام/ 153.

4- ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1/ 119.

جرى يوم بدر، لا يعلم الكلّ، وإذا حمل على أمر الآخرة عم الكل ولا يمتنع من ذلك أن يدخل في جملة أمر الدنيا، ممّا نعلم يوم بدر وغيره، وكل ذلك زجر وتحذير للقوم¹.

والملاحظ من كلامه أن وعيد الله تعالى آت لا محالة، فهو قريب بالنظر إلى التمهيل برغم أن المدة الزمنية التي تفصل الكافرين عن يوم القيامة قد تطول إلى آلاف السنين، واستدلّ على معنى كلامه هذا بقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ، لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ، مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ، تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَتَرَاهُ قَرِيبًا﴾².

يُخرج صاحب اللمسات البيانية معنى الآيات مقارنة بما جاء في سورة القارعة ما تقدّم من ذكر اليوم الآخر في سورة القارعة، أهول وأشدّ مما ذكر في سورة المعارج؛ فيقول: «... وليس متفقاً على تفسير أن المراد بهذا اليوم، هو اليوم الآخر. وإذا كان المقصود به اليوم الآخر فإنه لم يذكر إلّا طول ذلك اليوم، وأنّه تعرج الملائكة والروح فيه. في حين قال في سورة القارعة... فكرر ذكرها وعظّمها وهولّها. فناسب هذا التعظيم والتهويل أن يذكر أن الجبال تكون فيه كالعهن المنفوش. وكونها كالعهن المنفوش أعظم وأهول من أن تكون كالعهن من غير نفش كما هو ظاهر»³.

1- نقلا عن: عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي، ص188.

2- المعارج/ 1-7.

3- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص174، 173.

2-8- العدول بين صيغتي ماضٍ.

جاء في قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾¹ . وردت بنية العدول في هذه الآية في سياق الحديث عن السد الذي صنعه ذو القرنين من الحديد والنحاس؛ ليكون حاجزاً بين قوم يأجوج ومأجوج والقوم الذين تأدوا منهم. واللافت للنظر في الآية اختيار الفعل (استطاعوا) الناقص البنية بحذف التاء مع فعل الظهور، ثم العدول إلى الفعل (استطاعوا) التام البنية مع فعل النقب ، فهل لهذه الظاهرة علة تقف وراءها أو إنها ظاهرة عادية ؟

ذهب الطاهر بن عاشور- وبعض العلماء ممن ذكرت مصادرهم - إلى أن (استطاعوا) لغة في (استطاعوا) ، فيكون الجمع بين الصيغتين في الآية من قبيل الجمع بين اللغات. وقيل: إنّ (استطاعوا) أصلها (استطاعوا) ؛ ولكن حذفت منها التاء تخفيفاً لكثرة الاستعمال والدوران على الألسنة . ومما سهّل حذف التاء قرب مخرجهما من مخرج الطاء².

ويُعتَرَض على هذا الرأي بأنّه لو أريد التخفيف لوقع التخفيف في الثانية لا في الأولى لأنّ الثقل إنّما يكون في الكلمة الثانية لتكرارها . وقد أجاب ابن عاشور عن هذا الاعتراض بقوله : « وابتدئ بالأخف منهما ؛ لأنه وليه الهمزة وهو حرف ثقيل ؛ لكونه من الحلق بخلاف الثاني إذ وليه اللام وهو خفيف »³ . وهذا الجواب تعليل صوتي ؛ ولا يمكن الجزم به.

ويذهب آخرون في هذه المسألة مذهباً آخر، فيرون أن تسلق السد أصعب من نقبه، وفي ذلك يقول ابن عاشور: « لأنّ استطاعة نقب السد أقوى من استطاعة تسلقه »⁴. ومدلول هذه العبارة أن

1- الكهف/97.

2- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15/136.

3- المصدر نفسه، ج 15/136.

4- المصدر نفسه، ج 15/136.

نقب السد أيسر من تسلقه ؛ لأن قوة الاستطاعة على فعل شيء تعني يسره بالقياس إلى فعل شيء آخر قوة الاستطاعة على فعله أقل.

وينحو حسن طبل هذا المنحى في دراسته لهذه الآية، غير أنه - في تقديري - كان أقدر على إيضاح هذه الفكرة والتعليل لها تعليلاً علمياً دقيقاً؛ إذ فرّق ابتداءً بين الصيغتين فأشار إلى أنّ هاتين الصيغتين في سياق النفي تدلّان على العجز؛ غير أن صيغة (وما استطاعوا) تدل على العجز الذي يأتي بعد المحاولة واستنفاد الطاقة والجهد في القيام بالشيء، أمّا صيغة (استطاعوا) فتدل على العجز التام الفوري الذي لا تسبقه محاولة ولا يجدي معه جهد لاستشعار الإنسان استحالة تحقق المراد . ويستشهد على صحة ما ذهب إليه من التفريق بين الصيغتين بعدة آيات من القرآن الكريم. كما أشار إلى أن الصيغة الأولى (وما استطاعوا) وردت أيضاً مثبتة في كثير من الآيات دالة على الدعوة إلى بذل الجهد ومحاولة استنفاد الطاقة¹ .

ومن خلال الاستعراض السابق لرأي حسن طبل في بنية العدول في الآية ، نستنتج أنه يميل إلى القول بأن تسلق السد أصعب من نقبه ، ومدلول عباراته يؤكد هذا الاستنتاج ؛ فإنّ استشعار الإنسان عجزه عن القيام بالشيء قبل محاولة القيام به يدلّ على أنه أصعب من الشيء الذي لا يأتي استشعار العجز عن تحقيقه إلا بعد محاولة القيام به واستنفاد الطاقة في ذلك. والذي يتجلى في قضية السهولة والصعوبة ؛ هو الرأي الأخير.

لقد أشرت إلى ما يعدّ من الدلالة الصوتية، ولقد خلّصت هذه الدراسات إلى « أن صوت التاء المحذوفة من الفعل (استطاعوا) وصوت الطاء المثبت يتماثلان من حيث المخرج ، فكلاهما ينطق من المخرج الأسناني نفسه . هذا التماثل بين هذين الصوتين على مستوى المخرج يقابله تباين على مستوى الصفة، فالتاء مرّقة، في حين أن الطاء مفخمة ، وفي ضوء هذا التباين يمكن أن نفسّر

1- ينظر: جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، ص33.

ظاهرة حضور صوت الطاء دون صوت التاء في بنية الفعل (استطاعوا). إنّ حضور صوت الطاء بما يحمله من خصيصة التخفيف في بنية هذا الفعل ربّما يُعدّ مؤشراً إلى فخامة الحدث الذي يسعى هذا الفعل إلى نفيه (حدث الظهور على السد) ويصبح حضور التاء إلى جوار الطاء في بنية الفعل التالي (استطاعوا) وسيلة صوتية للتخفيف من فخامة صوت الطاء «¹ ؛ ولذلك يفسّر هذا التخفيف بكونه متعلّقاً بخفّة الحدث الذي هم - قوم يأجوج ومأجوج - بصدده (عدم استطاعة نقب السدّ).

3- الالتفات في الصيغ:

للالتفات قيمة أسلوبية بالغة الأثر عدا قيمته البلاغية، وقد عدّ عند بعض العلماء من فنون البيان « هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم »²، وقيل فيه أيضاً « وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله »³.

وظاهرة الالتفات ارتبطت بالعدول اللغوي - ذكرت العلاقة بينهما في الفصل الأوّل - سواء في الضمائر أو الأسماء أو الأفعال، وسواء في العدول من زمن إلى زمن آخر، وعلى سبيل التمثيل للالتفات - باعتباره تقلّب من أسلوب إلى أسلوب - أورد بعض أشكاله لإيضاح الغرض من هذا العنصر في البحث.

3-1- الالتفات في الأفعال:

ومن ذلك الرجوع عن صيغة المضارع إلى الأمر، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ، إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا

1- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي، العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، ص34.

2- الزمخشري، الكشاف، ج1/ 64، 65.

3- ابن الأثير، المثل السائر، ج2/ 170.

بِسْوَءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ¹، واللّافت هنا الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ بصيغة الأمر وكان سياق ما قبلها يقتضي صيغة المضارع لتوافق قوله تعالى: ﴿أَشْهَدُ﴾، فما سرّ هذا؟

يرجع تقدير هذا الالتفات « ليكون موازنا له وبمعناه؛ لأنّ إشهد الله على البراءة من الشرك الصحيح ثابت، وأما إشهدهم؛ فما هو إلاّ تهاون بهم، ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم، ولذلك عدل به عن لفظ الأولى لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر تهكما واستهانة²».

ويحاول ابن الأثير تتبع الغرض الجمالي للالتفات بالأفعال في بعض صورهِ فعن الغرض من الالتفات عن المضارع إلى الأمر في الآية التي سبقت يقول ابن الأثير: « وإنّما يقصد إليه تعظيماً لحال من أُجري عليه الفعل المستقبل، وتفخيماً لأمره، وبالضدّ من ذلك فيمن أُجري عليه فعل الأمر... لأنّ إشهد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت وأما إشهدهم فما هو إلاّ تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم؛ ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه: اشهد عليّ أنّي أحبك؛ تهكماً به واستهانةً بحاله³».

وفي الإخبار بالمضارع عن الماضي ما يثري غايته في هذا الشّكل من العدول؛ حينما يبرّر فاضل السامرائي ذلك بقوله: « والمقصود بحكاية الحال الماضية أن تعبر عن الحدث الماضي بما يدل على الحاضر استحضاراً لصورته في الذهن كأنه مشهد مرئي في وقت الإخبار⁴».

1- هود/53، 54.

2- رجاء عيد، البحث الأسلوبى معاصرة وتراث، د ط، القاهرة- مصر، مطبعة أطلس التوفيقية، 1993، ص250.

3- ابن الأثير، المثل السائر، ج 2/180، 179.

4- فاضل السامرائي، معاني النحو، د ط، الموصل-العراق، بيت الحكمة مطبعة التعليم العالى، 1985، ج3/ 319.

وتمثيلاً له جاء في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْتَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾¹، وموضع الالتفات في الآية الكريمة هو التعبير عن الماضي (أرسل) بالمضارع (تسير) والملفت للانتباه في هذا العدول هو أن زمن إرسال الرياح أسبق من زمن إثارة السحاب، والغرض منه «تبين هيئة الفعل واستحضار صورته»².

3-2- الالتفات في الضمائر :

ومن ذلك العدول عن صيغة المتكلم إلى صيغة المخاطب، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾³، والظاهر في كلامه تعالى التعبير بصيغة المخاطب ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بعدما كان سياق الآية يتحرك في صيغة المتكلم.

والفائدة المرجوة من ذلك هي «أنه أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم، حيث لا يريد إلا ما يريد لروحه»⁴؛ بحيث أن مخاطبة المشركين بلفظ الجمع، بعد تخصيص العبادة بصيغة المفرد إنما لتأنيبهم وترهيبهم على اعتبار أنهم سيرجعون يوم القيامة إلى عالم الغيب والشهادة عز وجل فأثر نصيحهم على أن يتركهم في غيهم.

أما في الالتفات من صيغة (المخاطب) إلى صيغة (الغائب)، فنورد قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾⁵، والشاهد في الآية هو العدول عن المخاطب (تميد بكم) طلباً لصيغة الغائب (يهتدون).

يذكر الزمخشري سبب ذلك بقوله: «فإن قلت: وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه (النجم) مقحم فيه (هم)، كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فمن المراد

1- فاطر/ 09.

2- رجاء عيد، البحث الأسلوبى معاصرة وتراث، ص 251

3- يس/ 22.

4- الزمخشري، الكشف، ج 3/ 318.

5- النحل/ 15، 16.

بـ(هم) ؟ قلت: كأنه أراد قريشا، كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم، وكان لهم علم بذلك لم يكن مثله لغيرهم...»¹. ولعل المقصود بالقول سابق الذكر هو تخصيص قبيلة (قريش) كونهم يتميزون بالفراسة، فقد جعلوا (النجوم) علامات على مسايرهم، وعليه فإن في هذا الالتفات تمييز قريش عن غيرهم من القبائل والعباد.

3-3- الالتفات في الأعداد:

ومن ذلك الالتفات من (المفرد) إلى (المتن)، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾²، لطيفة أسلوبية في ردّ الله تعالى الخطاب لموسى بصيغة (المتن) وهو وحده، ومردّد ذلك « كان موسى يدعو وهارون يؤمن، ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان»³؛ أي أنّ موسى عليه السلام لم يكن وحده في دعاء الله تعالى، بل كان إلى جانبه أخوه هارون، كما علمنا في القصص القرآني، وإنما خصص موسى في الآية الكريمة؛ لأنه هو المعني بالرسالة، وهو المبعوث إلى فرعون، ومعه بني إسرائيل.

خلاصة:

يخرج المثير الأسلوب من الصيغة والبنية بفهم الدلالة الصرفية لهما وتخرجها، وذلك بتفعيل القراءة الدلالية التي تستمد عن طريق صيغ الألفاظ وأبنيتها. ودراسة التركيب الصرفي لأيّ لفظ يؤدي إلى بيان المعنى ووضوحه. فقد اهتمّ القدماء بهذه الدلالة وقد فطنوا إلى هذه المسألة

1- الزمخشري، الكشاف، ج2/404.

2- يونس/88، 89.

3 - الزمخشري، الكشاف، ج2/250.

الصَّرْفِيَّةُ الأسلوبِيَّةُ، ومنهم ابن جني، الذي يرى أن التصريف إنما هو معرفة أنفس الكلمة، يقول في هذا الشأن: « كما أنه قد تتخيل أبنية كثيرة متمكنة ولكنها لم تأت في كلامهم»¹. وبذلك يؤدي التغير في بنية الكلمة إلى تغيير المعنى الدلالي الذي تؤديه الكلمة، فصيغ الأفعال؛ الماضي والمضارع والأمر تدل على الحدث وزمنه، وكل زيادة على هذه الأفعال والتوكيد والتضعيف يؤدي إلى زيادة المعنى.

استطاع ابن جني أن يدرك أهمية الصيغ الصرفية وأبنية الألفاظ وأثرها على الدلالات التي تحملها الألفاظ حسب صيغتها وأبنيتها، بذلك فتح الطريق أمام العلماء من بعده وأسس لهم مجال البحث والتقعيد. كما دخلت الزيادة على الأفعال دخلت على الأسماء لتعطي دلالات جديدة وتزيد في المعنى. فثمة ظواهر أخرى تثري اللغة في جانبها الصرفي البنائي، يظهر ذلك في أبنيتها الصرفية وتعددها. ولعل من أبرز ما تثيره دراسة الأبنية الصرفية ذلك التعدد في أبنية كل باب منها؛ مثل: تعدد أبواب الفعل، وتعدد أبنية الاسم، وتعدد أبنية المصادر ثم صيغ المبالغة وصيغ الصفة المشبهة...إلخ.

لقد ازدحمت الصيغ وتعددت في كل باب مما شكّل سدوداً حائلة أمام المتعلم، يحتاج عند اقتحامها والولوج فيها إلى جهد غير يسير، خاصة إذا ما أراد التمثيل من النص القرآني، والتطبيق عليه؛ فالفعل الثلاثي له أبواب ستة في الماضي والمضارع بل إن الماضي له صور ثلاث والمضارع مثله، ومصادره تتشعب صور قياسها، وفي التشعب مثيرات أسلوبية... وصيغ المبالغة تجري في جدول متعدد الأبنية، وتختلف في الدلالات، فهي بذلك مثيرات أسلوبية...وتجري الصفة المشبهة في مجراها فلا تأتي على قياس منضبط وتشتد الملابسات في دخول صفة ذلك الباب على

1- ابن جني؛ المنصف (شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري)، تح: عبد الله أمين وإبراهيم مصطفى، ط1، 1954، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج1/181.

الباب الآخر، وهي مثيرات أسلوبية أيضا. وهو الأمر الذي أوردته بتحليل طبيعة العدول والالتفات في علاقتهما بالمثير الأسلوبي في جزء من المبحث الأول من هذا الفصل، وفي المبحث الثاني منه على وجه الخصوص.

إنّ نظرة فاحصة لموضوعات المثير الصرفي من خلال تعدّد الصيغ في الموضوع الواحد توقع الباحث في قنوات متشابكة من الصيغ، تدخل كل منها على الأخرى تارة؛ وتختلف عنها معنى أو مبنى تارة أخرى، ويأتي دور الدارس لينظم ما اتفق؛ بل يجتهد في ربط الصيغ، كما يرصد الفروق، ويفسر ظواهرها. فالمقصود بتفسير ظاهرة التعدّد هو الكشف عن العوامل التي أدت إلى هذا التعدّد؛ أي كشف حقيقة المثير الأسلوبي من تركيب الصيغة أو البنية. إنّ اختلاف المعاني باختلاف الصيغ كان نتيجة حتمية لدلالة الصيغ على معانٍ خاصة، وهو - الاختلاف - بوابة كثير من التخريجات لظاهرة المثير الأسلوبي.

والتساؤل الذي يُطرح: إلى أي مدى تختص المعاني بصيغة ما في موضوع واحد؟ ومن ذلك ربط صيغة ما في لفظ محدّد بدلالة خاصة فيه من التكلف والتصبيق... باختلاف المعاني إن تحقق في مستوى من الاستخدام فهو لا يطرد دائما. فالمصادر تتداخل دلالاتها وتتشرك، وصيغ المبالغة تلتبس بالصفة المشبهة، وما كان من الأفعال مخصصا لمعنى يشاركه معنى آخر، لذا نرى أنّ القول باختلاف المعاني عامل في تعدد الصيغ فيه من الاتساع ما لا يمكن معه أن يكون قيّداً على ارتباط الصيغة بالمعنى، فالأمر خاضع لمستوى الاستخدام واختيار المستخدم، كما أشرت إليه بالتمثيل من اختيار الله سبحانه لصيغ دون أخرى.

وختاماً كشفت ظاهرة المثير الأسلوبي في الأبنية الصرفية أنّ العربية لغة تميزت بالمرونة الاشتقاقية، وأنّ الألفاظ أدلة على المعاني وقوالب لها، وإنّما اعتنوا بها وأصلحوها لتكون أذهب في الدلالة. ولمّا كان المعنى يكون في أحوال كثيرة كمعنى المضيّ والحال والاستقبال والفاعلية

والمفعولية وغيرها، وكانت الحاجة إلى الدلالة على كلِّ حالٍ ماسّةً لم يكن بدّ من لفظٍ خاصٍّ يدلّ على ذلك المعنى بعينه، فلهذا وجب التصريف واختلافُ الأبنية بالزيادة والنقص والتّغيير ونحو ذلك، ليدلّ كلّ لفظٍ على المعنى المراد. وقد ذكرت فيما سبق أمثلة بخصوص توجيه الوظيفة الصرفيّة؛ وهو أنّ تخصص بعض الصّيغ لوظيفة صرفيّة، والصّيغة الأخرى لوظيفة مختلفة داخل الباب الصرفيّ الواحد.

ومنتهى القول إنّ الأوجه التي ذكرتها ممّا ورد عن القدماء في تفسير ظاهرة التعدّد المثيرة ترجع في معظمها إلى التوسعة والثراء اللغوي، فيختلف المعنى بسبب تقارض الصّيغ من جهة وبسبب تفريع الصّيغ إلى أصلية وفرعيّة من جهة أخرى. والغاية من ذلك كلّها؛ تحكيم القراءة الدلاليّة لنظام المثير الأسلوبي الصرفيّ.

الفصل الثالث

القيم الدلالية لبعض الظواهر النحوية.

توطئة:

حرص مؤسسوا النحو على وضع القواعد اللغوية إثر تسربّ اللحن إلى النصوص القرآنية. ومن هنا فإنّ النحو العربي نشأ لخدمة القرآن الكريم وفي رحابه؛ بل إنّ النحو أساس ضروري لكل دراسة العلوم العربية في الفقه والتفسير والأدب وغيرها من العلوم؛ لأنّك لا تستطيع أن تدرك المقصود من نصّ لغوي دون معرفة بالنظام الذي تسير عليه هذه اللغة التي دون بها تراثنا العربي والإسلامي. لقد حظي النحو العربي بعناية ملموسة من قبل الدارسين المحدثين. فدرسه بعضهم دراسة شاملة لمذاهبه وأطواره، ودرسه بعضهم من خلال مسألة من مسائله، وبعضهم من خلال مدرسة أو مذهب معين، أو دراسة أصولية من خلال عالم أو مؤلّف.

قال عبد القاهر الجرجاني مبيناً أهميته: « إنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وإن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وإنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه. ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسّه وإلا من غلط في الحقائق نفسه»¹. ولكلّ من هذه المفردات وظيفة نحويّة تتحدّد بانضمامها إلى غيرها من الألفاظ في نظام تركيبّي معيّن وقد بيّن النحويّون القدماء ذلك في دراساتهم التحليليّة للألفاظ في الجمل والتراكيب؛ فضلاً عن الإعراب الذي تنبّهوا إلى أثره الأساسيّ في تحديد الوظيفة النحويّة في الأصل، وتمثّلت دلالة نحو المفردة بعلامات الإعراب والبناء في أواخر الألفاظ .

وقد خصّص هذا المبحث في البحث عن المعنى في علاقته بالتركيب النحوي؛ بل هذا الأخير هو سبيل إلى فهم المعنى، وهو أهمّ مرتكز يُعتمد عليه. وقد اقتصر بحثي على القيم الدلاليّة المنبثقة عن علاقة الدلالة النحويّة بالمثير الأسلوبي؛ فوجدت في دلالة الإعراب على

1- عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 23.

المعاني ما يلفت الانتباه، وفي قيمة الوصف النحوي، وفي دقة النظم ما ينم عن أسرار عميقة تتطوي عليها اللغة في تركيبها، وتجلي عنصر المثير الأسلوبي في ضوء أسرار الحذف العجيبة، وغايات التقديم والتأخير اللطيفة.

وكلّ هذا كمحاولة لإظهار قيمة المثير الدلالية من ناحية خرق المعيار اللغوي، أو تحديد اللّافّة من البناء أو التركيب في إطار ما يسمى بالإشكال اللغوي وما شابهه؛ إذ في علاقة المثير بالتركيب ما أراه يعزّز منحى بحثي من حيث أنه يجب « مراعاة الوظائف الصوتية والصرفية والنحوية لكل كلمة داخل التركيب من حيث موقعها وعلاقتها بغيرها »¹.

فالنّص يترتّب في سلسلة كلاميّة وبنمط نسقي؛ تحكمه علاقات نحوية رصينة، ويخضع لمنهج استقرائي، كما يتحدّد في ضوء هذا المنهج فهم مستقلّ للظاهرة النحوية. وهو ما يحيل على اللطائف المعنوية المتوارية خلف التراكيب النحويّة، ثمّ تتّسع الوصفات النحوية؛ بالنّظر إلى اختلاف المدارس النحوية، وفي أثنائها تتجسّد قيمة المثير النحوي الدلاليّة من الرّافد المعرفي النحوي الذي نهل منه الدّارس مادّته.

1- حسان تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها، ط2، - الدار البيضاء- المغرب، دار الثقافة ، 1994، ص341.

المبحث الأول

استقامة التركيب النحوي ودلالاته.

1- دلالة الإعراب على المعاني.

1-1- أثر الإعراب في المباحث الفقهية

1-2- الحركة الإعرابية.

2- قيمة الوصف النحوي الدلالية.

3- دقة النظم في الأسلوب القرآني وجاذبية النص.

1- دلالة الإعراب على المعاني:

يصطلح أهل اللغة والنحو على الإعراب معنى الإبانة والإفصاح؛ أي بجعل الكلام واضحاً لا يلحقه اللحن، وجعله الله تعالى وشياً لكلام العرب، وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض أحوالها؛ إذ لا يفرق بين بعض الظواهر النحوية في اللغة إلا بالإعراب فهو إذا عنصر من عناصر تحديد المعاني وتمييز بعضها عن بعض؛ فهو « الإبانة عن المعاني بالألفاظ»¹ بما يخدم الأغراض في الكلام، وبهذا المعنى يعدّ الإعراب بمثابة مفتاح؛ فكأنّ المعاني أقفال والإعراب مفاتيحها؛ لأنّ « الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه هو المعيار الذي لا يُتبيّن نقصان كلام ورجحناه حتى يعرض عليه »².

كما تعدّ علاقة الإعراب بالمعنى في اللغة العربية من الأمور الواضحة التي لفتت نظر العلماء « فنظام الإعراب عنصر أساس من عناصر اللغة العربية وليس من إلهام عبقرى ولا من اختراع عالم، وإنما تكون في صورة تلقائية في أحقاب طويلة كما يتكون اللؤلؤ في جوف الأصداف وكما تتكوّن الأحجار الكريمة من فلذات الأرض الطيبة »³. فالإعراب إذاً يفرّق بين المعاني. وظاهرة الإعراب في العربية هي سمة لغوية تفرّدت بها اللغة العربية عن غيرها من اللغات عبر الزمن.

إلا أنّ من أهمّ ما يدلّ عليه انفراد العربية بملازمة الإعراب لها طوال مراحل تطورها هو الأثر المباشر للقرآن الكريم من ناحية وللرواية الشفوية من ناحية أخرى في استمرار وجود الإعراب بحركاته في هذه اللغة، وفي هذا ما جاء على لسان الدكتور إبراهيم أنيس: « لم تكن

1- ابن جني الخصائص، ج1/ 89.

2- ابن الأثير، المثل السائر، ج1/ 24.

3- علي عبد الواحد وافي فقه اللغة، ط7، القاهرة - مصر - دار النهضة، 1393هـ، ص: 215.

تلك الحركات الإعرابية تحدّد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض»¹. والعجيب في اللغة العربية والقرآن الكريم أنّها تركز على أصالة العلاقة بين الإعراب والمعنى التي أطبق عليها علماء العربية من نحويين وبلاغيين من خلال رسم المصحف وقراءة الصحابة له، وهو ما يعدّ أقدم الشواهد على ذلك ثمّ إنّ التحليل النحوي الخالص لكاف لبيان الوظيفة والدلالة لمفوظ الآي الحكيم.

إنّ إعراب القرآن الكريم بشكل خاصّ « يقصد به ضبط ألفاظه حتى يكون على الصورة المبينة التي انزل بها»²، وبما أنّه يتعلق بالقارئ فيقصد به « بيان موقع الكلمة في الجملة، والتغيير الذي طرأ على الحرف الأخير منها نتيجة لوقوعها ذلك الموقع، وبيان محل الجملة نفسها من الإعراب»³. والقرآن الكريم له نظمه العجيب وتركيبه الفريد، وفي النصوص القرآنية لا يمكن قطعاً فهم تراكيبها اللغوية والاهتداء إلى إعرابها ومعرفة ما لها من معان واستعمالات بمعزل عن النحو العربي، ومذاهب أهل اللغة في تحقيق الكلام، وتحكيمة بما يوافق فصيح الكلام وجلاء المعاني، وهي نزعة لا تزال إلى اليوم قائمة في أوساط الباحثين في علوم اللغة.

ومما يؤذن له أنّ إعراب القرآن قسيم للمعنى في عمله وملازم له. فهذا الزجاج حين ألف كتابه القيم (إعراب القرآن ومعانيه) جعل مسألة إعراب القرآن سابقة عن مطلب معناه وشدّد على تلازمهما جاء في مقدمة كتابه « إنّما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأنّ كتاب الله ينبغي أن يتبيّن؛ ألا ترى أن الله يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾»⁴.

1- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط6، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، ص202.

2- علي أحمد طلب، دراسات تحليلية لغوية لسور قرآنية، د ط، مصر، دار البيان، 1406هـ/1986م، ص26.

3- المرجع نفسه، ص27.

4- محمد/24.

فحضرنا على التدبر والنظر»¹. ثم نجده في المقدمة نفسها ينبّه إلى وجوب لزوم أثر أهل اللغة في تدبر القرآن والنظر فيه؛ فيقول: « لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب أهل اللغة أو ما يوافق نقله أهل العلم »². وعلى هذا المذهب الزجاجي انبرى علماء الأمة لمسألة استنباط معاني التنزيل يستثيرون دقائقه ويغوصون على لطائفه حتى يستحكم عندهم دليل المعنى القرآني مستثيرين بذلك بعلم الإعراب في التماس حقيقة النص المقدس وبيان مقاصده.

وقد حضّ علماء الإسلام على إعراب القرآن حتّى يتبيّن المسلم ويفهم أسرار القرآن وعلى هذا كان لزاما تناول المستوى النحوي في القرآن الكريم من منطلق الاهتمام لغاية الوصول إلى المعاني التي يكتنزها كتاب الله العزيز الحكيم.

1-1- أثر الإعراب في المباحث الفقهية

إنّ التحكم إن التحكم في فهم النصوص الدينية سواء من الكتاب أو من السنة، والقدرة على استنباط الأحكام الشرعية مسؤولية دينية ثقيلة وخطيرة، ولهذا لا يمكن لأحد أن يخوض في هذا المجال إلا إذا كان ضليعا في لغة العرب ملما بخباياها، متمكنا من طرقها وأساليبها في التعبير عن المقاصد، وهذا ما اقتضاه نزول القرآن باللسان العربي، ومنه كان لزاما على علماء الفقه والمفسرين أن يكونوا لغويين قبل أن يكونوا فقهاء، وهذا ما كان عند كثير من علماءنا الأجلاء، الذين كان الواحد منهم يُعْتزّ اعتزاز كبيرا بمعرفته النحو وقواعده واللغة أصولا وفروعا.

1- ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت-لبنان-، عالم الكتب 1988، ج1/185.

2- المصدر نفسه، ج1/185.

كانت اللغة وما زالت الوسيلة الوحيدة للاهتداء إلى كل العلوم الأخرى وخاصة الدينية منها، فهذا الإمام الشافعي يجعل من النحو سبيل الاهتداء إلى كل العلوم . فيقول في ذلك: « لا أسأل عن مسألة من مسائل الفقه إلا أجبت عنها من قواعد النحو»¹. و من مظاهر هذا التداخل بين النحو والفقه ما جاء في كتاب (المغني) حيث ربط ابن هشام (ت761هـ) بين أن يصلي الحاج عن غيره ركعتي الطواف، وبين حذف الفاء في خبر "أما" كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾²، فقد حذفت الفاء في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾³.

يربط ابن هشام بين النصين السابقين، من حيث إثبات الفاء وعدم إثباتها وقيسها على ظاهرتين فقهيتين فيقول: « فإن قلت: قد حذفت الفاء في التنزيل - أي في الآية الثانية - قلت الأصل (فيقال لهم: أكفرتم)، فحذف القول استغناء عنه بالمقول، فتبعته الفاء في الحذف، ورب شيء يصح تبعاً ولا يصح استقلالاً، كالحاج عن غيره يصلي عنه ركعتي الطواف، ولو صلى أحد عن غيره ابتداء لم يصح الصحيح، هذا قول الجمهور»⁴.

يتبين من هذا أن لا مفر لمن طلب فهم القرآن من معرفة علم الإعراب، فهو ما يستعان للوصول إلى المقصدية وتحديدًا دقيقًا، اعتمادًا على الصناعة النحوية؛ ذلك أن الإعراب وسيلة

1- أبو القاسم الزجاج، مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الكويت، دار التراث العربي، (1962م)، ص: 251.

2- البقرة/ 26.

3- آل عمران/ 106.

4- ابن هشام الانصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت - لبنان - المكتبة العصرية، (1404هـ/1987م)، ص: 56.

لفهم المعنى من خلال سلامة الأسلوب على قواعد اللغة العربية. وإذا كانت هذه القواعد التي بني عليها الإعراب عائقاً للوصول إلى المعنى يمكن أن تتيسر بالاحتكام إلى القرائن المرجحة لمراعاة المعنى على حساب القاعدة الإعرابية فتكون الغلبة للمعنى.

هذا ما قد يفهم من تعريف السيوطي (ت 911هـ) للنحو بقوله: « صناعة عملية ينظر بها أصحابها في ألفاظ كلام العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعريف النسبة بين صياغة النظم وصورة المعنى، فيتوصل بإحدهما إلى الأخرى »¹.

يشير هذا التعريف إلى أن النحو صناعة علمية تختص بدراسة قوانين التركيب أو النظم العربية ووظائفها ومكوناتها والصلة بين النمط التركيبي ومدلوله. كل ذلك في إطار ما تواضع عليه العرب في لغتهم وأساليبها². ولا يمكن فهم أي خطاب بآلية واحدة منعزلة، بل إن البحث عن المعنى يتطلب دراسة شمولية لدلالات الألفاظ والتراكيب والصيغ الصرفية وتحكيم دور السياق، كما كانت عند الدارسين الأولين مزجاً بين علم النحو والصرف وعلم المعاني وتوظيف دلالات السياق المختلفة. وقد أجمع العلماء على ضرورة النحو لمن أراد تفسير كتاب الله، إذ بمعرفته تدرك معاني القرآن وأحكامه.

وفي هذا الصدد؛ فإنّ الانتقال - على سبيل التمثيل - من التشديد في الحرف إلى التخفيف يقلب المعنى تماماً، إلى جانب الكثير من الروايات والقصص المشابهة، والتي أشهرها ما حدث مع الأعرابي الذي تبرأ من الرسول عليه الصلاة والسلام، بعد أن قرئت عليه الآية: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

1- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: فواز أحمد، د ط، بيروت، دار الكتاب العربي، 2005، ج2/173.

2- ينظر: ممدوح عبد الرحمن الرمالي، العربية والوظائف اللغوية، دار المعرفة الجامعية، (1996م)، ص16.

وَرَسُولُهُ...»¹ بجرّ كلمة رسول. فالألفاظ كما يقول عبد القاهر الجرجاني: «منغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها وأنّه المعيار الذي يتبيّن منه نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه»².

1-2- الحركة الإعرابية:

إنّ الانتقال من حركة لأخرى كالانتقال من الضمة إلى الفتحة، ومن الفتحة إلى الكسرة من الوظائف النحوية التي تغيّر دلالة اللفظ، وتوجّهه لمقصدية معيّنة. حيث إذا احتل اللفظ أكثر من حركة اختلف المعنى في الحالتين، وهنا تظهر صلة الحركة الإعرابية بالمعنى كقرائن مساعدة وموجّهة، في حين أن هذه الحركة الإعرابية لا تكفي وحدها لبناء الدلالة؛ بل يضاف إليها الواقع أو السياق الاجتماعي كما تتدخل في ذلك اعتبارات نفسية تحدّد الدلالة وفقها. فأثر الحركة الإعرابية واضح في صنع المعنى وتغييره، وكثيرا ما يلتبس علينا الفهم من جرّاء الاحتمالات المختلفة للحركة هذه أو تلك.

تعرّض علماء الأصول وعلماء الكلام لهذه الظاهرة اللغوية، بمناقشة وظائفها الدلالية كقواعد نحوية ودلالات لغوية على الأحكام الفقهية، ومما له علاقة مباشرة بهذه الظاهرة مسألة القراءات، حيث إنّ التغيير يقع على مستوى الحركة وكثير من القراء كانوا نحاة وقد ألف كل منهم كتابا في إعراب القرآن يوجّه القراءة التي يقرأ بها من حيث الإعراب، ويجد لها مخرجا ترتضيه أصول اللغة العربية، من ذلك قول تعالى: ﴿...وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ

1- التوبة/ 03.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 43.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا¹، حيث وردت قراءة لفظ الأرحام بالجر وبالنصب، قال ابن الأنباري (ت 577هـ): «فمن قرأ بالنصب جعله معطوفاً على اسم الله تعالى وتقديره وانتقوا الأرحام أن تقطعوها»²، وهذا وجه القراءة عند البصريين فقد أنكروا الخفض ولحنوا القارئ به واحتجابه لوجوه أحدها: أنه لا يعطف بالظاهر على مضمرة المخفوض إلا بإعادة الخافض لأنه معه كشيء واحد لا ينفرد به ولا يحال بينه وبينه، ولا يعطف عليه بإعادة الخافض، والعلّة في ذلك أنه لما كان العطف على المضمرة المرفوعة قبيحا حتى يؤكد بعد القبح إلا الامتناع، أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم، حيث نهى عن أن نحلف بغير الله فكيف تنهى عن شيء ويؤتى به³.

وقد قرأ الكوفيون بالجر، يقول ابن الأنباري: «فقد قال الكوفيون: إنه معطوف على الهاء في (به)، وأباه البصريون فقالوا: ولا يجوز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار»⁴، وقد احتجوا بما قدموه من نصوص من كلام الله ولسان العرب وما أورده على الاحتجاج بإضمار الخافض قولهم: «بأنّ العجاج⁵ كان إذا قيل له: كيف تجدك؟ يقول: خير عفاك الله؛ يريد بخير. وقال بعضهم وانتقوا في الأرحام أن تقطعوها، وإذا كان البصريون لم يسمعوا الخفض في مثل هذا ولا عرفوا إضمار الخافض فقد عرفه غيرهم»⁶.

1- النساء/ 01.

2- ابن الأنباري، البيان في غريب إعراب القرآن، د ط، تح: طه عبد الحميد، مصر، الهيئة المصرية العلمية للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، (1389هـ/1980م)، ج1/240.

3- ينظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ط4، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة- مصر- المكتبة التجارية الكبرى، (1969م)، ج2/272.

4- المصدر السابق، ج1/240.

5- العجاج: اسمه عبد الله بن روية أحمد بن سعد بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، ينظر: ابن سلام الجهمي، طبقات فحول الشعراء، ص: 571.

6- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تح: د/عبد العال سالم مكرم، مصر، دار الشروق، (1399هـ/1979م)، ص: 119.

ومما احتجوا به « الروايات الواردة في اللغات وذلك؛ لأن حمزة أحد القراء السبعة والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه؛ بل رواها من الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة والقياس يتضاءل عند السماع»¹.

وبذلك يتغير الحكم تبعاً لتغير الحركة الإعرابية، فما تفيد (الكسرة) في الأرحام غير ما أفادته الفتحة فيها، وهو اتقوا الله واتقوا الأرحام أي لا تقطعوها، وإن كان هذا الخلاف لا يترتب عنه اختلاف في الحكم، إلا أن هناك ما نتج عنه خلافاً في الفروع الفقهية من ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾².

فقد قرئت ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف، والحجة لمن شدد: أنه طابق بين اللفظين والحجة لمن خفف، أنه أراد حتى ينقطع الدم، لأن ذلك ليس من فعلهن، ثم قال: فإذا تطهرن يعني بالماء، ودليله على ذلك قول العرب «طهرت المرأة من الحيض فهي طاهرة»³ وقال الرازي: «فمن خفف فهو زوال الدم من طهرت المرأة من حيضها إذا انقطع الحيض، والمعنى: لا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم ومن قرأ بالتشديد فهو على معنى يتطهرن»⁴.

ومن نماذج هذا الاختلاف في الأحكام المستنبطة، اختلافهم في فرض القدمين في الوضوء أهو الغسل أم المسح؟ وهذا من خلال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...﴾⁵.

1- الرازي، التفسير الكبير، ج3/133.

2- البقرة/222.

3- ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص96.

4- الرازي، التفسير الكبير، ج6/72.

5- المائدة/06.

فقد قرئت (أرجلكم) بالنصب وبالجر، فكان اختلاف القراءة سببا في الاختلاف في الحكم، فذهب بعضهم إلى أنّ فرض الرجلين الغسل دون المسح، ودليلهم في ذلك أنه معطوف على الأيدي وإنما خفض للجوار، كما تفعل ذلك العرب. قال الرازي: «إنّ الكسر على الجوار معدود في اللحن الذي قد يحتمل في الشعر للضرورة، وكلام الله يجب تنزيهه عنه، وإنّ الكسر إنما يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس كما في قوله: (حجر ضب خرب) فإنّ المعلوم بالضرورة أن الخرب لا يكون نعتا للضب بل للحجر، وفي هذه الآية الأمن من الالتباس غير حاصل وأن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف عطف وأما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب»¹.

يقول الزمخشري في ذلك: «فإن قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح؟ قلت: غسل الأرجل مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتسمح ولكن لئنبّه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليهما وقيل إلى الكعبيين فجاء بالغاية إحاطة لظنّ ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة»².

وقد ذكر الرازي حجة من جعلوا القراءة بالنصب فقال: «ظهر أنه يجوز أن يكون عامل النصب في قوله "و أرجلكم" هو قوله (امسحوا) ويجوز أن يكون هو قوله (و اغسلوا) لكن العاملين إذا اجتمعا على معمول واحد فإعمال الأقرب أولى، فوجب أن يكون عامل النصب في قوله: (وأرجلكم) بنصب اللام توجب المسح أيضا، فهذا وجه الاستدلال بهذه الآية على وجوب المسح»³.

1- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج3/371.

2- الزمخشري، الكشاف، ج2/326.

3- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج3/371.

أجاب عنهم ورد حجتهم بقوله: «إن الأخبار الكثيرة وردت بإيجاب الغسل مشتمل على المسح ولا ينعكس، فكان الغسل أقرب إلى الاحتياط فوجب المصير إليه، وعلى هذا الوجه يجب القطع بأن غسل الرجل يقوم مقام مسحها»¹. فقد بنى الرازي رأيه بالاعتماد على قرينة عقلية وشرعية، كما اعتمد قاعدة أصولية في ترجيحه للغسل على المسح، وهي أن اللفظ إذا كان مشتركاً بين معنيين أحدهما يقتضي العمل به الاحتياط والآخر لا يقتضي ذلك فإنه يجب حمل اللفظ على المعنى الذي يوجب الاحتياط وهو الأولى.

ثم من قالوا بالخفض احتجوا بأنه منسوخ بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، ويفسر القرطبي ذلك: «بأن الغسل هو الثابت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم واللازم من قوله في غير ما حديث، وقد رأى قوماً يتوضؤون، وأعقابهم تلوح فنادى بأعلى صوته، (ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء) فدلّ على وجوب غسلها»². وهي قرينة أخرى من القرائن الخارجية المرجحة لمعنى للخفض في هذه الآية، والذي قال به - فيما ذكر - أغلب الفقهاء والعلماء.

1-2-1- في تعدد الحركات:

يقول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾³، وما يدعو للتأمل عند إعراب لفظة (غير) هو تعدد قراءاتها بالرفع والنصب والجر، «فالرفع صفة للقاعدين، والنصب على الاستثناء، والجر على أنه صفة للمؤمنين، والمعنى الأول: لا يستوي القاعدون

1- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج3/371.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6/91.

3- النساء/95.

الأصحاء من المؤمنين والمجاهدون، وعلى الثاني: لا يستوي القاعدون من المؤمنين الأصحاء»¹.
الضرر وعلى الثالث: لا يستوي القاعدون من المؤمنين الأصحاء»¹.

أورد العكبري في التبيان ثلاثة أوجه تفصيلية لقراءة قوله تعالى: (غَيْرُ)، وهي الرفع والنصب والجر². ثم ذكر التوجيه النحوي لكل قراءة من هذه القراءات وبين مسوغها النحوي؛ إذ وجهت قراءة الجمهور - أعني قراءة الرفع - في قوله تعالى: (غير) على أنه صفة للقاعدون³ ويرى الفراء أن اقتران (غير) بالقاعدين يوجب الرفع؛ لأنه يرى أن الاستثناء ينبغي أن يكون بعد التمام فمثلاً نقول: لا يستوي المحسنون والمسيؤون إلا فلاناً وفلاناً، لأنه لم يقصد به قوم بأعيانهم، وقيل: هو بدل من القاعدين⁴.

ونقل عن الزجاج أنه «يجوز أيضاً في قراءة الرفع أن يكون على جهة الاستثناء، كأنه قال: لا يستوي القاعدون والمجاهدون إلا أولي الضرر فإنهم يساؤون المجاهدين؛ لأن الذي أقعدهم عن الجهاد الضرر»⁵.

أما قراءة النصب فقد وجهت بوجهين⁶:

الأول: نصب (غير) على الاستثناء، من القاعدين، وذهب إلى أن النصب على الاستثناء من القاعدين أظهر. أما الثاني: أن تنصب (غير) على الحال من القاعدين، والوجه الأول في قراءة النصب أظهر؛ لأن عليه الأكثر.

1- عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ص: 377.

2- ينظر: العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج 1/383.

3- ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 1/370، الفراء، معاني القرآن، ج 1/283. العكبري، التبيان، ج 1/383، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 5/220.

4- العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج 1/383.

5- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج 2/92-93.

6- الزمخشري، الكشاف، ج 1/396، وينظر: العكبري، التبيان، ج 1/383، والفراء، معاني القرآن للفراء، ج 1/284.

وقراءة الجرّ وجّهت على الصفة لـ(المؤمنين)¹. بمعنى: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر).

وذهب الطبري إلى تصويب قراءة النصب في (غير)؛ لأنها نزلت بعد قوله تعالى: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) فهي استثناء منها². والذي يبدو لي من خلال ما تقدّم أنّ قراءة النصب هي الأجود؛ لأن النصب على الاستثناء يرجح ها هنا؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ أنزلت بعد قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾، لذا فالنصب أرجح والله اعلم.

و في مثال آخر يقول عز من قائل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَيَأْمَأْمَنِ﴾، فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ³، والشاهد في قراءة الآية الكريمة قراءتان مختلفتان ، الأولى (رَبَّنَا بَاعِدْ)، أمّا الآخر (رَبَّنَا بَاعِدْ)، فما قيمة كل منهما في مثل هذا الأسلوب؟

أخرج الزمخشري الأولى بقوله: « بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش، وملّوا العافية، فطلبوا الكدّ والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المنّ والسلوى، وقالوا (لو كان جنى جناننا أبعد كان أجود أن نشتهيهِ)، وتمنّوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها، ويتزوّدوا الأزواد فجعل الله لهم الإجابة⁴.

1- ينظر: الطبري، جامع البيان، ج5/228، والزمخشري، الكشاف، ج1/396.

2- ينظر: الطبري، جامع البيان، ج5/228.

3- سبأ/18، 19.

4- الزمخشري، الكشاف، ج3/456.

إذا كان الإمام الزمخشري معدودا على رأس أرباب التفسير البلاغي؛ فإنما ذلك يعود إلى قناعة طالما راودته - وهو يتقصى جهود سابقه من المفسرين - من أن التقصير في ملامسة الأسرار، واستخراج الحقائق أمر واقع في أعمالهم.

وليس لتفسير كتاب الله - حسب رأيه - من منهج سوى منهج يقوم على تناول العبارة وفق حس جمالي بأداة من العلم وأفية، أساسها الإحاطة ببلاغة العرب دراية ورواية «... لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص عن شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين في القرآن. وهما: علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة وتعب في التنقيير عنهما أزمنة، وبعثه على تتبع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله وحرصا على استيضاح معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ، جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ»¹.

فلعلّ هذه المقاربة التي اقترحها الزمخشري في تفعيل النص التفسيري هي التي تجعل من الأسلوب القرآني موضوع دراسة لغوية، واسعة عميقة ومتخصصة. فيها: النحو والدلالة والصرف والصوت والبديع... فبفضل هذه الأدوات متضافرة تتحقق المعاني القرآنية في بعدها الجمالي.

وهكذا نلاحظ الزمخشري يقلل من الاعتماد على الروافد الخارجية لقراءة النص، وهي روافد طالما لزمها أصحاب التفسير الدلالي؛ أي أن النص التفسيري عند البلاغيين يستدعي لزما حضور اللغة، للتمكن من محاصرة المعاني في جميع مستويات الخطاب. أما المعنى الآخر

1- الزمخشري، الكشاف، ج1/3.

الذي أورده الزمخشري فهو: «استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفعهم، كأنهم يتشاجرون على ربهم ويتحازنون عليه»¹.

وبين القراءتين في تعدد المعنى بتعدد الحركات، تظهر قيمة الإعراب في توحي المعنى، فكانت الأولى على أن (ربنا) منادى مضاف، و(باعد) فعل أمر من المبالغة، فصارت الجملة على شكل إنشاء طلبى، أما القراءة الأخرى فكانت (ربنا) مرفوعة على الابتداء، و(باعد) فعل ماضٍ، فصارت الجملة خبرية².

والسرّ في مثل هذه الظواهر تقديم البرهان الدامغ لذلك التأويل «فلولاه لما كان تصادح العلماء، واتعابهم القرائح في استخراج معانيه، وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليّة، والعلوم الحجة ونيل الدرجات عند الله»³، ولعل هذا ما يفسّر الاختلاف في تفسير الآية السابقة.

وفي ضمن هذا المنحنى وردت عدّة قراءات بين الرفع والنصب والجرّ، أورد منها قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾⁴. ذكر الزمخشري ثلاثة أوجه من القراءة في قوله تعالى: (تنزيل) هي:

أ- الرفع على الخبرية.

ب- النصب على تقدير فعل.

ج- خفض على البدلية أو النعت.

وقد ذكر الزمخشري التوجيه النحوي للقراءات الثلاث على النحو الآتي:

1- الزمخشري، الكشف، ج1/3.

2- ينظر: عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص379، 378.

3- المرجع نفسه، ص382.

4- يس/5.

الوجه الأول: الرفع على الخبرية، إذ قال: « وقرئ: (تنزيل العزيز الرحيم) بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف»¹. وقد تفصيل وجهي الرفع على النحو الآتي:

أحدهما: الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف على تقدير: « إنه تنزيل العزيز الرحيم»² أو « هو تنزيل»³.

أما الآخر: فرفعه بالابتداء، أي أنه كلام مستأنف مقطوع عما قبله من قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾⁴ على تقدير: "هذا تنزيل العزيز الرحيم"، وعليه يكون (تنزيل) مرفوعاً خبراً لمبتدأ منوي فيه الإضمار⁵.

ورفع (تنزيل) عند الفراء خبراً ثالثاً إذ قال: « ومن رفعها جعلها خبراً ثالثاً: إنك لتنزيل العزيز الرحيم، ويكون رفعه على الاستئناف، كقولك: ذلك تنزيل العزيز الرحيم. كما قال: ﴿...لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ...﴾ الأحقاف/35؛ أي ذلك بلاغ »⁶.

ويرى الزجاج المبتدأ من زاوية أخرى- وذهب النحاس المذهب نفسه - ، وجاء توجيه الرفع على معنى (الذي أنزل إليك تنزيل العزيز الرحيم)، أو على إضمار مبتدأ أي: (الذي أنزل إليك تنزيل العزيز الرحيم)⁷.

1- الزمخشري، الكشاف، ج4/6.

2- ينظر: القرطبي، جامع البيان، ج22/149.

3- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2/214.

4- يس/3.

5- ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج26/42.

6- الفراء، معاني القرآن، ج2/372.

7- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4/278. النحاس، إعراب القرآن، ج3/383.

وبالتالي فإنّ محاولة فهم النص القرآني واستجلاء مخزونه الدلالي لهي سرّ الأبحاث التي ظهرت في سبيل تحقيقه معظم الدراسات اللغوية قديماً وحديثاً، والتي أسست بنيانها على فهم العلاقات الإسنادية في المستوى النحوي.

الوجه الثاني: النصب على تقدير فعل، ذكره الزمخشري بقوله: « وقرئ: (تنزيل العزيز الرحيم)...وبالنصب على أعني»¹. وكذلك ذهب الفخر الرازي؛ أي منصوب بفعل مضمر تقديره أعني، فيكون المعنى: « والقرآن الحكيم أعني تنزيل العزيز الرحيم إنك لمن المرسلين»². ويكون تقدير الكلام باعتبار ما ذهب إليه جموع النحاة؛ وباعتبار ما رآه المفسرون في أنّ قوله تعالى: (تنزيل) منصوب: (لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقاً)؛ بمعنى (نزل الله ذلك تنزيلاً).

الوجه الثالث: الخفض على البدلية، ذكره الزمخشري بقوله: « وقرئ: (تنزيل العزيز الرحيم)...وبالجرّ على البذل من القرآن»³. فعلى قراءة الخفض يكون قوله تعالى: (تنزيل)؛ إما بدلاً من القرآن، وقد وجّه به كل من النحاس وفخر الدين الرازي والعكبري وأبي حيان والقرطبي.

الذي يبدو لي أنّ القراءات الثلاث صحيحة من الوجهة الإعرابية إلا أنّ (تنزيل) أي: قراءة الخفض أظهر في المعنى؛ لأن الخفض يجعل التنزيل يرجع إلى القرآن⁴ عندما يكون بدلاً. والله أعلم.

1- الزمخشري، الكشاف، ج4/6.

2- ينظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج42/26.

3- الزمخشري، الكشاف، ج4/6.

4- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6/15.

1-2-2- في ثبوت الحركة :

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه ﴿... وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ...﴾¹. فالأمر الداعي للتأمل هو كيف تم توجيه النصب في لفظة (كلالة) بصرف النظر عن المعنى الذي تحيل إليه في المعجم ؟

لقد تعددت معاني (كلالة) رغم ثبوت الحركة الإعرابية فيها، فيحتمل المعنى :

- « أ- أن تكون اسما للميت فهي (حال) وكان تامة أو خبر لكان الناقصة.
- ب- أن تكون اسما للورثة فهي (حال) سواء أكانت تامة؛ أم ناقصة، وخبرها جملة (يورث) ويجوز أن يكون خبر كان الناقصة.
- ج- أن تكون اسما للمال فهي مفعول ثان لـ (يورث) وقيل تمييز والأول أظهر وأرجح
- د- أن تكون بمعنى الوراثة وهو بعيد فتكون نعتا لمصدر محذوف، تقديره: وراثة كلالة².
- والملاحظ في هذا التخريج أنه قائم على فتح الراء في قراءة (يورث)، وتتعدد الأوجه الإعرابية لها في حال قراءة (يورث) بكسر الراء مخففة أو مشددة³. وتتشكل حينئذ شبكة من المعاني للفظه محددة الحركة، ولكن هذه المعاني لا تتداخل فيما بينها، ويبقى مقصد الشارع الحكيم فوق كل معنى.

وقد علل أبو السعود نصب (كلالة) بثلاثة وجوه⁴ :

أولها: أنها مفعول له ، والمعنى: اي يورث منه لأجل القرابة المذكورة .

1- النساء/ 12.

2- علي أحمد طلب، دراسات تحليلية لغوية لسورة قرآنية، ص: 28-30، بتصرف.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 29.

4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود، ط4، - دار إحياء التراث العربي - بيروت 1414هـ / 1994م، ج3/106.

وثانيها: أنا حال من الضمير في (يورث)، والتقدير: أي حال كونه ذا كلاله .

وثالثها: أنها خبر لـ (كان) و(يورث) صفة لـ (رجل)، والتقدير: إن كان رجل موروث ذا

كلالة ليس له والد ولا ولد ، أو إن كان الميِّت كلالة للوارث ليس أباً ولا ابناً.

ثم ذكر أنّ الفعل (يورث) قرئ بكسر الراء على البناء للمعلوم، موجّهاً إعراب (كلالة)

بثلاثة وجوه¹ أيضاً؛ اثنين منهما يمثل الذي ذكره في إعرابها مع الفعل (يورث) في حال بنائه

للمفعول، وهما (حال بتقدير: يورث وارثه حال كونه ذا كلالة، ومفعول له)، والوجه الثالث:

أنّها تعرب مفعولاً به فيكون التقدير : يورث ذا كلالة.

في حين رأى الزجاج أنّ القراءة بالفتح، تكون (كلالة) منصوبة على الحالية، أمّا

القراءة بالكسر فتعرب (كلالة) على المفعوليّة²، وجوّز النحّاس حملها على أنّها خبر

لـ (كان)، وحملها على الحالية ممثلاً لذلك بالقول : « يُضْرَبُ قائماً »³ بمثله قال الزمخشريّ

مع تجويزه حملها على المفعوليّة.

والحقّ أنّ الآية تحتل جميع الوجوه الإعرابيّة التي أوردها أبو السعود في نصب

(كلالة)، سواء فسّرت الآية بالفتح في (يورث)، أم بالكسر في أنّها صفة للموروث أو للوارث

فلم يغيّر من معنى (كلالة) دلالتها؛ ذلك لأنّها « مصدر يجمع الوارث والموروث جميعاً »⁴.

فهذه الاحتمالات الكثيرة للوجوه الإعرابيّة في النصب باب واسع ذكره النحاة في تفسيرهم

لحالات النصب المتشابهة في المعنى. فقد ذكر ابن هشام أمثلة كثيرة من باب (المنصوبات

المتشابهة) ، منها ما يحتمل المصدريّة والحاليّة والمفعول لأجله في التركيب الواحد، ممثلاً لذلك

1- أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج6/103.

2- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج2 / 25 .

3- النحّاس، إعراب القرآن، ج1 / 204.

4- الزمخشري، الكشاف، ج1 / 516.

بقولنا: (جاء زيد رغبةً) والتقدير: أي يرغب رغبةً، أو مجيء رغبةً، أو راغباً، أو للرغبة¹. وقال الآلوسي: « (الكلالة) في الأصل مصدر بمعنى (الكلال)، وهو الإعياء، ثم استعيرت واستعملت استعمال الحقائق للقرابة من غير جهة الوالد والولد؛ وهو من الفعل (كلّ) (يكلّ) (كلالة) »².

وفي قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ، رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾³. إنَّ ثبوت الحركة في لفظة (رحمة) لم يحدّد معناها المقصود مباشرة، بل وضعت لها « خمسة أوجه إعرابية، فقليل أنها مفعول لأجله، أي: للرحمة، أو مفعول لـ (مرسلين) والمراد بالرحمة النبي صلى الله عليه وسلم، أو بدل من (أمر)، أو على المصدرية أو على الحالية »⁴.

1-2-3- في التفريق بين الأمور المتشابهة.

مواضع الأمور المتشابهة في القرآن الكريم عديدة، وإحصاؤها في مبحث أو عنصر غير كاف، ولكن يمكن أن ندلل على إحداها - المتشابهة - بسلطان الإعراب. فالواجب على المعرب في هذا المجال « أن يكون على دراية بالفوارق الدقيقة بين الأمور المتشابهة حتى لا يعطي شيئاً حكم غيره »⁵.

قد يُشكّل على القارئ قول الله تعالى: ﴿...وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا

1- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ج 2 / 729-731.

2- الآلوسي، روح المعاني 4/596، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 11/592.

3- الدخان 4-6.

4- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 98.

5- علي أحمد طلب، دراسات تحليلية لغوية لسور قرآنية، ص 31.

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ¹، والشاهد في هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾، فهل الخطاب موجّه لجماعة الذكور؟ وإن كان الجواب بنعم، فلم لم تنصب (أن) الفعل المضارع؟

ويجدر بالذكر « أن المضارع الذي آخره واو، تشابه منه صورة المسند على النسوة (النساء يعفون)، والمسند لواو الجماعة (الرجال يعفون)، والفعل في الجملة الأولى مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، ونون النسوة فاعل، ووزنه يفعلن ...»².

إنّ الأمر في الجملة الثانية أشبه بالجملة الأولى، ولكن الإعراب دلّ على حقيقة (أن يعفون) هذا من جهة، وللسياق دور من ناحية أخرى، وهذا ما سأحاول الكشف عن جانب منه في الفصل الأخير من هذا البحث .

2- قيمة الوصف النحوي الدلالية:

من المهمّ أن تعقد صلة بين النحو والدلالة، وهو ما صار يعرف عند العلماء بالدلالة النحوية، والأهم من ذلك أن يتمّ إحكام العلاقة بين الوصف النحوي للتركيب والدلالة في حيّز من الدراسة اللغوية، فالتّوجيه النّحوي « يحاول دائماً الاتجاه بهذا الوصف المتعدد الجوانب نحو الدلالة الادّة، وكل ما خرج عن النظام النحوي المحدّد خرج عن إطار دلالة محددة »³. وحتى في الخروج عن المألوف في القاعدة اللغوية، يتشكل قانون لغوي جديد وفق تركيب معين.

وتتكشف قيمة الوصف النحوي في وصفه « للعلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة بعضها ببعض الآخر، والعلاقة التي تصفها القواعد النحوية هي نفسها مستمدة من أمرين؛ أحدهما: لغوي يحكم وضع الكلمات بطريقة معينة وبصيغة معينة في كتل صوتيه خاصة

1- البقرة / 237.

2- علي أحمد طلب، دراسات تحليلية لغوية لسور قرآنية، ص: 31.

3- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص: 82.

والآخر: عقلي وهو المفهوم المترتب على الوضع السابق من حيث ارتباط كل تركيبية بدلالة وضعية معينة¹؛ لذا فالحديث عن العلاقة القائمة هنا تشبه حديث دي سوسير عن العلاقة بين الدال والمدلول، حينما شبهها بوجهي الورقة الواحدة .

ويستلزم الأمر توجيه الوصف النحوي إلى ما يخدم المعنى، ويمسك بعروته، « فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾²، فمعنى هذا: أنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر، فإن حملته في الإعراب على هذا كان خطأ: لفصلك بين الظرف الذي هو (يوم تبلى)، وبين ما هو معلق به من المصدر الذي هو الرجوع، والظرف من صلتته، والفصل بين الصلة والموصل الأجنبي أمر لا يجوز³. وعلى هذا الحال يجب مراعاة المعنى حتى وإن تطلب الأمر تغييرا في الوصف النحوي.

وعلة ذلك أن النحوي قد تعرض له قراءة قرآنية أو شاهد شعري يرى بأكثر من وجه إعرابي كأن يرد بالرفع والنصب أو بأكثر من صورة أو غير ذلك من الظواهر النحوية، فيحاول أن يعمل فكره النحوي لإيجاد حل يؤمن من خلاله تفسيراً يجعل الحالة الذهنية المدروسة تتطابق والقواعد النحوية التي يحتكم إليها مذهب النحوي، بمعنى أكثر بياناً أنه يسوق الحالة النحوية قيد الدرس لتطابق قاعدة نحوية معروفة تجعل للنص وجهاً مقبولاً في العربية، جائزاً عند دارسيها، يذكر ابن جني في ذلك « وكان تقدير الإعراب مخالفاً للتفسير تقلبت تفسير المعنى على ما هو عليه وصححت تقدير الإعراب حتى لا يشذ شيء منها عليك⁴. وهو بهذا نوع من أعمال للفكر النحوي ووسيلة لحل ما قد يكون في ظاهره تعارضاً بين النص والقاعدة النحوية. وبذلك يسوق

1- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ط1، القاهرة- مصر-، دار الشروق، 1983، ص:40.

2- الطارق/8،9.

3- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادينهر، ص:83،82.

4- ابن جني، الخصائص، ج2/292.

النص ليطابق القاعدة النحوية مستندا الى قواعد اللغة العربي ليسير النص بذلك مع العربية على جهة واحدة.

وفي سياق متصل فيما يشكله التركيب المعياري، أو التركيب الجديد الذي ينشأ بتجاوز المعيار اللغوي، ينتج ما يسميه حماسة عبد اللطيف (المعنى النحوي الدلالي)، وهو في تقديره «مطلب ضروري لأنه حتى مع تعدد المعاني للجمل أو تركيبها يقدّم تفسيراً لطبقة مهمة من طبقات المعنى، وهي الطبقة الأولى من طبقات تفسيره، والطبقة الأولى هي الأساس الذي يبنى عليه ما يليه من طبقات، ولا يمكن ما بعدها إلا بفهمها أولاً، ومعرفة مداخلها، والأسس الذي تنهض عليها»¹.

ويتقرر بهذا الخصوص فاعلية المعنى النحوي، ويتعزز بكلامه عن قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾²، فيقول عن ذلك « فنطق الكلمتين واحد (الساعة، الساعة)، ولكن لا يمكن وضع إحداها بالمعنى نفسه مكان الأخرى»³، والظاهر أنّ المعنى المعجمي للفظ (ساعة) لا يحدّد دلالة الآية؛ بل تحدّد العلاقات النحوية في تركيب الآية فتدلّ (الساعة) على يوم القيامة وهي متعلقة بالظرف (يوم)، وتدلّ لفظ (ساعة) على الزمن وهي متعلقة بفعل المجرمين .

وبين المجاز والدلالة النحوية علاقة، تبرز بوضوح قيمة الوصف النحوي، بصرف النظر عن التأويلات التي يوردها المتكلمون، وفي هذا الصدد، نجد أنه « تأتي دلالة اللفظ على غير معناه الحقيقي من الكلمة المفردة التي لا تفيد ذلك إلّا إذا تلبّست بمعاني النحو وصيغته أي

1- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص:20.

2- الروم /55.

3- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص:51.

إلّا إذا تفاعلت دلالاتها، وتشابكت في علاقات نحوية والعلاقة الإسنادية أساس ذلك، فالتركيب في بنائه اللغوي ليس سوى تجسيد للمعنى الذي يتصوره المتكلم بين هذين الطرفين»¹.

3- دقة النظم في الأسلوب القرآني:

أخذت نظرية النظم مجالاً واسعاً من الاهتمام في الدراسات اللغوية، واستهلكت جهداً كبيراً من جهود الدارسين والباحثين، وليس الغرض هنا دراستها كنظرية، بل هو البحث في سرّ دقة النظم القرآني، وقيّمته الدلالية والأسلوبية، فالجرجاني «لم يرد من تأليفه إثبات إعجاز القرآن على سمت المتكلمين والمناطق، وإنما رام به الكشف عن إعجاز القرآن من زاوية نظرة لسانية وأسلوبية»².

إنّ عبد القاهر الجرجاني بحكم استوائه على عرش البلاغة، وترفعه عن ثنائية (اللفظ والمعنى) نفذ بعبقريته - نحو عمق النص - إلى الجملة القرآنية بوصفها جامعة عناصر، وحاملة دلالة لا تتّضح إلّا في السياق الكلي لتلك الجملة. فقد استوقفته الاستعارة في كثير من الآيات فمضى يحلل الخطاب بمنهج يركّز فيه على البعد الفني، ودور الإسناد، وتعليق الكلم بعضه ببعض، ثمّ يبين أثر ذلك في المعمولات النحوية، وما تضيفه بتلك الطريقة الخاصة في النظم من جمالية على المعنى. فالإمام عبد القاهر لا يقف من الاستعارة موقف الرادّ لها، أو الملغي لأثرها في تسوية الصورة، بل يجدد الفهم إزاءها متجاوزاً عتبة السطح - الذي بنى عليه العامة انبهارهم - إلى مستوى أشد عمقا، إلى حيث انتظام السلسلة الكلامية وفق ما تقضي به أصول

1- أحمد عرابي، الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة، ص: 164.

2- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، د ط، دمشق-سوريا- منشورات اتحاد الكتب العرب، 2001، ص 147.

النحو وقوانينه، وهو (النظم) «إنّ في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلّا من بعد العلم بالنظم، والوقوف على حقيقته»¹.

وهذا المنهج هو الذي فسر به قوله تعالى فأمكنه من تخريج معاني جدت على الأسماع، معتقداً أن إصابة الدلالة الإجمالية من النظم تستلزم النظر في سائر وحداته الكلامية، بعلّة انفراد كل عنصر بدلالة جزئية، ومن ثمّ لا مناصّ من السعي في عقد الصلات بين العناصر المتجاورة لاستدعاء الدلالات المتفشية في ثناياها. ولما كان القرآن مشتملاً على الخصائص الفنية والأسلوبية التي تعارف عليها عرب الجاهلية في أهمّ خطاباتهم الإبداعية أصبح منتظراً أن يثير فيهم شعوراً بالانفعال وصل إلى حد الطمع في معارضته.

3-1- النّظم والنّص:

كان الوجه المعقول الذي اجتذب علماء الإعجاز إلى النص القرآني إنما هو الفصاحة الملموسة في صياغة ألفاظه، وتصوير معانيه في ذلك النمط المفرد من النظم. فكثير هي المناسبات التي شهدت لأساطين البلاغة بشغفهم لهذا القرآن؛ برغم تناقضهم في تناوله ودراسته ولكنّ ظروفها قد طرأت عجّلت في وضع الأسلوب القرآني موضع النظر، والدراسة والتفكير. وقد نجد لعلماء الكلام والتفسير، واللغة هذا الحضور المكثف، وهو حضور لا يكشف إلا على نية الفصل في إعجازية القرآن من خلال نظمه. فقد بات لزاماً على العلماء التصدي لمن ادّعى على القرآن بفضل ما أبدعوه من دراسات انسجم ضمنها العقل مع النقل؛ فالاستعانة بالمعارف العقلية، والدلائل المنطقية التي تسربل بها علماء المعتزلة والأشاعرة كانت تقف

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص109.

بالدفاع عن المعتقد الإسلامي، كما كانت تعني الحفاظ على معالم الكلام العربي من خلال التعريف بهويّة الأسلوب المعجز¹.

ولا تزال فكرة النظم تشغل عقول الدارسين بالنظر، واستجلاب أوجه الإقناع بنمطية هذا البناء المنفرد مع تجدد كل عصر؛ وذلك كما قال العلامة الطاهر بن عاشور: « إن نظم القرآن مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة، فجمل القرآن لها دلالتها الوضعية التركيبية، التي يشاركها فيها الكلام العربي كله. ولها دلالتها البلاغية التي يشاركها في مجملها كلام البلغاء ولا يصل شيء من كلامهم إلى مبلغ بلاغتها، ولها دلالتها المطوية وهي دلالة ما يذكر على ما يقدر اعتمادا على القرينة وهذه الدلالة قليلة في كلام البلغاء وكثرت في القرآن مثل تقدير القول وتقدير الموصوف وتقدير الصفة. ولها دلالة مواقع جملة بحسب ما قبلها وما بعدها، ككون الجملة في موقع العلة لكلام قبلها، أو في موقع الاستدراك، أو في موقع جواب سؤال، أو في موقع تعريض أو نحوه.

وهذه الدلالة لا تتأتى في كلام العرب لقصر أغراضه في قصائدهم وخطبهم بخلاف القرآن، فإنه لما كان من قبيل التذكير والتلاوة سمحت أغراضه بالإطالة، وبذلك الإطالة تأتي تعدد مواقع الجمل والأغراض². ففكرة النظم ظلت تستوعب كل مركبات الخطاب القرآني، وظلت معها جهود الأدباء المفسرين وقافة عند لفظه ومعانيه، وتراكيبه وتصويراته بعقد الموازنات بينه وبين سائر الكلام المنتخب. ومن هنا أفنى علماء الأدب والبلاغة قواهم في تخريج الصنوف الدلالية والبلاغية التي تترسم عليها وجوه الإعجاز النظمي.

1- ينظر: غانم حنّجار، القيم الأدبية في نصوص التفسير، ص75.

2- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1/110.

كل ذلك ولم يزالوا بعيدين عن أغوار سره، ومنتهى حقيقته لأن بدائع القرآن في التصرف بأساليب التعبير البليغ لم تتله جياذ البلاغة في مضامير الكلام الحاصل في أشعارهم، وخطبهم وأسجاعهم، وحتى في حكمهم وأمثالهم. « فبني نظمه على فواصل، وقرائن فلم تفته سلاسة الشعر، ولم ترزح تحته قيود الميزان. فجاء القرآن كلاماً منثوراً ولكنه فاق في فصاحته وسلاسته على الألسنة، وتوافق كلماته وتراكيبه في السلامة من أقل تنافر، وتعرش على الألسنة فكان كونه من النثر داخلًا في إعجازه»¹.

انفقت آراء النقاد والبلاغيين القدامى في الحكم على عنصر الإعجاز برده إلى طبيعة بنائه- وهو ما عرف بالنظم القرآني- فمنهم من تنبّه إلى وجه غفل عنه أناس كثيرون، وهو تأثيره في الذات المتلقية بالإذعان إلى سلطان بيانه، وهو سبب نفسي محض، شأنه إثارة مواجيد السامع، وإن لم يكن له أدنى قدر من العلم بلسان العرب، فكيف والحال مع من هم في صفوة البلاغة، من أرباب الكلام. قال الخطابي: « قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعة بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب- الاضطراب - والقلق وتغشاها الخوف والعرق، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب»².

فهو لا يزال صنيعة بالقلوب كذلك في كل عصر، ومكان حتى مع الذين لا يعتقدونه إلا من جهة الفصاحة، فهذا الشاعر المعاصر (نيقولا حنا) يقر بسرّ تأثيره فيه فيقول: « قرأت

1- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1/115.

2- الخطابي، إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في الإعجاز ، تح: محمد خلف الله، محمد زغول سلام، ط3، مصر، دار المعارف، 1976، ص70.

القرآن فأذهلني، وتعمّقت به ففتنتني ثم أعدت القراءة فأمنت، آمنت بالقرآن العظيم، وبالرسول من حمله النبي العربي الكريم، أمّا الله فمن نصرانيّتي ورثت إيماني به، وبالفارقان عظم هذا الإيمان. وكيف لا أؤمن ومعجزة القرآن بين يدي أنظرها وأحسها كل حين، هي معجزة لا كبقية المعجزات، معجزة إلهية خالدة تدل بنفسها عن نفسها، وليست بحاجة لمن يحدث عنها، أو يبشر بها»¹.

وهذه الشهادة لا ينبغي إكبارها على اعتبار جهتها الصادرة منها، فكم من قوم شرفهم القرآن بفضل ما اعترفوا له من الحق، ومع ذلك يبقى مؤمنوهم وكفارهم عاجزين بقدرتهم أمام عجائب نظامه، حتى وإن جددوا في شأنه آليات القراءة، وأسباب الفهم؛ ذلك هو مبلغهم من الإدراك في شأن النص المعجز من جهة عبارته التركيبية، أمّا جهة التركيب النفسي الموضوعي ذلك ما هو مطلوب من القارئ المسلم إدراكه².

إنّ في توحي معاني النحو «نقتفي آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق»³. فالنظم أحد مظاهر الدلالة اللغوية والإعجاز اللغوي على حدّ سواء، «ذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد»⁴.

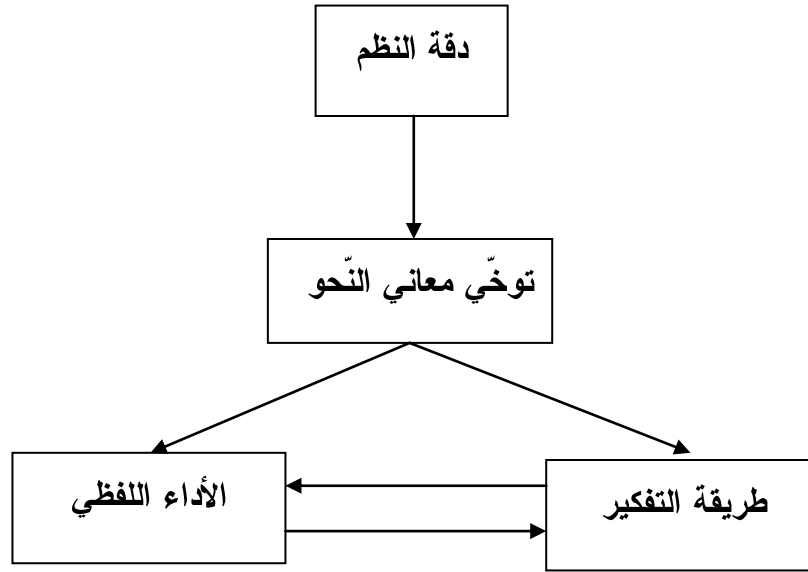
1- أحمد سيد محمد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، ط1، دمشق- سوريا- دار الفكر، 1998، ص110.

2- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق - سوريا- دار الفكر، 1987، ص67.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص87، 88.

4- الباقلاني، إعجاز القرآن الكريم، ص53.

والجمع بين حكم اللفظ نحويا ووظيفته إنجاز أسلوب في غاية الجمالية من الصياغة الأسلوبية؛ إذ «أنّ العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق»¹؛ ولعل دقة النظم تتجسد في مظهرين أسلوبيين هما: طريقة التفكير ثم الأداء اللفظي²، وبهذا الشكل يمكن أن نتصور دقة النظم في الأسلوب القرآني بالمخطط الآتي بيانه:



المخطط رقم 2: منزلة النحو في النظم.

ومن أمثلة ذلك توظيف بعض الحروف للدلالة على النص اللغوي، وهذا الأمر يقوم فارقا بين معنى وآخر، فبإمكان هذه الحروف أن تفصل المعاني عن بعضها خاصة في الآيات المتشابهات. ففي قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾³، وقوله عزّ من قائل أيضا ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾⁴. ما يؤكد دقة النظم القرآني الذي نحن بصدد الحديث عنه.

1- عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص 42، 43.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 43.

3- آل عمران/ 60.

4- البقرة/ 147.

وجاء في كتاب (بصائر ذوي التمييز) ما نصّه أن « ما في سورة آل عمران جاء على الأصل، ولم يكن فيها ما أوجب إدخال نون التأكيد، فأوجب الازدواج إدخال النون في الكلمة »¹. وقد جاء التأكيد بالنون في موضع سابق من سورة البقرة ﴿ فَلَنُؤَلِّيَنَّكَ ﴾، واللافت في سرّ هذا النظم هو استعمال الحرف (نون التوكيد)، وعدمه في الخطاب القرآن المتشابه.

وفي قوله عز وجل ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ... ﴾² نسيج من المعاني غاية في النظم والدقة والترتيب، وأساس ذلك « القرابة المباشرة والترتيب النزولي وأفضلية علاقة الذكورة، ولهذه الاعتبارات قيمة دلالية »³.

وباعتبار قيمة أفضلية علاقة الذكورة في هذا النظم أساسا، نجد أن «النظم يخالفه صراحة؛ إذ قدّمت بنت الزوجة والعلاقة فيها الأنوثة على حليّة الابن والعلاقة فيها الذكورة»⁴. فالزمخشري يقول « فإن قلت: ما فائدة قوله (في حجورك)؟ قلت: فائدته التعليل للتحريم وأنهنّ لاحتضانكم بهنّ، أو لكونهنّ بصدد احتضانكم ... وثبتت الخلطة والألفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة، وكانت الحال خليفة بأن تجروا أولادهن مجرى أولادكم»⁵.

1- نقلا عن: علم الدلالة التطبيقي، هادي نهر، ص: 114.

2- النساء/ 23.

3- خصائص التعبير القرآني، عبد العظيم أحمد المطعني : ص: 386.

4- المرجع السابق، ص: 388.

5- الزمخشري، الكشاف، ج1/ 383.

المبحث الثاني

التجليات الدلالية لظاهرتي: الحذف، والتقديم والتأخير.

1. أسرار الحذف.

1.1. حذف حرف.

2.1. حذف كلمة مفردة.

2. بين التقديم والتأخير.

1.2. تقديم المعمول على العامل.

2.2. تقديم المسند إليه.

3.2. خرق معيارية الترتيب.

4.2. أشكال أخرى للتقديم.

1- أسرار الحذف:

جاء في لسان العرب عن مادة (حذف) ما يلي: « حذف الشيء يحذفه حذفاً: قطعه من طرفه، والحجّام يحذف الشعر من ذلك، والحذافة ما حذف من الشيء فطرح»¹، هذا من جهة التعريف اللغوي. أمّا اصطلاحاً: « فهو حذف يحتوي جزءاً أو أكثر من كلمة، أو حذف كلمة أو أكثر من تركيب لغوي، اعتماداً على القرائن المصاحبة، عقلية أو حالية أو لفظية»².

وفي دلائل الإعجاز، يرى عبد القاهر الجرجاني (ت: 471هـ) ما نصّه « الحذف فن عظيم من فنون القول، ومسلك دقيق في التعبير وتأدية المعاني، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ بياناً إذا لم تُنْ هذه جملة قد نتركها حتى تخبر وتدفّعها حتى تنتظر»³.

وبالمقابل؛ ارتبط الحذف بالذكر أو الزيادة؛ فهما ظاهرتان متقابلتان، يقول السيوطي (ت: 911هـ) « هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كلّ واحد منهما ما مقابله، لدلالة الآخر عليه»⁴. ينقسم الحذف إلى واجب وجائز، وقد استرسل الجرجاني - وقد عقد فصلاً في الحذف والزيادة - في حديثه عن أهمية الحذف، وأورد شواهد تثبت مذهبه؛ وتدعم كلامه السابق عن الحذف، فهذه الظاهرة - حسب - موجودة في القرآن المنزل إلى البشر تكريم لهم؛ لأنّ الله منحهم القدرة، وميّزهم بالعقل والفطنة، ومنحهم فرصة التأمل والتدبر في كتابه واستنباط أحكام

1- ابن منظور، لسان العرب، ج 1/ 39.

2- ابن جني، الخصائص، ج 2/ 360.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 70.

4- السيوطي، البلاغة القرآنية، تح: السيد الجميلي، د ط، مصر العربية، دار المعرفة، (1413هـ/ 1993م)، ص: 97.

تشرّع لهم كيفية حياتهم. ولا يعتبر اللفظ محذوفاً إلا بوجود قرينة تدل عليه في التركيب، أما التقدير بلا حاجة فهو زيادة، والحذف قد يكون للفظة المفردة كما قد يكون لجملة بأكملها.

وقد جاء بأمثلة في ذلك لم يوافق فيها فهم سيبويه في قوله أن الحذف مجاز، إذ لا يمكن أن نصف كلمة بأنها من المجاز إلا إذا نقلت من معناها الأصلي إلى معنى آخر جديد، لكن هذا الحذف يؤدي إلى تغيير في الحكم الإعرابي فيحل المضاف إليه محل ما قد يؤدي إلى المجاز. ويشترط سيبويه في الحذف ألا يكون مطلقاً حيث أردنا وإنما يكون إن كان المخاطب عالماً فيعتمد المتكلم على بديهة السامع في فهم المحذوف، كما يرى أن الدافع إلى الحذف طلب الخفة على اللسان أو اتساع الكلام والاختصار، ولا بد للمحذوف أن يكون معلوماً لدى السامع وأن ينتبه إليه لدلالة السياق عليه¹.

ومثال ذلك حذف حرف الجر، والاحتمال فيه إذا وقع بين حرفين والمعنى يختلف تبعاً لهذا الاختلاف وهذا في قوله تعالى: ﴿...وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَأَمَّى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ...﴾².

هناك حذف يحتمل حرفين: (في) و(عن). فيكون المعنى (ترغبون في أن تنكحوهن) وكذلك (و ترغبون عن أن تنكحوهن)، بذلك يختلف المعنى بسبب الاستعمالين ما يحتمل منهما الرغبة وغيره النفرة، حسب التقدير فإن قُدِّرَ الحرف (في) كانت الرغبة في الزواج منهن وإن قُدِّرَ الحرف (عن) كانت النفرة من الزواج منهن، قال الزمخشري: «يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن لدمامتهن»³.

1- ينظر: الكتاب، سيبويه، ج1/114.

2- النساء/127.

3- الزمخشري، الكشاف، ج1/301.

ومن الأمثلة التطبيقية - من القرآن الكريم - التي تبين أثر هذه الظاهرة - الزيادة والحذف - في اختلاف الحكم الفقهي، ما ذكر في حكم الميراث الذي أوجبه الآية، في قوله تعالى: ﴿...لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ ثَنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ...﴾¹، فكلمة (فوق) في هذه الآية، ظرف متعلق بمحذوف صفة نساء، ولكن بعض النحاة حكم بزيادتها وبذلك يتغير حكم الميراث الشرعي بناء على هذه الزيادة؛ إذ يكون للبنتين اللتين ترثان ثلثا تركة المتوفي.

ويقول أبو العباس المبرد (ت 898هـ) في ذلك: «إن في الآية ما يدل على أن للبنتين الثلثين، وذلك أنه لما كان للواحدة مع أخيها الثلث إذا انفردت، علمنا أن للأنثيين الثلثين...»² وذكر مستدلاً على زعمه بأن لفظة (فوق) جاءت زائدة في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾³.

جاء رد القرطبي على ذلك بقوله: «بأن الظروف وجميع الأسماء لا يجوز في كلام العرب أن تتراد لغير معنى، ولأن قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ هو الفصيح وليست (فوق) زائدة، بل محكمة للمعنى؛ لأن ضربة العنق إنما يجب أن تكون فوق العظام دون الدماغ»⁴.

1- النساء/ 11.

2- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، د ط، بيروت-لبنان- مؤسسة المعارف، د ت، ص 119.

3- الأنفال/ 12.

4- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 9/63.

وتحدّث النحاة باستفاضة عن هذه الظاهرة وتقرر أنّ « الحذف ضرب من الاتّساع»¹ وهنا تلتقي البلاغة والنحو في ظاهرة الحذف كغيرها من الظواهر اللغوية الأخرى، وهي العلاقات التي اعتمدها الجرجاني في نظرية النظم التي ربطت البلاغة والنحو، فالحذف في النحو والمجاز في البلاغة متشابهان في أن كليهما لا تلجأ إليه إلا إذا كانت هناك قرائن تدل على الحذف أو على تغيير دلالة اللفظ من الحقيقة إلى المجاز.

ويشترط في الحذف وجود ما يدلّ عليه من قرائن، كما في الاصطلاح من تعريف ابن جني، وعليه فإنّ « كل حذف لا بدّ فيه من شرط وسبب أمّا الشرط فقد أجمعوا على أنّ الحذف لا يصار إليه إلّا إذا بقيت في الكلام قرينة تدلّ على المحذوف؛ لأنّ شرط جودة الأسلوب الوضوح وحسن الدلالة ... وأمّا السبب فهو الأمر الذي يدعو المتكلم على ترجيح الحذف على الذكر، أو وجوبه إذا كان أدلّ على فخامة المعنى وسعة تصوّره في بعض المواضع»².

والقرآن الكريم مليء بمواضع الحذف، وقد اهتم به البلاغيون أيّما اهتمام فهذا ابن الأثير يقول: « ومظاهر الحذف في القرآن الكريم كثيرة جداً، لكن البلاغيين اتّجهت عنايتهم إلى حذف المفعول به أكثر من غيره؛ لأنّ اللطائف فيه أكثر وأعجب»³، كما يعدّ الحذف من مواطن التوسع في المعنى، فيؤدي إلى إطلاق متتاليّة المعاني وتوسعها، وهو في تقدير فاضل السامرائي قسماً: « قسم لا يؤدي إلى توسع في المعنى ولا إلى إطلاق لأن المحذوف يتعين فيقتدّر ذلك المحذوف ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا...﴾⁴ المحذوف (أنزل) هذا الحذف هنا ليس فيه توسع ولا إطلاق في المعنى لأن المحذوف محدد ومعين...

1- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2/164.

2- عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص5.

3- ابن الأثير، المثل السائر، ج2/304.

4- النحل/30.

وهناك قسم آخر من الحذف يؤدي إلى التوسع في المعنى وهذا يحتمل عدة تقديرات وعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذِنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾¹. قال تعالى على لسان أصحاب الجنة (ما وعدنا ربنا) بالتخصيص لهم، ولم يقل (ما وعدكم ربكم) مع أصحاب النار، وذلك لأن الكافرين لا ينكرون فقط ما وعدهم ربهم لكنهم ينكرون ما وعدهم وما وعد غيرهم، وكل ما يتعلّق بالبعث والحساب والقيامة... إذن الحذف هنا أدى إلى توسع في المعنى لأنه شمل ما وعدهم ووعد غيرهم². وعلى هذا الأساس سأتناول بعض اللطائف الأسلوبية من الحذف، ومثال ذلك حذف حرف، أو حذف كلمة مفردة، لما في ذلك من فائدة جليّة وإثارة أسلوبية.

1-1- حذف حرف:

1-1-1- بقاء المعنى بعد حذف الحرف:

جاء في كتاب الله العزيز، قوله تعالى ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾³، وفي هذه الآية حذف الحرف (لا) فالمعهود من كلام العرب ذكرها قبل كلمة (تفتأ)، أي قولهم (لا تفتأ).

ويُوجّه سر هذا الحذف بـ«أنّ حرف النفي في الآية الكريمة (لا) محذوف لضيق المقام؛ لأنّ الأزمات النفسية عند إخوة يوسف قد بلغت ذروتها في هذا الموضع، ويكفي أن

1- الأعراف/44.

2- ينظر: فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية، ص124.

3- يوسف/85.

تُستحضر الآيات السابقة على هذه الآية للتأكيد، ويكون الجواز النحوي حينئذ ترشيحاً ومساندة¹.

قال الآلوسي في هذا الصدد: « (الحرص) من إذا به همّ أو مرض وجعله مهزولاً نحيفاً، وهو في الأصل مصدر (حرص) فهو (حرص) يكسر الراء، ولكونه كذلك في الأصل لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع، لأن المصدر يطلق على القليل والكثير)، وهو من الفعل (حرصه) (يحرصه)²».

من اللازم في هذا الباب « من الناحية اللغوية معناها تالله لا تفتأ، إذا كان جواب القسم فعل مضارع لا بد أن يكون باللام مع النون (تالله لأكيدن) أو مع اللام إذا اقتضى حذف النون. لا بدّ في جواب القسم المثبت أن تُذكر اللام سواء مع النون أو بدونها. وعندما لا تذكر اللام يدلّ على النفي؛ إذن لا يكون مثبتاً إلا بذكر اللام مع الفعل المضارع. فإذا قلنا: (والله أذهب) معناها والله لا أذهب؛ إذا جاء جواب القسم فعلاً مضارعاً ولم يقترن باللام فهو نفي قطعاً³.

وفي سورة يوسف جاءت بمعنى (لا تفتأ)؛ بحيث حذفت اللام ولم يقل (تالله لا تفتأ)، واستخدم لفظة (حرصاً). يعلّل سامرائي معنى الآية بالقول: « أنّ إخوة يوسف أقسموا أن أباهم سيظلّ يذكر ابنه يوسف حتى يهلك أو تفسد صحته. لكن هل هذا مقام توكيد؟ وهل يمكن أن يقسم أحد على هذا الأمر المستقبل؟ طبعاً هذا ليس بمقدورهم ولا يعلمون ماذا سيحدث فيما بعد لذا فالمقام ليس مقام توكيد أصلاً. القسم هنا غير واقع حقيقة وغير متيقن لذلك وجب حذف حرف النفي (لا) مع أنه معلوم بالدلالة⁴».

1- خصائص التعبير القرآني، عبد العظيم إبراهيم المطعني، ص: 09.

2- الآلوسي، روح المعاني، ج 13/56، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 7/134.

3- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية، ص 126.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص 127.

والملاحظ أنّ الحال التي آلت إليها نفسية سيدنا يعقوب من شدة توجعه وتألمه؛ هي التي فرضت على إخوة يوسف التأثير « هذه المواقف كان لها أثر بالغ على إخوة يوسف فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكان حسنا من القرآن أن يكون في التعبير نفسه ما يشير إلى تلك الحالات أبلغ وأوجز إشارة... وذلك ما أراه لتوجيه المعنى بلاغيا فوق الجواز النحوي»¹.

1-1-2- المعنى بين حذف الحرف وذكره:

وجاء المعنى في هذا العنصر على وجهين، أمّا الأول: فورد في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا...﴾². هذا عن حذف حرف (الواو)، قبل (فتحت)، وقد ذكرت في موضع مماثل في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا...﴾³. وفي هذه ذكرت (الواو)، ولنا أن نتساءل: لم حذف حرف (الواو) في الآية الأولى؟ ولم ذكر في الآية الأخرى؟

قال الرازي في شأن زيادة حرف العطف (الواو) « فإن قيل: قال أهل النار فتحت أبوابها بغير الواو، وقال ههنا بالواو فما الفرق؟ قلنا الفرق أن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها، فأما الجنة ففتحتها يكون متقدما على وصولهم إليها بدليل قوله... فلذلك جيء بالواو كأنه قيل: حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها»⁴.

إنّ حذف الواو في الأولى يعود إلى سبب وجود الشرط المطروح بـ (إذا) فوجب حينئذ أن نتوقع جواب الشرط، أمّا ذكره في الآية الثانية فسيبه أن يسقط عن (فتحت) جواب الشرط وذلك فصل بين العقاب والجزاء، وهذا التحليل قائم على أساس أنّ « الحذف في الأولى دلّ على

1- عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص10.

2- الزمر/71.

3- الزمر/73.

4- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج 16/84.

أَنَّ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ فَتَحَتْ حِينَ جَاءُواهَا، لِأَنَّ (إِذَا) ظَرَفَ لَمَّا يَسْتَقْبِلُ مِنَ الزَّمَانِ، وَ(فَتَحَتْ) جَوَابُهَا، وَالذِّكْرُ فِي الثَّانِيَةِ دَلٌّ أَنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ كَانَتْ مَفْتُوحَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتَوْهَا»¹.

وَلَعَلَّ « جَهَنَّمَ سَجْنٌ وَالسَّجْنُ ذَلِكَ شَأْنُهُ : حِرَاسٌ شَدَادٌ وَأَبْوَابٌ مُحْكَمَةٌ الْإِصَادُ » عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ وَالْجَنَّةُ دَارُ كَرَامَةٍ وَتَشْرِيفٍ، فَلِلتَّحْيِيْبِ بِهِمْ اسْتَعَدَّتْ لَهُمْ قَبْلَ وَصُولِهِمْ « جَنَّاتٌ عَدْنٌ مَفْتُوحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ »².

وَأَمَّا الْوَجْهَ الثَّانِي؛ فَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: « فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ »³، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى أَيْضًا: « وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ »⁴، وَالشَّاهِدُ: حَذْفُ الْجَرِّ (الْبَاءِ) مِنْ (الزُّبُرِ) وَ(الْكِتَابِ الْمُنِيرِ) الْمَعْطُوفَةُ عَلَى (الْبَيِّنَاتِ) فِي الْأَوَّلَى، وَذَكَرَهُ فِي الْمَعْطُوفِينَ (الزُّبُرِ) وَ(الْكِتَابِ الْمُنِيرِ) فِي الثَّانِيَةِ.

يَرْجِعُ هَذَا الْاِخْتِلَافُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ⁵، الْأَوَّلُ: أَسْبَقِيَّةُ سُورَةِ (فَاطِرٍ) فِي النُّزُولِ كَوْنُهَا سُورَةُ مَكِّيَّةٌ، فَهِيَ مُؤَسَّسَةٌ لِلْمَعْنَى بِخِلَافِ (آلِ عِمْرَانَ)، الثَّانِي: اسْتِجَابَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى الدَّعْوَةِ بِخِلَافِ الْمَكِّيِّينَ، أَمَّا الْأَخِيرُ: الْمَقَامُ فِي مَكَّةَ يَقْتَضِي التَّأَكِيدَ فِي الْمَعَانِي لِرُسُوخِهَا، وَلِتَنَاسِبَ حَالَةُ الْإِنْكَارِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فَكَانَ تَكَرُّرُ حَرْفِ الْجَرِّ (الْبَاءِ) وَحَذْفُ تَكَرُّرِهِ فِي (آلِ عِمْرَانَ) لِلْيُونَةِ الْمَدْنِيِّينَ وَطَاعَتِهِمْ، عَكْسُ الْمَكِّيِّينَ كَوْنَهُمْ أَهْلُ عِنَادٍ وَتَحَدٍّ.

يُدرِجُ السَّامِرَائِيُّ الْآيَةَ فِي سُورَةِ فَاطِرٍ فِي مَقَامِ التَّوَكِيدِ وَمَقَامِ التَّفْصِيلِ، بِخِلَافِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَيَذْكُرُ تَعْلِيْقًا لَطِيفًا « وَجَاءَ بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ فِي (يَكْذِبُوكَ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى

1 - عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص12.

2- المرجع نفسه، ص12.

3- آل عمران / 184.

4- فاطر / 25.

5- ينظر: عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التفسير القرآني، ص:18،19.

الاستمرارية وفيه التصديق والتكذيب مستمران (هو فعل شرط مضارع)؛ أمّا في سورة آل عمران فقد جاء الفعل ماضياً في الآية الأولى - آل عمران - وهذه قاعدة في القرآن إذا كان فعل الشرط مضارعاً دلّ على استمرارية الحدث وإذا كان فعل الشرط ماضياً فهو يدلّ على الحدث مرة واحدة¹. إذن فذكر الباء مع كل معطوف في سورة فاطر وحذف الباء مع المعطوف في سورة آل عمران وكل ما سبق ذكره في سورة فاطر وآل عمران يقتضي ذكر الباء في آية سورة فاطر وحذفها في آية سورة آل عمران².

1-2- حذف كلمة مفردة:

1-2-1- حذف الفعل:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾³، فإذا علمنا أنّ أدوات الشرط تدخل على الأفعال في بعض المواضع ، فأين الفعل في الآية بعد (إن) الشرطية؟

يُفسّر الحذف ها هنا «...لأنّ (إن) من عوامل الفعل لا تدخل على غيره، والمعنى: إن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن، وتبين ما بعثت له فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر ، ثم أبلغه بعد ذلك داره التي يأمن فيها، إن لم يسلم»⁴.

1- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية، ص120.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص121.

3- التوبة/6.

4- الزمخشري، الكشاف، ج2/193.

هذا ويرى ابن الأثير في قوله تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فِإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً...﴾¹. حذف الفعل وتعويضه بمصدره أي حذف (اضربوا)، فصار تقدير المعنى (فاضربوه الرقاب ضرباً)، ويعقب على ذلك بقوله: «وفي هذا معنى التوكيد والمبالغة والاختصار»²، وجاز الأمر كذلك في (فإمّا مَنّا) أي (فإمّا تمنون مَنّا) وكذا في (و إمّا فداء).

1-2-2- حذف الفاعل:

وفي هذا المقام؛ وجدت حذف الفاعل في الرباعي المبني للمجهول والاستعاضة عنه بنائب يقوم مقامه من صميم بحثي، خصوصاً ما تعلق منها بالأفعال الرباعية المبنية للمجهول الواردة في القرآن، وهي تلك المحصورة في (زُلْزِلَتْ، زُلْزِلُوا، كُبِيبُوا، زُحْزِحَ، بُعِثَ)، والتي وردت جميعها على وزن (فُعِلَ) حذف في جميعها الفاعل على دلالة الفاعل المعلوم من ظاهر السياق المجهول، وهو ما نبينه وفق ما تمكنا منه أغراض الحذف على النحو الآتي:

أ- حذف الفاعل للعلم به:

شاع غرض بناء الفعل للمفعول وحذف الفاعل في الخطاب القرآني شيوعاً حتى كادت لا تخلو منه سورة من سور القرآن، وقد أجمع النحاة أن الفاعل المحذوف «معلوم للمخاطب»³. وهو ما فصل فيه الرضي بقوله: «وقد جاء في كلام بعض الأفعال على ما لم يسم فاعله ولم يستعمل منه المبني للفاعل... ولم يذكر فاعلها لأنه من المعلوم في غالب العادة أنه هو الله تعالى فحذف للعلم به»⁴.

1 - محمد/4.

2 - ابن الأثير، المثل السائر، ج2/302.

3- أسرار النحو، ص101.

4- شرح الكافية، ج4/134.

فالفعل (زَلَزَلَ) المبني للمفعول ورد فعلا ماضيا مبنيا بصيغة الفاعل المجهول ظاهرا في ثلاث مواضع من القرآن أحد هذه المواضع جاء الفعل فيه مصدرا بإذا الشرطية الدالة على الظرف ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾¹ فصرفته إذا الشرطية الظرفية إلى المستقبل دون أن يفقد التعبير أثره الذي يوحي به استعمال الماضي بدلا من المستقبل الصريح² وهو إقرار بأن الكون معني بالزلزال الأعظم فما يحتاج إلى فاعل يذكر فتلقائية الحدث أمر قاهر ولا أدل على ذلك تأكيد الجملة بالمصدر المسند إلى الأرض (زلزالها) من قبيل النعت والتعيين.

ب- حذف الفاعل للإيثار والتعدد:

جاء الفعل الماضي (زُلْزِلُوا) مبنيا للمجهول في موضعين حذف فيهما الفاعل وظهر محتجا في البنية العميقة للتركيبة القرآنية والآيات في قوله تعالى: ﴿ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا... ﴾³. وقوله جل شأنه: ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾⁴. فإذا كان المسند إلى الأفعال المبنية للمعلوم معلوما بالضرورة نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ... ﴾⁵ والفاعل هو (ربكم)؛ فإنَّ الفاعل مع الفعل (زُلْزِلُوا) محمول على مجموعة فاعلين ،بالنظر في الشروحات الواردة في الآية عن أعلام التفسير، فهذا البغوي يرى الفاعل هي: الرزايا أو البلايا فيقول: «... (زلزلوا) أي حركوا بأنواع البلايا والرزايا وخوفوا...»⁶ ، في

1- الزلزلة/01.

2- ينظر: عائشة عبد الرحمن، التعبير البياني للقرآن الكريم، ط2، مصر، دار المعارف، 1966، ص75.

3- البقرة/214.

4- الأحزاب/11.

5- غافر/60.

6- ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع 1997، ج1/245.

حين نجد السعدي يحصره في القتل أو النفي أو سلب الأموال: « وزلزلوا بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل والنفي وأخذ الأموال وقتل الأحبة.. »¹.

ومثل صيغة (زُلْزِلُوا) صيغة (كُتِبُوا فيها) حذف الفاعل للعلم به وهو الله القاهر فوق عباده حتى ينصرف البال إلى الحدث ذاته كخبر وعظة ومن ثم تركز العلم بالفاعل على أهل النار، وقد أحسن ابن خالويه (ت370هـ) الوصف النحوي لمثل هذه الجمل حين قال: « فعل ماض لم يسم فاعله والواو ضمير الفاعلين وهو مفعول في الأصل غير أن الفعل إذا لم يذكر فاعله صار المفعول به في موضع الفاعل »². واللآفت في هذا الفعل المسند إلى ضمير الجماعة بيانه أن ردة فعل أهل النار كان لها صدى وثقلا وعسرا دلل عليه حركة الضم على الكاف في الفعل المبني للمجهول ما كان ليظهر بصورته تلك لو بني الفعل للمعلوم.

ج- حذف لغرض التهويل :

جاء في شأن عظم وجسامة يوم القيامة قول الله تعالى: ﴿...إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾³ وقوله جلت قدرته: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾⁴. وهما عبارتان إخباريتان عن صورة من صور فناء الحياة الأولى، وبداية البعث للحياة الآخرة، والمستفاد من الآيتين الكريمتين جملتيهما المبنيتين للمجهول (الفعل المبني للمجهول ونائب الفاعل)؛ أنهما وردتا على معنى وغرض التهويل، وهو تخير إعجازي للفظ من لدن صاحب التنزيل لبيان أن كل ما تحت الأرض مبعوث للوقوف أمام رب العالمين (العاقل والجامد معا).

1- ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2000 ج1/96.

2- ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1985، ص 145.

3- العاديات /09.

4- الانفطار/04.

واللّافت في حديث القرآن عن يوم الحساب ووقائع الآخرة عموماً أنه يتم التعبير عنهما بالمجهول وهي ظاهرة أسلوبية مطردة في القرآن وسمة من سمات سرد الحدث الأخرى. وكما أن الفعل المبني للمجهول (بُعِثِرَ) جرى التعبير عنه بزمن الماضي فإنه يرتبط بالمستقبل من دلالة السياق بداهة وقد فسر الإمام الشوكاني ظاهرة الحديث عن واقعة مستقبلية بصيغة الماضي بقوله: «... وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكأنه قد كان»¹.

ويلاحظ في هذين السياقين مجيء (نائب الفاعل) على صورتين ففي الآية الأولى جاء اسماً موصولاً لغير العاقل بعد الفعل في مقام المفعول (بُعِثِرَ ما) في حين جاء في الآية متصداً للفعل (إذا القبور بُعِثِرَتْ) في محل الابتداء على دلالة المفعول به والذي دلت عليه قرينة ضمير التاء المتصل بالفعل ويستفاد من الصورتين أن (الاسم: ما) ورد للتعميم واحتاج إلى جار ومجرور للتعدية في المقابل جاء الاسم (القبور) دالاً على معنى التخصيص وتعديته تمت بضمير عائِد.

1-2-3- حذف المفعول به:

يعدّ حذف (المفعول به) مجالاً خصباً للتطبيق على الحذف، وهذا ما أُشرت له سابقاً في هذا المبحث، وقد قيل « لعلماء البلاغة بحوث رائعة في حذف المفعول، قلبوا فيه وجوه القول وأولوه عناية خاصة لم يولوها لغيره من المحذوفات، وقعدوا له القواعد وذكروا الأسباب»².

ومن الأغراض البلاغية له « البيان بعد الإبهام، كما في فعل المشيئة والإرادة ونحوهما إذا لم يكن في تعلّقه بمفعوله غرابة»³. ففي قوله تعالى: ﴿...وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى

1- الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: سيد إبراهيم، ط3، دار الحديث، القاهرة، 1997، ص493، 494.

2- إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص 51.

3- المرجع نفسه، ص 52.

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾ دليل على ذلك، وتقديره : أَنَّ الله سبحانه وتعالى لو شاء (جمع الناس) لجمعهم، فدلت (لجمعهم) على المحذوف المقدّر جمع الناس أو نحو ذلك. ويراد أيضا تثبيت قلب النبي وأنه غير مؤاخذ بإعراض قومه، وأمره بالإعراض عنهم.

ويؤكد عبد القاهر هذا الحذف بقوله: « وذلك أَنَّ في البيان إذا ورد بعد الإبهام لطفا لا يكون إذا لم يتقدّم ما يحركه ،وأنت إذا قلت: لو شئت علم السامع أنك قد علّقت هذه المشيئة في المعنى بشيء...»² ، فمشيئة الله تعالى مرتبطة بإرادة محقّقة ومتعلّقة بمحذوف مفعول، ونجد أَنَّ عبد القاهر قد استدلّ بقول الشاعر:

وَلَوْ شِئْتَ أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ³.

وفي هذا البيت لم يحذف المفعول به، لأن بحذفه يصير المعنى غريبا عكس ما جاء في قوله تعالى.

1-2-4- حذف المبتدأ:

يقع الحذف في الجملة الإسمية كثيرا، وقد وضع له أهل الاختصاص قديما محدّدات، ولا يسعني المقام هنا لذكر مواضع حذف أحد الطرفين أو حذفهما، وسأكتفي بذكر حذف المبتدأ تمثيلا لذلك.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا، وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا، رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾⁴، وتقدير الخطاب

1- الأنعام/35.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج1/84.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص 126.

4- المزمل/9-7.

(هو ربّ)؛ لأنّ «الخبر المذكور لا يصحّ إسناده إلّا لضمير لأنه ليس للمشرق والمغرب ربّ سواء وحذف المبتدأ محقّق لتكثير الفائدة»¹.

و لقد تعمّق الزمخشري في تفسيره للآية الكريمة السابقة، فيقول: «قرئ (ربّ) مرفوعاً على المدح، ومجروراً على البذل من (ربّك)، وعن القسم بإضمام حرف القسم، كقولك: (الله لأفعلن) وجوابه: لا إله إلّا هو»²، وعلى هذا التخرّيج يكون الحذف محلّ إشارة تستوقف القارئ والمستمع على حدّ سواء.

2- بين التقديم والتأخير:

يتفق العلماء في مزايا التقديم والتأخير البلاغية والجمالية، وتخضع اللغة حينها لنظام يحدّد الفاعلية من المفعولية، وتكون الحاجة البلاغية هي الداعي لهما؛ لأنّ في التقديم والتأخير غايات بلاغية وجمالية، يتطلّب فهمها وتبينها تأمّلاً وتدبراً، ومعرفة أساليب اللغة.

ذكر عبد القاهر الجرجاني أسباب هذا الخرق وأسراره ولطائفه بالنظر إلى عدم التزام القاعدة أو القانون، وهو المعبر عنه بظاهرة التقديم والتأخير التي نحن بصدد الحديث عنها وخصّها بالذّكر بقوله: «باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف بعيد الغاية»³. يتعلق هذا العنوان (خرق معيارية الترتيب) بظاهرة التقديم والتأخير الذي قال عنه عبد القاهر الجرجاني: «باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف بعيد الغاية...»⁴، وهو ما يسمى في القواعد النحوية بالانحراف الدلالي في تركيب اللفظ على غير ما وضع في كلام العرب

1 - عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص 36.

2 - الزمخشري، الكشاف، ج4/512.

3 - عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص43.

4- المصدر نفسه، ص 43.

لفائدة بلاغية ملفتة تزيد من حسن المعنى وقيمته فيكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذي يؤدي إليه ومترجماً لما يريده المتكلم.

كما ذكر العلماء أسباب التقديم وأسرارها ولطائفه؛ منها ما أشار إليه الجرجاني بقوله: « وقال النحويون: إنّ معنى ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه، ولا يبالون من أوقعه...»¹. هذه السمة البلاغية لها أثر ووقع في غاية الجمال، و« إنّ التقديم والتأخير لغرض بلاغي يكسب الكلام جمالا وتأثيرا؛ لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده، فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساسه ومشاعره»².

وبين التقديم والتأخير، اخترت أن أقدم بعض اللطائف الأسلوبية من ذكر الله العزيز الحكيم، خاصة في مزية التقديم، فهو « سمة أسلوبية لها عظيم الأثر في روعة الأسلوب وإبرازه في صورة حكيمة من الوفاء بالمعاني ومطابقتها لمقتضى الحال: سواء أ كانت هذه الحال ملاحظاً فيها جانب المخاطبين؟ أو جانب المخاطب؟ وهو من أقدر الفنون على كشف خبايا النفس وسبر غورها»³.

2-1- تقديم المعمول على العامل:

ومن هذا الباب تقديم المفعول به على فعله وتقديم الحال على فعله وتقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما وتقديم الخبر على المبتدأ ونحو ذلك. وهذا التقديم في الغالب يفيد الاختصاص.

1- عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص 84.

2- عبد الفتاح لاشين، علم المعاني في ضوء أساليب القرآن، ط2، القاهرة - مصر - ، دار الفكر، 2000 ص158.

3- عبد العظيم إبراهيم، خصائص التعبير القرآني، ص:79.

يقول الله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾¹، فهذه الآيات يستشهد بها في رعاية الفواصل، أمّا الزمخشري فيرى فيها

« تقدم المعمول على العامل لفائدة الاختصاص، والمعنى: نخصّك بالعبادة، ونخصّك بطلب

المعونة»²، وثمّ تقديم العبادة على الاستعانة؛ « لأنّ العبد يستعين الله على العبادة ليعينه عليها»³.

وكأنّ العبادة تستلزم الاستعانة التي هي شرط كل العبادات.

من هذه الأسرار الدلالية للتقديم ما قاله السيوطي في مثال قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁴، بقوله: « ومنه تقديم العبادة على الاستعانة في سورة الفاتحة؛ لأنها سبب

حصول الإعانة»⁵، وهي نفس الآية التي يحتمل فيها تقديم المتأخر أكثر من معنى وأكثر من

تأويل، بتعدد المعاني للتركيب الواحد من هذه التأويلات ما ذكره ابن القيم الجوزية بقوله: « فإنّ

المقصود بتقديم "إياك" تعظيم الله سبحانه وتعالى والاهتمام بذكره مع إفادة اختصاص العبادة

والاستعانة بالله تعالى ليصير الكلام حسنا متناسقا، ولو قال: نعبدك ونستعينك لم يكن الكلام

متناسقا»⁶.

وقد قال الرازي في هذا الشأن: « قدم الله عز وجل علا نفسه على عبادة العابد، لأنّه هو

المقصود بالعبادة لا يشاركه فيها غيره، وليكون على وجل وخوف قبل أن يدخل فيها، وحتى لا

تمتزج العبادة بالغفلة وعدم الخشوع والإخلاص. (الثاني): البدء يذكره يوحى بتقديسه وإجلاله

1- الفاتحة /2-5.

2- الزمخشري، الكشاف، ج1/33.

3- أبو زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تح: محمد علي الصابوني، دط، بيروت- لبنان- دار القرآن الكريم، 1983، ص10.

4- الفاتحة/05.

5- ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ص: 82.

6- المصدر نفسه، ص: 82.

والشعور بعزّته وعظمته والعبادة عمل، فيها ركوع وسجود وقيام وغيرها من الأعمال بالإضافة إلى الأعمال القلبية التي لا يقدر على التوفيق إليها إلا الله، لذا ذكر أولاً، فلما علم العبد أن الله مولاه، ذكره وأحضره في قلبه وقدمه على غيره فبذلك يعينه عليها، ويتقبلها منه؛ ألا ترى أن الإنسان إذا حمل شيئاً ثقيلاً تناول قبل ذلك ما يساعده على هذا العمل الشاق، وأول ما يتناول العبد هنا هو معرفة الربوبية فإذا شاهد جمال الربوبية سهل عليه تحمل ثقل العبودية. (الثالث): ولو قيل: (نعبدك) لا يفهم منه عدم عبادته لغيره، ولأنه يحتمل أن يُعبد ويعبد معه غيره كما هو شأن المشركين فلما قدم رفع هذا الاحتمال. (الرابع): إنك إذا قلت: "نعبدك" فبدأت أولاً بذكر عبادة نفسك ولم تذكر أن تلك العبادة لمن، فيحتمل أنها تكون لغير الله، أمّا إذا غيرت الترتيب كان قولك: (إياك) صريحاً في أن المعبود هو الله، فكان هذا أبلغ في التوحيد وأبعد عن احتمال الشرك»¹.

كما ورد في الآية تقديم آخر هو تقديم جملة (إياك نعبد) على جملة (إياك نستعين). فلما هذا التقديم للعبادة على الاستعانة؟ يقول الكلبي في ذلك: «إياك في الموضعين مفعول بالمفعول الذي بعده وإنما قدم ليفيد الحصر، فإنّ تقديم المعمولات يقتضي الحصر، فاقترضى قول العبد إياك نعبد أن يعبد الله وحده لا شريك له واقتضى قوله: (إياك نستعين)، اعترافاً بالعجز والفقر وأنا لا نستعين إلا بالله وحده»².

وقال أبو زكريا الأنصاري: «فإن قلت فلم قدم العبادة على الاستعانة، مع أن الاستعانة مقدمة؟ لأنّ العبد يستعين الله على العبادة ليعينه عليها»³، ثم أجاب عن سؤاله قائلاً: «قلت الواو

1- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج1/121.

2- الكلبي، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، تح: محمد سالم هاشم، د ط، بيروت - لبنان - دار الكتب العلميّة، 1415/1995، ج33/1.

3- أبو زكريا الأنصاري، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، 1983، ص10.

لا تقتضي الترتيب، أو المراد بالعبادة التوحيد وهو مقدم على الاستعانة وعلى سائر العبادات»¹. وقد تكون الاستعانة مشروطة بالعبادة بمعنى أن المؤمن لا يستحق الاستعانة من الله إلا إذا حقق العبادة فيكون ترتيب الآية على الأصل.

أمّا الدكتور فاضل سامرائي؛ فيربط تقديم المفعول به (إياك) على فعل العبادة وعلى فعل الاستعانة بتغيب فعل الهداية، ويعود سبب ذلك في رأيه بحكم صفتي (العبادة ، الاستعانة) مختصّتان بالله تعالى دون غيره؛ فيبرّر ذلك بقوله: « قدم المفعولين لنعبد ونستعين وهذا التقديم للاختصاص لأنّه سبحانه وتعالى وحده له العبادة؛ لذا لم يقل نعبدك ونستعينك؛ لأنها لا تدلّ على التخصيص بالعبادة لله تعالى ، أما قول (إياك نعبد) فتعني تخصيص العبادة لله تعالى وحده وكذلك في الاستعانة (إياك نستعين) تكون بالله حصراً... فالعبادة هي حق الله والاستعانة هي مطلب من مطالبه وحق الله أولى من مطالبه»².

ثمّ توسّع في تخريجه للبسملة؛ حينما أدرج قيمة تكرار الضمير إياك، وقيمة إطلاق فعل الاستعانة دون تحديد، وكذلك دلالة اقتران العبادة بالاستعانة. وختم تخريجه بذكر القيمة - الدلالية وحتى الإعجازية - حينما يشرح تقديم عن الإنابة عن التّوكل من جهة؛ وتقديم الإيمان عن التّوكل من جهة أخرى.

وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾³، فإنّ الأصل في الكلام (لا تقهر اليتيم، ولا تنهر السائل)؛ أي قدّم (المفعول به) على (الفعل) و(الفاعل)، وفي هذا التقديم ضرورة ملحّة، تتمثل في التركيز على حق (اليتيم والسائل)، والتركيز على أسبقية اليتيم على السائل؛ لأنّ: « اليتيم أضعف من السائل، إذ هو لا يكون يتيماً إلّا دون البلوغ والرشد،

1- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبو زكريا الأنصاري، ص10.

2- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية، ص12.

3- الضحى/10،09.

والسائل قد يكون بالغاً راشداً، فقدّم ما هو مظنة الضعف وموضع الرعاية والعطف على ما هو ليس بهذه الحالة»¹. وقد يكون التقديم من هذا النوع لغرض آخر كالمدح والثناء والتعظيم والتحقير وغير ذلك من الأغراض، إلا أن الأكثر فيه أنه يفيد الاختصاص؛ إذ ليس المقصود به جواز قهر غير اليتيم ونهر غير السائل؛ وإنما هو من باب التوجيه فإن اليتيم ضعيف وكذلك السائل وهما مظنة القهر فقدمهما للاهتمام بشأنهما والتوجيه إلى عدم استضعافهما.

2-2- تقديم المسند إليه:

بلغ القرآن الكريم في هذا الفن الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب. فنرى التعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات. إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجانب بعض دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير. وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك وكذلك.

جاء في محكم تنزيله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾²، فتقديم المسند في هذه الآيات لا يفيد ويؤول الحال إلى تكرار الإسناد، وبالتالي يفسد المعنى، فما الفائدة من تقديم المسند إليه إذا؟ ويجيب عبد الفتاح لاشين بقوله: « يفيد ذلك من تأكيد الإشفاق والإيمان، ونفي الإشراك ما لا يفيدنا قولنا: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْفِقُونَ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَالَّذِينَ لَا يُشْرِكُونَ بِرَبِّهِمْ)، وذلك لتكرار الإسناد في آيات القرآن دون الآخرين»³.

1- عبد العظيم أحمد المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص137.

2- المؤمنون/57-58.

3- عبد الفتاح لاشين، علم المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص164.

وعليه يفسر الأمر في هذه الآيات على أنه خدمة للمعنى المراد، ويصبح النص لحمة متماسكة، وبالتالي كان الغرض من تقديم المسند إليه هو العناية والاهتمام بالمعنى، وربما أعمق من ذلك أي كشف وتفسير دواعي تلك العناية وذلك الاهتمام.

ولعل من أمثلة ذلك قول الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾¹؛ لأن «ضمير الشأن بما فيه الإبهام يشوق السامع إلى البيان الذي يتكفل به المسند، وذلك من دواعي التمكين»². ومعنى هذا : أن تقديم ضمير الشأن يدفع بالسامع إلى انتظار الخبر والتشويق إليه، ومن ثمة تزول الغرابة ، ويتمكن الخبر من ذهن السامع ، وفي قوله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ...﴾³ فقد أجمع البلاغيون على أن في معنى الآية أمراً أدق، وسراً أعظم بالنظر إلى العناية والاهتمام المذكورين آنفاً، وحددوا ذلك من خلال الآية السابقة في المبادرة «إلى إظهار تعظيمه أو تحقيره إذا كان اللفظ مستقراً بهما»⁴.

2-3- خرق معيارية الترتيب:

الملاحظ أن علماءنا اجتهدوا في إيجاد تخريجات دلالية تبين سبب الخرق خدمة للنص، وفي هذه التخريجات تنبيه على أن الدين أداؤه مضمون، لأن الشرع يضمنه لصاحبه، وهي المطالبة به، أما الوصية فصاحبها قد مات وتنفيذها غير مضمون، فقدمت لهذا السبب. وبما أنني تحدثت عن المثير الأسلوبي من العدول والانحراف في الفصل الأول، وعرجت على بعض منه في العدول الصرفي في الفصل الثاني؛ فإنه يجدر بالذكر أن نسمي هذا بالانحراف أو العدول النحوي.

1- الإخلاص/1.

2- عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص83.

3- البقرة/ 255 .

4- عبد العظيم إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ص83.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى

أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾¹، وتقديم الاستغفار على (التوبة) انحراف في القاعدة النحوية، والسياق -سنتناول

جانبا منه في الفصل الأخير- هو الذي يحدّد المقصدية، فما سرّ هذا الانحراف؟

يقول الرازي: « قدم الاستغفار لأنه الداعي إلى التوبة والمحرض كان أولا في الطلب

فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة، وفائدة هذا الترتيب، أن المراد: استغفروا من سالف

الذنوب ثم توبوا في المستأنف أو أن الاستغفار من الشرك والمعاصي والتوبة من الأعمال

الباطلة»². يدل هذا على أن علماءنا الأجلاء تناولوا الدراسة الزمنية لتراكيب العطف ضمن

مطالب السياق بفهم قرائنه المقالية والحالية، حيث إنّ الحرف (ثم) في مثل هذه الآية لا يجب أن

يفهم معناه ويستتبط مباشرة من القاعدة النحوية؛ بل يجب العودة إلى الأسلوب الذي ورد فيه.

وقد استدل الزمخشري في هذه الآية بالدلالة المعجمية للفظ (استغفروا) وهي بمعنى

التوبة بقوله: « فإن قلت ما معنى (ثم) في قوله: (ثم توبوا إليه)؟ قلت: معناه استغفروا

والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها»³. ويكون الزمخشري بهذا التأويل قد وقع

في إشكال لغوي آخر، وهو أنه إذا كان معنى لفظة (استغفروا) (توبوا)؛ فيدخل في باب عطف

الشيء على نفسه، وهذا لا يجوز لغة، وحتى من حيث المعنى: يكون الله قد أمر عباده بالتوبة

دون إخلاص، ثم بعد ذلك أمرهم بالإخلاص في التوبة، والله لا يأمر عباده بما لا يقبله منهم

شرعا»⁴.

1 - هود/03.

2- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج5/36- 37.

3- الزمخشري، الكشاف، ج2/258.

4- ينظر: عرابي أحمد، الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة، ص 214.

يوجّه الزمخشري دلالة معنى الآية بقوله: « فإن قلت ما معنى (ثم) في قوله: ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾؟ قلت : معناه استغفروا، والاستغفار توبة، ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها»¹.
 فمعنى (استغفروا) المعجمي ومعنى حرف العطف (ثم) يحدّدان قيمة تقديم (الاستغفار) عن (التوبة).

والمتملّ لكلام أبي زكريا الأنصاري « (ثم) للترتيب الإخباري لا الوجودي إذا (التوبة) مسابقة على (الاستغفار)، أو المعنى : استغفروا ربكم من الشّرك، ثم توبوا إليه بالطاعة»²، يجد تخريج معنى الآية يتمّ بمعرفة فائدة (ثم) في الإخبار لا في الوجود، والترتيب الجديد من اللّطائف. كما أنّ المفسرين تباينت تأويلاتهم وفق ما يخدم مذهبهم رغم التوافق الحاصل في تفسيراتهم والدرس اللغوي ، ولعلّ غرض كلّ مفسّر أوقع الزمخشري في إشكال لغوي³.

2-4- أشكال أخرى للتقديم:

2-4-1- تقديم الفاضل على الأفضل:

قد يكون التقديم بحسب الفضل والشرف منه وجعلوا من ذلك تقديم السمع على البصر ويرى أحمد مختار عمر في قوله تعالى: ﴿... وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾⁴ روعة في اللّطافة والبيان؛ ذلك أنّ «أهمية السمع في اكتساب المسموعات بالنسبة للبصر في اكتساب المبصرات، فأنت يمكنك أن تسمع في النور والظلام، ولا يمكنك التحكم في حاسة السمع، كما من يولد أصمّ يفقد قدرة أخرى وهي قدرة الكلام بخلاف فاقد البصر، وقد كان السمع قبل معرفة الكتابة هو

1- الزمخشري، الكشف، ج2/258.

2- أبو زكريا الأنصاري، فتح الرحمن يكشف ما يلتبس في القرآن، ص257.

3- ينظر: أحمد عرابي، الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني، ص214.

4- الحج/61.

الوسيلة الوحيدة للتفاهم اللغوي بين بني البشر»¹. فقدّم الصم وهم فاقدو السمع على العميان، وهم فاقدو البصر. فقدم السمع على البصر وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾². قالوا: لأنّ السمع أفضل.

والظاهر أن السمع بالنسبة إلى تلقي الرسالة أفضل من البصر ففاقد البصر يستطيع أن يفهم ويعي مقاصد الرسالة فإن مهمة الرسل التبليغ عن الله. والأعمى يمكن تبليغه بها وتيسير استيعابه لها كالبصير غير أن فاقد السمع لا يمكن تبليغه بسهولة فالأصم أنأى عن الفهم من الأعمى ولذا كان العميان علماء كبار بخلاف الصم. فلكون متعلق ذلك التبليغ كان تقديم السمع أولى³.

لطالما كان الاهتمام بالأمر الأهم في نظرنا أجدر من الأمر المهم، ونحيطه برعاية خاصة في مقابل غيره، ولكن نجد في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ، وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾⁴ تقديم لحاسة السمع على حاسة البصر، ويفسر ذلك بتغيب العقل في فقدان السمع، عكس ذهاب البصر فإنه لا خوف على العقل، والآية الكريمة ترشد إلى ارتباط الصمم بالعقل.

1- أحمد مختار عمر، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ط1، القاهرة - مصر - عالم الكتب، 2001، ص85.

2- الفرقان/73.

3- فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية، ص180.

4- يونس/42، 43.

2-4-2- تقديم الأبلغ على البليغ:

جاء في كتابه العزيز: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾¹، وقوله أيضا: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾²، ولدلالة هذا التقديم تفسير أساسه أن صفة (الرحمن) خاصة بالله دون غيره، فهذا الزمخشري يقول: «في (الرحمن) من المبالغة ما ليس في (الرحيم)، ولذلك قالوا: (رحمن الدنيا والآخرة)، و(رحيم الدنيا)، ويقولون عن الزيادة في البناء لزيادة في المعنى»³، وما يبرّر هذا الشكل من التقديم في الآية نفسها، هو أن ننسب (رحيم) للبشر، أمّا صفة (الرحمن) فلا تكون إلا لذاته المقدّسة عزّو جلّ وقد كان للنظم نصيب من هذا التخيّج، لأنّ إرداف (رحيم) تنمّة، وتناول لما دقّ لطف بحسب قول الزمخشري الآنف.

وأما (فَعِيل)، فهو كذلك من أبنية الصفة المشبّهة التي تفيد الدوام والثبوت في الموصوف، قال أحمد ابن فارس (ت 395 هـ): «وتكون الصفات اللازمة للنفس على (فَعِيل)، نحو: شريف، وخفيف. وعلى أضدادها، نحو: وضعيف، وكبير، وصغير»⁴.

ذكر أبو السعود أنّ (الرحمن الرحيم) «صفتان مبنيتان من (رَحِم) بعد جعله لازماً بمنزلة الغرائز بنقله إلى (رحم) بالضم... والأوّل من الصفات الغالبة، حيث لم يُطلق على غيره تعالى، وإنّما امتنع صرفه إلحاقاً له بالأغلب في بابه... وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم؛ ولذلك قيل: يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا»⁵.

1- الفاتحة/2،3.

2- النمل/30.

3- الكشف، الزمخشري، ج1/45.

4- ابن فارس أبو الحسن أحمد: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط1، بيروت، مكتبة المعارف، 1993، ص171.

5- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1/11.

فكأنّه أراد أنّ صيغتي (فعْلان) و(فعِيل) تدلان على الصفات الغريزيّة الطبيعيّة الملازمة للموصوف، هذا إذا كان الموصوف بهما من المخلوقات. أمّا ما وصف به الخالق من صفتي (الرحمن) و(الرحيم) ، فهما من صفاته سبحانه وأسمائه الحسنی ، دالتان على الدوام والثبوت لأنّ « أسماء الله تعالى ، تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعالات»¹.

يتساءل فاضل السامرائي بهذا الخصوص: فلماذا إذاً قدم سبحانه الرحمن على الرحيم ؟ يقول عن ذلك: « قدم صيغة الرحمن والتي هي الصفة المتجددة وفيها الامتلاء بالرحمة لأبعد حدودها لأن الإنسان في طبيعته عجل وكثيراً ما يؤثر الإنسان الشيء الآتي السريع وان قل على الشيء الذي سيأتي لاحقاً وإن كثر ... ووقع كلمة (الرحيم) بعد كلمة الرب يدلنا على أن الرحمة هي من صفات الله تعالى العليا...»². إذا فصيغة (فعيل) تدلّ على الثبوت كقولنا ملك، كريم، حسيب...الخ. وتلازم هاتين الصّفتين - بهذا التّرتيب - حجة على تفرد الخالق وتنزّهه، بالمقابل فإنّ صفات العباد غير ثابتة وأغلبها يرتبط بمزاجهم، فلو نقول عن أحد جريء؛ يتغيّر طبعه أحياناً فلا يكون كذلك. وبالتالي فصفات المولى عزّ وجلّ ثابتة، عكس صفات العباد غير الثّابتة عليهم والقابلة لأن يتخلّى عنها صاحبها يوماً ما.

1- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1/11 .

2- صالح فاضل سامرائي، لمسات بيانيّة، ص91.

خلاصة:

يعدّ النحو العربي علماً من علوم العربية الوثيقة الصلة بالنص القرآني؛ لكونه الأساس الذي تُقاس عليه التحوّلات اللغوية الإعجازية لتراكيب القرآن الكريم وأساليبه، ولذلك كان الأساس الذي انطلق منه علماء العربية الأوائل، ولاسيما المفسرون الذين كان النحو، ومباحث اللغة الأخرى منطلقهم فيما يسمى بـ(التفسير اللغوي للقرآن الكريم)، كما هو الحال لدى الفراء والنحاس وغيرهما، ممن ارتكز اتجاههم في التفسير على علوم اللغة، آخذين بنظر الاعتبار أن النص القرآني معجز في استعماله الخاص للغة.

ومعلوم أنّ علم النحو يهتمّ بجانبين اثنين هما: جانب تركيب الجملة العربية، وجانب الإعراب، ومعرفة هذين الجانبين تفضي إلى المعرفة بالدلالة النحوية؛ إذ إنّ هندسة الجملة العربية تفرض ترتيباً خاصاً وفق قواعد اللغة المعمول بها، وإذا اختلّت هذه الهندسة؛ فإن السامع قد يضلّ عن مقاصد الكلام. ويستلزم الأمر معرفة القواعد التي تقوم على الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى.

بنية اللغة تحتاج إلى وظائف معينة تسمى: (الوظيفة النحوية) وهي التي تحتلّ الكلمات فيها مواقع معينة (رتب) وتشير إليها علامات معينة؛ نسميها علامات الإعراب؛ والتي تدلّ على نوع العلاقة الوظيفية والدلالية التي تربط بين الكلمات أو المفردات داخل التركيب. والوظائف هي علاقات دلالية تربط الكلمات بعضها ببعض، وتزيد هذه العلاقات الدلالية تحديداً بالعلامات

الإعرابية التي هي: إمّا قرائن¹ لفظية (العلامات الإعرابية، وحروف العطف، والصيغة؛ أي ما يقدّمه علم الصرف للنحو، والتضام؛ أي أن يستلزم أحد العنصرين النحويين عنصراً آخر وكذلك الأداة التي تؤدي وظائف خاصة في التركيب النحوي، وقد تنبّه علماء لأثرها في فهم النصوص الدينية. وإمّا قرائن معنوية (الإسناد؛ أي العلاقة الرابطة بين طرفي الإسناد كالعلاقة بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل. والتخصيص الذي يضمّ مجموعة من المعاني، مثل: التعديّة، والسببيّة، والظرفيّة... إلخ).

ويظهر المثير الأسلوبي جلياً في علاقته بالدلالة النحويّة بشكل خاصّ من خلال دقّة النظم، الذي أخذ مفهومه الاصطلاحي مع ظهور نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني(ت471هـ). كما أنّ شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) استخدم كلمة نظم في تفسيره، وذلك في قوله: « ومن أشرف تلك المعاني التي فضّل بها كتابنا سائر الكتب قبله، نظمُ العجيبُ ورصْفُه الغريبُ وتألّفُه البديعُ؛ الذي عجزتْ عن نظم مثّل أصغر سورة منه الخطباء وكلّت عن وصّف شكل بعضه البلغاء، وتحيرت في تأليفه الشعراء، وتبلّدت لديه أفهامُ الفُهماء. فلم يجدوا له إلا التسليم والإقرار بأنه من عند الواحد القهار. مع ما يحوي، مع ذلك، من المعاني التي هي ترغيب وترهيب، وأمرٌ وزجرٌ، وقصصٌ وجدلٌ ومثّل، وما أشبه ذلك من المعاني التي لم تجتمع في كتاب أنزل إلى الأرض من السماء»². ليدل بها على طريقة القرآن في التأليف العجيب المرتبط في أساسه بالتركيب والترتيب.

1- القرائن مفردتها القرينة، القرينة هي: ما يوضّح المراد بالوضع، بل تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود. أو هي: «الأمر الدال على الشيء من غير استعمال فيه، وقيل هي أمر يشير إلى المطلوب»، التعريفات، ص152.

2- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، ط1، بيروت -لبنان- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2000 ، ج1/199.

والزمخشري من المفسرين الذين استعملوا كلمة نظم بكثرة في تحليل الفروق الدقيقة بين الأساليب المضمنة في التراكيب اللغوية للأسلوب القرآني، وقد وظفها بكثرة في كشفه، مما يدل على مدى تأثره بنظرية النظم؛ فقد جعل النظم فناً، مقترنا بالبلاغة يجب على المفسر أن يجيده: «ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز، أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القادح، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل»¹.

إنّ هذا الفن يحصل للمفسر بتعاهد أوضاع اللغة، بمعنى دراسة التراكيب اللغوية وما تحتويه من فروق في المعاني، وملائمتها للسياقات المختلفة. ولأنّ النظم القرآني هو الذي وقع به التحدي فوجب على المفسر مراعاته ومنحه كلّ جهده. فالنظم مكوّن أساسي للسورة القرآنية، وهو التركيب الخاص بها، والترتيب المميز لها، كما يخرج المثير الأسلوبي من اقترانه بالنظم، ومن ثمة التقارب من حيث المدلول إلى درجة التطابق، فالإعجاز عنده لا يقع في النظم القرآني منفرداً، بل مقترنا بالأسلوب القرآني.

ومن هذا يمكن أن نستنتج أن مفهوم الأسلوب عند الزمخشري ارتبط في أساسه بمفهوم النظم لكن يختلف عنه في الدلالة على الظواهر الأسلوبية - ومنها المثير الأسلوبي - الخاصة التي يتميز بها التركيب القرآني. فالتراكيب تدخل في التأليف باعتبارها الأجزاء الصغيرة التي يجمعها نظام مخصوص أُطلق عليه مفهوم النظم، فالمثير الأسلوبي على ما يبدو هو الجزء من النظم. ولم يبق مفهوم النظم على الصفة التي حدّدها عبد القاهر الجرجاني، بل وجد المفسرون في هذا التحديد قابلية للتوسّع، فجعلوا النظم - بما فيه من حذف وتقديم وظواهر أخرى - يرتبط

1- الزمخشري، الكشف، ج1/68، وج3/395.

بمستويين: الأول التراكيب اللغوية (الأسلوب)، وربطوه بخصائص التعبير والمعاني الثانية التي يحملها، والمستوى الثاني: الترتيب النظمي (النظم)، وربطوه بالتأليف والتنظيم الذي يتحكم في السور والآيات القرآنية. وذلك جوهر الدلالة النحويّة في علاقتها بالمتنير الأسلوبي.

الفصل الرَّابِع

دور السّیاق في إظهار دلالة المثير الأسلوبی.

توطئة:

نال السياق مرتبة مهمة في دراسة النص، فكان بحق يفسر الكثير مما يصاحب الخطاب والإبلاغ لأداء اللغة في النص، وليس للكلمة أي معنى خارج السياق على حدّ تعبير ستيفن أولمان (Stephen Ullmann) (1976/1914)، وهذا الكلام لا يجري بالطبع مع النصّ القرآني. وسيق الكلام فيه يختلف باختلاف الكلام فتختلف الألفاظ والجمل رأساً تبعاً لذلك فما يصلح في سياقات ويؤدي فيه نفس المعنى لا يصلح في غيره؛ إذ توجه دلالة اللفظ اعتماداً على فهم الدلالة المعجمية ومراعاتها موقعياً داخل السلسلة الكلامية.

ولعلّ اهتمام أهل الدلالة والأسلوبية بالسياق انتضح من خلال علاقته بالأسلوب، وما يقتضيه هذا السياق مقامياً وحالياً، وحرى بنا أن نذكر ما قاله جون لاينز (John Lyons): « لا نبحث عن معنى الكلمة المعنية وإنما نبحث عن استعمالها»¹.

وأخذ مجرى السياق مسلماً تطبيقاً صرفاً، نظراً لتعدد السياقات المحيطة بالتركيب اللغوي والمواكبة لما يتطلبه الحال والمقام، فكانت النظرية السياقية بمثابة حجر الأساس في المعنى، وخضع التركيب إلى ترتيب الحقائق في سياقات، لكل واحد وظيفة معينة محتواه في سياق أكبر وفي تشابك كل السياقات الأخرى².

1- جون لاينز، علم الدلالة، تر: مجيد عبدا لحليم الماشطة وحليم حسين وكاظم حسين باقر، ط1، جامعة البصرة- العراق - 1980م، ص23.

2- ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، د ط، القاهرة- مصر- مكتبة الشباب، 1975، ص66-67.

والجدير بالذكر هو أنّ دلالة السياق بشكل عام هي في رحاب سياق أعمّ، وقد حاولت كشف علاقته بالنص عموماً والنص القرآني خاصة، وقابلت بين الدراسة الحديثة للسياق من خلال النظرية السياقية في مقابل جهود العرب القدماء في دراستهم للسياق.

وفي مبحث آخر وجدت لدور السياق في المعنى ما يحقّق لبحتي كشفاً لحقيقة المثير الأسلوبية؛ لأنّ هذا الأخير يظهر بعد أن يتمظهر السياق من خلال تشكيلات بلاغية ونحوية، فزيادة على أسرار الحذف مثلاً في الفصل السابق ، أقول يقوم السياق في الحذف بتعريفه ملابساته التي ترفع اللبس عن المعنى وتجليه.

هذا والحديث عن السياق يفرز جانباً تطبيقياً مهماً لمن أراد أن يفتح النص على الدلالات والتأويلات، ولعلّ هذا ما انتبه إليه العرب قديماً، فأخذوا على عاتقهم السياق محمل الجدّ حتى يخدموا مذاهبهم ويحققوا أغراضهم. وقد لا يكفي السياق في تحديد الدلالة ما لم نأخذ بعين الاعتبار « قصد المتكلم/صاحب النص»¹.

كما أنّ للسياق أهمية كبيرة في تحديد معنى الكلمة، فالكلمة المفردة لها أكثر من معنى، والسياق يحدد هذا المعنى فهو يعطي الكلمة ويحدد دلالتها². ذكر ستيفن أولمان: « إنّ قدرة الكلمة على التعبير عن مدلولات متعددة إنما هي خاصة من الخواص الأساسية للكلام الانساني. وإن نظرة واحدة في رأي معجم من معجمات اللغة لتعطينا فكرة عن كثرة ورود هذه الظاهرة . وقد تعيش

1- قادة عقاق، في السيميائيات العربية، قراءة في المنجز التراثي، سيدي بلعباس- الجزائر- مكتبة الرشاد للطباعة، 2004، ص: 74، 75.

2- ينظر: فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط2، القاهرة -مصر- شركة العاتك لصناعة الكتاب، 1427/ 2006، ص122، وتَمَام حَسَّان، اللغة معناها ومبناها، ص323، وستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص50-52.

المدلولات القديمة جنباً إلى جنب مع المدلولات الجديدة، وهي ظاهرة ينفرد بها المعنى، ولا يشاركه فيها الأصوات أو القواعد النحوية والصرفية»¹.

فالسّياق هو الذي يحدّد إن كانت الكلمة مستعملة الاستعمال الحقيقي، أو المجازي، ويحدّد إن كانت الكلمة من الألفاظ المشتركة، أو الألفاظ المترادفة، ويحدّد زمان اللفظة ومكانها. فلكل زمان دلالات ألفاظ مختلفة، ولكلّ مكان دلالات ألفاظ، فاستعمالها من خلال السّياق يبين لنا عصرها ومكانها. وكذلك يحدّد لنا صيغة الكلمة، فالكلمة المجردة يمكن أن تكون بصيغة المفرد، أو الجمع؛ لكن السّياق هو الذي يعطيها الدلالة النهائية.

إنّ الله سبحانه وتعالى لم ينظم كلماته في كتابه العزيز اعتباطاً؛ إنّما نظمها كما ينظم الناظم اللؤلؤ المنثور. فالله تعالى قد نظم الكلمات احسن النظم من خلال تناسق الكلمة مع ما قبلها وما بعدها وتناسقها في سمات الآية، أو السورة. وهذا جزء من التحدي الإلهي للعرب. يقول الجرجاني: « ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق؛ بل ان تناسقت دلالتها، وتلاقى معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»².

إنّ للمعاني، وخاصة الكلمات القرآنية، أثراً كبيراً على النفس الإنسانية. فمن خلالها يشعر الإنسان بعظمة خالقه في اختيار الفاظه، ونظمها أحسن النظم. فالعلاقة بين المعنى واللفظ كعلاقة الجسد بالروح. فكل لفظة لا معنى لها مثل الجسد فاقد الروح. أمّا بخصوص علاقة التركيب بالمعنى؛ فإنّ عملية كشف المعاني تتعسّر، عندئذ يُحتكَم للسّياق وعليه؛ سأدرس موضّحاً أثر السّياق في التراكيب وبعض الألفاظ وكيف أدّى إلى تغيير المعنى الحقيقي وتعدد وجوهه.

1- ستيفن اولمان، دور الكلمة في اللغة، ص115.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل عجاز، ص93.

المبحث الأول

دلالة السياق

1- العلاقة بين النص والسياق.

2- السياق والنص القرآني.

1-2- العلاقة بين نص السورة وسياقها.

2-2- تمظهر السياق.

3- النظرية السياقية.

1-3- السياق والمعنى.

2-3- علاقة القارئ بالنص.

3-3- السياق في منظور الأسلوبية.

3-4- عنوان النص في ضوء السياق.

1- العلاقة بين النص والسياق:

لا يلبث الدارسون أن يفرغوا من دراساتهم الدلالية، كدراسة علاقة المثير الأسلوبي بمستويات الدلالة- الفصل الثاني- مثلاً؛ حتى يطرقوا مجالاً مهماً من مجالات دراسة المعنى، ألا وهو (السياق) بصفته يحيط بالنص من كل جوانبه، ويتعداه بكشف أسرارهِ، ويستعين في ذلك بمختلف القرائن والإشارات والإيماءات... وغيرها.

وباعتبار أنّ علم الدلالة لا يقف فقط عند معاني الكلمات المفردة، وإنما يتجاوز ذلك إلى معنى الجملة، ومن ثمّ فهم النص؛ حيث أصبح (النص) يشكل مفهوماً مركزياً في الدراسات اللسانية المعاصرة، لهذا فقد ارتأينا أن نخرج على مفهوم النص في التراث العربي الإسلامي بما يتناسب مع النص القرآني، ذلك أن الدراسات اللسانية النصية قد تجاوزت حدود البنية اللغوية الصغرى أو (الجملة) إلى بنية لغوية أكبر منها في التحليل هي (النص).

إن الباحث في المقررات اللسانية الغربية عن مفهوم النص، يجد نفسه أمام كم كبير وكثير من التعريفات، وكل تعريف منها يعكس وجهة نظر خاصة بخلفيات فكرية معينة، وتراكمات معرفية مخصوصة، ومن ثم سيقع على تباين واختلاف واضح في حد المصطلح. فجوليا كريستيفا (Julia Kristeva) مثلاً تذهب « إلى أن النص جهاز عبر لسانی يعيد توزيع نظام اللسان بالربط بين كلام تواصل يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه، فالنص إذن إنتاجية...»¹.

أمّا النص عند رولان بارث (Roland barthes) (1980/1915) فهو: «نسيج كلمات منسقة في تأليف معين، بحيث يفرض شكلاً وحيداً وثابتاً قدر المستطاع، والنص من حيث هو نسيج فهو

1- ينظر: عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 2000م، ص60.

مرتبط بالكتابة؛ لأنه رسم بالحروف، فالكتابة هي السمة الأساسية للنص عند بارث، وهي تكسبه الاستمرارية... لأنه نسيج كلمات منسقة»¹.

حاز مفهوم النص في التراث العربي الإسلامي قدرا بالغ الأهمية، فقد كان لمصطلح (النص) عندهم مفهوم آخر فهذا الأصمعي (164-248هـ) يروي قولهم: «نصت ناقتي، والنص السير الشديد حتى يستخرج أقصى ما عندها. قال: ولهذا قيل: نصت الشيء رفعته ومنه منصة العروس. ونصت الحديث إلى فلان أي رفعته إليه.. ونص كل شيء منتهاه. وفي حديث علي- رضي الله عنه- إذا بلغ النساء نص الحقائق يعني منتهى بلوغ العقل»². ولا شك أن الدلالة اللغوية تمثل هنا نقطة البداية في تحديد مفهوم النص في تراثنا، حيث الصلة بين الدالتين (اللغوية والاصطلاحية) لها معناها.

جاء في اللسان عن الدلالة اللغوية لكلمة (النص) ما يلي: «النص رفعك الشيء، وكل ما رفع فقد ظهر، وكل ما أظهر فقد نص»³. وهكذا يكون (الرفع) هو المعنى المركزي لكلمة (نص). أمّا عن الدلالة الاصطلاحية؛ فإنّ المتنبع للكلمة في التراث العربي الإسلامي، يجدها مستعملة بالمعنى المعاصر، أو بما يقاربه، نجد ذلك عند الشافعي في كتابه الرسالة، إذ يستخدم كلمة (نص) ليعبر بها عن نسيج من العلاقات اللغوية المركبة التي تتجاوز حدود اللفظ المفرد والجملة.

فالشافعي يكثر من تعبير (نص كتاب) في سياق بيان علاقة السنة بالكتاب⁴، واستعمل اسم المفعول منه (منصوص)، وهو يعني به: الكلام من القرآن والسنة، أو لفظ القرآن والسنة. واستعمل

1- عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص 57.

2- الجوهري، معجم الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1984، ج3/1058.

3- ابن منظور، مادة (نص)، ج7/97.

4- ينظر: الشافعي، الرسالة، شرح ونح: أحمد شاكر، بيروت، دار الكتب العلمية، ص88 وما بعدها.

لفظ (نص) أيضا تعبير على الدلالة القطعية، بأنه « هو المستغني بالتزويل عن التأويل»¹. وهذا ما يؤكدّه الشريف الجرجاني (ت816هـ) في تعريفاته أن: « النص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى المتكلم...وما لا يحتمل إلا معنى واحدا، وقيل: ما لا يحتمل التأويل»²، أي ذلك النص الواضح الظاهر الذي الغني عن كل تأويل.

وقد تطور مفهوم النص في تصور كثير من المعاصرين، فهو «حدث كلامي ذو وظائف متعددة»³. كما أن « النص شكل لساني للتفاعل الاجتماعي، تبعا للمقام الذي أتيح فيه وللعلاقات الاجتماعية واللسانية والثقافية والمعرفية»⁴. وبالتالي أصبح (النص)، يتجاوز الكينونة اللغوية المحدودة، ولا ينظر في مقولات اللغة على الرغم من أنه متشكل منها؛ بل يراعي الواقع الخارجي، ومن ثم فإن النص هو المعادل اللغوي للواقع الإنساني⁵.

إنّ المراد بمصطلح (النص) في المعرفة اللسانية المعاصرة غير المراد به في التراث العربي الإسلامي. فمن التعريفات الجامعة عند المعاصرين: « بأنّه مجموعة من الأحداث الكلامية ذات معنى وغرض تواصلية، تبدأ وجودها من مرسل للحدث اللغوي، وتنتهي بمتلق له، ومؤهلة لأن تكون خطابا؛ أي أن توجهه إلى شخص بعينه، ومن ثم فهم يشترطون وحدة موضوع النص، ووحدة مقصده»⁶. فالنص في هذا المستوى، بنية قصدية يبيثها المتكلم على هيئة نظام رمزي ينطوي على قدر معين من التداخل والغموض اللذين يتيحهما مستوى الإسناد، والكثافة المجازية، والإحالة على

1- الشافعي، الرسالة، ص14.

2- الشريف الجرجاني، التعريفات، ص215.

3- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ط3، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1992م، ص119-120.

4- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1984م، ص18.

5- مسعود صحرأوي، المنهج السياقي ودوره في فهم النص، (مقال)، موقع الشهاب، ص2.

6- سعيد البحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط1، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، 1997، ص109.

البنى اللغوية، وقد أدرج علماؤنا القدامى - ضمن مفاهيم النص - مفهوم (القصد): وهو الغرض الذي يبغيه المتكلم من الخطاب و(الفائدة) التي يرجو إبلاغها للمخاطب¹.

إنّ اللفظة في بنية الكلام لا تكون لفظة مطلقة؛ إذ أنها لا تدل على معناها الإفرادي، بل على ما عناه المتكلم أو قصده بهذا المعنى، فمن البديهي - كما يقول عبد القاهر الجرجاني - أنّ الناس «إنّما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده»²، ومعنى ذلك أن الكلمة يتحدد مسارها الدلالي بقصد المتكلم، ويتعين لها من الصفات ما كانت تحتّمه قبل الاستعمال. فالتركيز على قصد المتكلم في ميدان الدلالة، أمر واجب على كل مفسّر (قارئ) متوجه إلى فهم النص، «وبالجملة فأهل العربية يشترطون القصد في الدلالة، فما يفهم من غير قصد المتكلم لا يكون مدلولاً للفظ عندهم، في فهم المقصود لا في فهم المعنى مطلقاً»³.

ويبقى هذا الفهم الابتدائي وجهاً يصلح معه تعريف النص في حده الأدنى. فماهية النص اليوم، وفي إطار فلسفة القراءة المعاصرة ما عادت تجتمع على مفهوم خاص، بل صار بعضهم ينجح إلى أفق القارئ وخاصة مع تقدم الدراسات العلمية المتخصصة، ذات التوجه الألسني كالبنويّة والسيميائية التي ترى النص (منظومة من العلامات اللغوية) لا صلة لها بصاحبه، ولا أثر لعوامل المحيط الخارجية. بل هو - في نظرهم - عالم مستقل يدرس لذاته ولأجل ذاته. وفي ضوء فك رموزه، وفهم العلاقات الجامعة بين مستوياته اللسانية تتحدد قيمته، ويتأكد وجوده بجهد الكاتب المني الذي تماهى كيانه في العمل المبدع.

1- مسعود صحراوي، المنهج السياقي ودوره في فهم النص، (مقال)، موقع شهاب، ص3.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص408.

3- التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، القاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة، ج2/291.

والحقيقة إن أصحاب هذا المنزع «قد بالغوا في دور القارئ والمفسر إلى حد إهدار كينونة النص والتضحية بها لحساب فعالية التأويل. من هنا كان السؤال عن كينونة النص في الدراسات النقدية المعاصرة سؤالاً هاماً ومشروعاً»¹. وإنّ مثل هذا التّوجه المفروض سيخلّ حتماً بقواعد التوازن القائمة في منظومة الفعل التواصل، ولربما يفتعل أزمة التعايش مع النص انطلاقاً من صاحبه المغيب، وانتهاء بالمخاطب الذي يكون دائماً المؤول، والموجه وفق قناعة خاصة ليست بالضرورة في مقدورها الكشف عن مقصدية المبدع الأصيل.

وفي حقل الدراسات اللغوية ندرك أنّ لكلّ نص لغوي غرضاً عاماً يسعى المنشئ إلى تحقيقه سواء كان هذا الغرض نفعياً؛ أم كان جمالياً بحثاً. وظاهرة العدول - انظر المطلب الخامس من المبحث الثاني في الفصل الأوّل - على سبيل المثال واحدة من ظواهر فنية عديدة يوظّفها المنشئ في سبيل خدمة هذا الغرض؛ أي إنّ كلّ ظاهرة أسلوبية في بنية النص اللغوي تسهم بدور إيجابي فاعل في تحقيق الغرض العام للنص اللغوي. فتكون إحدى الوظائف الجمالية الأساسية.

ولصاحب النص القرآني (الله تعالى) مقاصد واضحة قائمة تليق بمنزلته سبحانه وتعالى في الكون، وفي مجموع القيم الدينية الموجهة لسلوك الإنسان. والقارئ يسعى دائماً لفهم هذه المقاصد ومحاولة تحقيقها، ولكن الفهم الذي يعنيه الله تعالى ويرتضيه.

وأهل الدلالة يجعلون من السياق أساساً في المعنى، ومن ذلك ضرورة البحث عن الدلالة المفردة داخل السياق، فالجرجاني يقرّر أنّ «الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى

1- نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ط3، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1996، ص25.

اللفظة لمعنى يليها»¹، وهذا الكلام يعني مراعاة تركيب الألفاظ، وما يؤثر فيه من الموقف الخارجي، فحتى الإشارة لها قيمتها «ربّ إشارة أبلغ من عبارة»².

يتصدّر الاحتكام للسياق قمة تخريج المعاني، فقد ثبت «أنّ اهتمام العرب بالسياق ودوره في البحث الدلالي جليّ واضح، ومن ذلك تصنيف الألفاظ في زمر ومجموعات على أساس سياقي كالمترادفات، والأضداد، والمشارك اللفظي، ومنه بناء المعجم العربي على أساس السياق التفسيري، وكان معيارهم في التدقيق بين الدلالات هو الاحتكام للسياق الذي يتمثل في الاستعمال المألوف والشاهد المعروف من شعر أو مثل أو حديث أو آية»³.

يومئ ابن قتيبة إلى أنّ المتحدث الخطيب يجب عليه «أن يختصر تارة إرادة التخفيف، ويطيل تارة إرادة الإنهام، ويكرّر تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين، ويشير إلى شيء ويكنّي عنه، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال وكثرة الحشد وجلالة المقام»⁴.

والملاحظ من القول السابق في آخر عبارة منه هو أنّها تحدّد مكونات السياق، وتجلي ما يرنو إليه السياق في الوقت ذاته لإظهار المعنى وفهم النص، ومن أمثلة ذلك القرآن الكريم، ما جاء عن معاني كلمة (سبيل) التي يجليها السياق بصرف النظر عن معناها اللغوي الذي ينحصر في (الطريق): فهي «ترد بمعنى:

– السُّنة والطريق كقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي...﴾، يوسف 108.

– السَّبب أو الوصلة كقوله تعالى: ﴿... يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، الفرقان 27.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج1/55.

2- ابن جنّي، الخصائص، ج1/247.

3- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ط1، اردب- الأردن- عالم الكتب الحديث، 1429هـ/2008م، ص57.

4- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص13.

- العذر والعلّة كقوله تعالى: ﴿... فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا...﴾، النساء 34.

- الإثم والمعصية، كقوله تعالى: ﴿... مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ...﴾، التوبة 91¹.

وترد كذلك بمعان أخرى مثل : الضيف المنقطع أو المسافر البعيد، والحجّة، والملامة، والمخرج وغير ذلك².

تقول الدكتورة خلود العموش - اقتباساً من كلام الإمام السكاكي - بخصوص أثر السياق والمقام في قضية (الزيادة) ما محتواه «... فالزيادة لها مقامات تستمد قوامها من مناسباتها، بحيث تصادف موقعها المحمود فزيادة (لك) في قول الخضر لموسى عليه السلام في الكرة الثانية ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، الكهف 75، لاقتضاء المقام مزيد تقرير لما كان قد قُدّم له ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، الكهف 67، وكذلك قول موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ طه 25، بزيادة (لي) لاكتساء الكلام معها من تأكيد الطلب لانشراح الصدر ما لا يكون بدونه»³.

إذا ففي الزيادة السابقة في الآيتين زيادة في (التقرير وتأكيد الطلب)، وذلك لحاجة الحدث الكلامي في علاقته بالمؤثر الخارجي للزيادة، وتبدو الآيتان مفهومتين لو جاءتا بغير زيادة، وتبرّر خلود العموش مقصد السكاكي بقولها: «أنّ كلّ تغيير في العالم الخارجي يجد صداه في الحدث الكلامي المتصل به»⁴.

ويرى الدكتور أحمد عرابي في موضوع (السياقات القرآنية وعلم الكلام)، أنّ المتكلمين لا يجدون حرجاً في الجمع بين الأقيسة العقلية والتأويل مالم تخالف نصوصه وأصوله، ولذلك استعانوا

1- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص195.

2- المرجع نفسه، ص195.

3- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص58، 59.

4- المرجع السابق، ص59.

بالقرائن اللفظية أو معنوية في تأويل النصوص، ويضرب مثلاً من كتاب الله العزيز لتوضيح مسألة يثيرها القرآن حول رؤية المؤمنين لربهم أم لا، من خلال قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾¹. وخلص إلى توظيف كل فريق لأدلة سياقية في تأويلهم تقوم على قرائن².

والقصد من هذا الشاهد هو إجراء تطبيقي، يظهر الاختلاف في التأويل عن المتكلمين - من خلال السياق - كمثير للمتلقي الذي يقف متأملاً قيمة كل تخريج لإحدى المعاني التي ذكرت. واللافت هنا هو توظيف القرائن بكيفية ذكية تحقق للقرآن الكريم تفرده الأسلوبية خاصة إذا ما أُعتمد المجاز في قراءة النص القرآني.

ومتانة العلاقة بين النص والسياق لا تتأتى من المعنى المعجمي للفظ بل « من طبيعة السياق اللغوي الذي ترد فيه محكوماً بالسياق المقامي أو الحالي أو السياق الاجتماعي الذي تستعمل فيه بعناصره وظروفه وملابساته وحيثياته»³. فقيمة اللفظة الدلالية ومعانيها تكتسب في إطار الصرف، والنحو، وما اشتملت عليه العملية الإسنادية كما في الفصل السابق.

من الضروري أن يعي الدارسون المختصون بـ « طبيعة المعنى المعجمي، أو المعنى المجازي أو الإيحائي، أو النفسي، أو غير ذلك مما عُدَّ من أصناف المعنى، وبالعلاقات التي تحكم مكونات النص اللغوي، ومجالات المفردات من ترادف واشتراك وتضاد وتقابل، وفي حدود السياق

1- الأعراف/143.

2- ينظر: أحمد عرابي، الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة، ص 56، 57.

3- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 241.

الذي تستعمل فيه تلك المفردات، ومن غير إقصاء، أو إعراض، عن الأسلوب الذي تستعمل فيه اللغة»¹.

2- السياق والنص القرآني:

يلتزم الدّالّيون في فهم النصّ عموماً بالمنهج السياقي، ذلك أنّ السياق اللغوي عدّه العلماء من محدّدات الدلالة، وسبيل تعدّد المعاني، وتتجلى أهميته في قراءة النصّ وفهمه، خاصة إذا ما تعلّق الأمر بالنصّ القرآني المقدس، فهو إذا بمثابة أداة أو وسيلة إجرائية في غاية الأهمية، فكان من المهم جداً أن يتم فهم النصّ القرآني في حضور السياق.

والسياق الذي نعني ونقصد، هو السياق الداخلي الذي يعنى بالنظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم؛ أخذاً بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها في الجملة. لذلك لا بد أن يتقيد التفسير اللغوي للألفاظ والآيات بالسياق، ولقد أخطأ من أهمل جانب السياق القرآني، وأسباب النزول، والقرائن التي حفّت بالخطاب حال التنزيل، واعتمد على مجرد اللغة فحسب؛ لأن في ذلك إهمالاً لغرض المتكلم به وهو الله تعالى.

لقد اهتم كثير من المفسرين بالسياق، منهم الإمام الطبري، قال- في معرض تعليقه لأمر اختياراته في التفسير- « وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في هذه الآية بالصواب؛ لأن الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت، فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها إذا كانت في سياق واحد»².

و الأمر نفسه عند الإمام الزمخشري؛ إذ نجده أحياناً يرد بعض الأوجه في التفسير، مع أن لها وجهاً في العربية؛ غير أن السياق لا يقبلها... ومن بدع التفاسير، تفسير بعضهم (السليم) باللدغ

1- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص242.

2- الطبري، جامع البيان، ج3/344.

من خشية الله»¹. والعرب تطلق لفظ (السليم) على (اللدغ) تفاؤلاً بالسلامة، والسلام: لدغ الحية. ثم إن علماء الأصول، وأهل التفسير، كانوا مدركين لأهمية السياق في تحديد المعنى، فجعلوا له اعتباراً واضحاً وعمدة في فهم دلالة النص القرآني، وهو من أهم القرائن الدالة على مراد المتكلم. ورغم اعتماد المفسرين السياق اللغوي والاجتماعي في فهم نصوص القرآن الكريم، إلا أنه (السياق) كان مدعاة لاختلافهم، وعنصراً من عناصر الفرقة بينهم، وتعدد تأويلاتهم. وبالتالي أضى السياق وحده لا يكفي في تحديد الدلالة ما لم يركز القارئ (المفسر).

يقول التهانوي في كتابه (كشف اصطلاحات الفنون): «وبالجملة فأهل العربية يشترطون القصد في الدلالة، فما يفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولاً للفظ عندهم، فإن الدلالة عندهم في فهم المقصود لا في فهم المعنى مطلقاً»². وغني عن البيان أن قصد المتكلم لا يتحقق إدراكه إلا من خلال السياق، الذي يعني فيما يعنيه النظم اللفظي ودلالاتها داخل التركيب، وموقعها فيه، والمعنى الذي يقصد إليه واضعها في ذلك التركيب، بوضعها على الشكل الذي وضعها عليه³.

إذاً، المنهج السياقي له دور حاسم في تحديد معاني الألفاظ وفهم النصوص، فقد اتفق اللسانيون المعاصرون على أن العلاقة كلمة مع الكلمات الأخرى في النص/الخطاب: هي التي تحدد معناها، وبذلك صرح رائد المدرسة السياقية فيرث (John Rupeert Firth) (1890م - 1960م) بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال: تسييق الوحدة اللغوية⁴؛ أي وضعها في سياقات مختلفة.

وبالتالي، فالغاية التي يسعى إليها القارئ، هي فهم النص، وتحديد المعنى الذي تفيد الألفاظ والتراكيب، ووسيلة القارئ إلى ذلك الفهم أن ينظر إلى القرائن؛ لأن ما يتسم به المعنى الوظيفي

1- الكشف، الزمخشري، ج3/118.

2- التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ج2/291.

3- قادة عقاق، في السيميائيات العربية، ص75.

4- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط5، بيروت - لبنان - عالم الكتب، 1998، ص68.

للمبنى الواحد من التعدد والاحتمال، يجعل الناظر في النص يسعى دائماً وراء القرائن اللفظية والمعنوية والحالية ليرى أي المعاني المتعددة لهذا المبنى هو المقصود.

2-1- العلاقة بين نص السورة وسياقها:

إذا كان علم القراءات قد أفرز تفاوت العرب واختلافهم في تشكيل السور القرآنية، فإن علماء القراءات أخذوا بكل اعتبار « دور السياق في توجيه قراءات السور من خلال مراعاة العرف اللغوي، والسياق الصوتي، ومقصد الخطاب، والمشكلة بين الألفاظ، واستحضار السياق المقامي للنص القرآني »¹.

ولتحقيق هذه العلاقة نورد قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ...﴾². حيث ذكر 80 الزمخشري قيمة العطف الوارد في السورة فقال «...إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين على قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾»³، فالإيتان تتضادان بالعطف. وفي قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهِ...﴾⁴، يظهر أثر الوقف في السياق، فما كنا لنفهم معنى الآية لو وقفنا على لفظة قِيمًا؛ «لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت الاستقامة»⁵. وتلك هي مزية التقديم وفضيلته التركيبية، والتي تنتهي إلى القيم الدلالية.

1- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص216.

2- البقرة /25.

3- الكشاف، الزمخشري، ج1/ 322.

4- الكهف/1، 2.

5- الكشاف، الزمخشري، ج1/ 472.

وبالتالي نجد أنّ نصّ السورة يتفاعل وسياقها داخلياً، فأيّ تفسير لغوي يفرض تحكيم السياق بكلّ عناصره « ولذا يمثل النصّ نسيجاً متماسكاً مترابطاً الأجزاء؛ أمّا اختيار أدوات الترابط... فهو شكل من الأشكال التي يتكيف فيها النصّ مع سياقه»¹، وهذا ما مثّل له بالعطف والوقف.

2-2- تمظهر السياق:

ذكر ابن قيّم الجوزية أنّ السياق « يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة...، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته...، وهذه من أكبر القرائن الدالة على مراد المتكلم»². واستشهد على ما ذهب إليه، بقوله تعالى ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ، ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾³، فالظاهر هنا إرادة (التكريم) من خلال قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾، لكن الحقيقة المقصودة بهذه العبارة هي الذلّ والتحقير والاستهزاء، ولا يتّضح هذا إلّا بملاحظة ما يجاور التركيب في الآية قبله وحتى بعده؛ أي من خلال السياق الذي ورد فيه⁴.

وشرط الدلالة أن يكون من وراءها قصد، فلا يكفي مدلول اللفظ، ما لم يراع القصد الذي يرمي إليه صاحبه، وفي هذا السياق يقول التهانوي: «... فأهل العربية يشترطون القصد في الدلالة، فما يفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولاً للفظ عندهم، فإنّ الدلالة عندهم في فهم المقصود لا في فهم المعنى مطلقاً»⁵. وفي السياق القرآني يجب أن نتحقّق من النظم اللفظي للكلمة، وموقعها فيه ثم نعتد صلة بين التفسير اللغوي والسياق بملاحظة القرينة ووضعها موضعها من التخريج الدلالي.

1- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص218.

2- ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2/200.

3- الدخان/47-49.

4- ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2/200.

5- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج2/291.

ويرى الزمخشري في قوله عزّ قائل ﴿إِنَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾¹، فيذكر: «ومن بدع التفاسير، تفسير بعضهم (السليم) بالّديغ من خشية الله»²، والقول هذا يكشف تنافي سياق الآية والمعنى الذي أريد في التفسير على ذلك النحو. وبالتالي فإنّ للمنهج السياقي سلطة على المعاني وفهم النصوص عموماً، والنص القرآني بخاصة، وليس من وسيلة لذلك غير النظر إلى قيمة القرائن الخارجية أو المندسة بين ثنايا النص ورغم ذلك يبقى النص القرآني حمّال أوجه.

3- النظرية السياقية:

ليس الغرض أن أتحدث عن النظرية السياقية في أصولها، وتاريخ نشأتها، أو المبادئ التي تقوم عليها، إنّما الوقوف عند أهم عنصر فيها، والمتمثل في علاقة النص بالقارئ في ظل السياق. ولهذه النظرية أهمية كبيرة في عصرنا هذا لارتباطها الوثيق بالمعنى، ودورها الكبير في تحديد الدلالة، وصاحبها هو اللغوي فيرث مؤسس المدرسة الإنجليزية الحديثة في الدرس اللغوي. ومعنى الكلمة عند أصحاب هذه النظرية هو: (استعماله في اللغة). وقد نفت عن المفردة اللغوية دلالتها المعجمية؛ لأنهم أدركوا أن من طبيعة المعنى المعجمي التعدد والاحتمال، لأنه إذا تعدد معنى الكلمة، تعددت بالتالي احتمالات القصد منها.

ويقول أولمان: «إن نظرية السياق - إذا طبقت بحكمة - تمثل الحجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن...»³. ويقسم السياق إلى نوعين:

1- الشعراء/89.

2- الزمخشري، الكشف، ج3/118.

3- أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص66-67.

أ- السياق اللغوي:

والمقصود به السياق الخاضع للمعيارية اللغوية، أيّ كل ما يتعلق بالمستويات اللغوية (أصوات، صيغ، تراكيب، دلالة). وفي هذا يرى أحمد مختار عمر أنّ المعنى- حسب فيرث - لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي بوضعها في سياقات مختلفة؛ لأنّ معاني الوحدات الدلالية لا يتضح وصفها إلّا بإمعان النظر وتأمّل الوحدات المجاورة لها¹، وبمراعاة القرائن النصية لفظية كانت أو معنوية.

وهو سياق داخلي (منبثق) من النص/الخطاب ذاته؛ أي مجموعة من الأصوات والكلمات والجمل التي تؤدي مدلولاً محدداً، حيث يرى (فيرث) أنّ المعنى لا يكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة؛ لأنّ معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها². وهذا النوع يتضمن من القرائن النصية (اللفظية والمعنوية) ما يعين ويحدد مراد المتكلم من الخطاب، ولا يكون في سلّمه الإجرائي أي مكون خارجي للمعنى والتأويل³.

ب- السياق غير اللغوي:

أمّا هذا النوع من السياق، فهو المحدّد في ما يحيط بالنص، ومثّل له بعناصر غير لغوية- بعيداً عن مستويات اللغة-، بل مثّل بما يسمى سياق (الحال) أو (المقام) وينطوي هذا السياق على عناصر، تتمثّل في « شخصية المتكلم، وشخصية المخاطب، وما بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام

1- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 68.

2- المرجع نفسه، ص 68-69.

3- مسعود صحراوي، المنهج السياقي ودوره في فهم النص، مقال منشور في موقع شهاب، ص 5، 6.

من ملابسات وظروف ذات صلة به»¹. ويقصد به أيضا تلك العناصر غير اللغوية، والتي لها دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من معنى الكلام وقالوا: «لكل مقام مقال... ولكل كلمة مع صاحبها مقام»²، ويشمل ذلك شخصية المتكلم والمخاطب وما بينهما من علاقات وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به³ غير اللغوي.

3-1- السياق والمعنى:

ارتبطت هذه النظرية حديثا بالعالم اللغوي فيرث، والذي تمكن من توثيق العلاقة بين السياق والمعنى، فلم يعد حينئذٍ أي معنى للكلمة المعجمية في النص، بحيث: « خارج السياق لا تتوفر الكلمة على معنى»⁴، وصار الضابط الوحيد للمعنى هو السياق، ولذا كانت النظرية السياقية تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وحققت ما يصبو إليه العاملون في حقل الأسلوبية والدلالة. وكان اهتداء أصحاب هذه النظرية إلى تقسيم السياق من أهم المنجزات، إذ بفضل ذلك نستطيع التمييز بين السياق اللغوي والسياق غير اللغوي.

والسياق له دور في تحديد الدلالة وفهم النص، ورغم ما توفره الأدوات الخارجية من فهم للنص القرآني، فإن الأدوات اللغوية المستمدة من الكلام لها بصمتها الخاصة وحضورها في إضفاء الموضوعية في فهم النص القرآني، وخاصة إذا علمنا أن (المنهج السياقي) ضابط للدلالة، ومفتاح للفهم.

1- محمود السعران، علم لغة النص للقارئ العربي، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي، 1997، ص263.

2- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هندأوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م، ص168، 169.

3- محمود السعران، علم اللغة. مقدمة للقارئ العربي، ص263.

4- ستيفن أولمان، دور الكلمة في المعنى، ص 66.

إن الإقتصار على التفسير المعجمي للألفاظ في فهم الآيات؛ له من الخطورة ما يجعل المعنى فضفاضاً، أو ملتبساً بالغموض خاصة في الدلالة الشرعية التي غابت عن الاستعمال العربي المؤلف في لغتهم وأساليبهم. فالشرح المعجمي سلاح ذو حدين بين يدي مؤول النص يوجهه به إلى المعنى الذي يريده، وذلك لا يكلف المؤول إلا أن يخترع للفظ المشروح معنى يوافق غرض المؤول، وأن يحتج لذلك المعنى ببيت منحول، أو سند أعرابي مختلف، أو استعمال قبلي موهوم، ولذلك فإن ضبط الدلالة المعجمية، يبقى باباً مفتوحاً ومدخلاً إلى تعدد الفهم واختلافه¹. ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا، أن الكلمة في المعجم لا تفهم ولا يحدد معناها؛ لأنها منعزلة عن السياق، وإذا أدرجت في تركيب معين، تميزت دلالتها.

ومراعاة السياق منهج مطلوب في قراءة النص وفهمه، وتحديد الدلالة. فهو أداة معرفية إجرائية، اهتم بها علم الدلالة الحديث، ووظفها علماءنا القدامى في فهمهم لـ(دلالات التراكيب) في النصوص العربية عموماً والنص القرآني خصوصاً². إذا كان بروز هذا الاهتمام بالسياق متأخراً عند غيرنا، فإنّ عناية علمائنا بالسياق كانت مصاحبة لنزول القرآن الكريم، وكان له حضور مؤثر في فهم النص القرآني والعربي بعناية. وبذلك تجلّى أثر القرائن الدلالية في فهم النص القرآني من خلال:

يُذكر في قضية السياق أنّ الدلالات تنشأ « بطريقة سياقية تتحكم فيها القرائن الحالية التي تصاحب عملية الكلام إلى جانب القرائن الخاصة بنظام اللغة التي يدركها المتلقي عبر معرفته بذلك النظام»³. وفيرت بقوله هذا يشير إلى ما ذكرته سابقاً عن السياق اللغوي وغير اللغوي وما يطابقهما من القرائن الخاصة والقرائن الحالية، أو القرائن الداخلية والخارجية على التوالي.

1- الزمخشري، الكشف، ج1/332.

2- مسعود صحرأوي، المنهج السياقي ودوره في فهم النص، المقال الأول، موقع الشهاب، ص1.

3- الكلام لفيرث نقلاً عن: خلود العموش، الخطاب القرآني، ص: 30.

3-2- علاقة القارئ بالنص:

إنّ التنازع الذي يحدث بين سلطة القارئ وسلطة النص في تأويل النصوص العربية قد يرجّح إحدى الكفتين، لكن حين يكون النزاع في النص القرآني فله قواعد أخرى كون النص يمتلك امتياز الصحة والبيان، فهو يفرض قواعده وأساليبه وأدواته التعبيرية دون مراجعة من القارئ، وعلى القارئ أن يصحح من سليقته وينقاد للنص لسانيا، فقدسية النص تأتي من داخله وليس من قدسية خارج النص سواء كانت فلسفية أو تاريخية، وقدسية النص تعني سلطته التامة على القراء¹. فترتبط قوة السلطة وهيمنتها بمفهوم التأويل، فهل يعني التأويل قول كلام بكلام آخر.. الخ؟ كل هذا وذاك، يعني قراءة دلالية، والتي بدورها تعني تأويلا بالحفر في عمق نص، عن بواطنه، أو نقرأ ظواهره، أو إننا نبحث عن قصد البنية وما غرضها إجمالاً.

ولعلّ أكثر عناية الدارسين بجماليات العدول كانت من زاوية المتلقي . ومن الإشارات التراثية الرائدة في هذا السياق قول الزمخشري: « إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد. وقد تختص مواقع بـفوائد»². ويقول عن العدول في موضع آخر إنه « فنّ من الكلام جزلٌ فيه هزٌّ وتحريك من السامع ، ... وهكذا الافتتان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ، ويستشهي الأنفس للقبول »³. ومصطلح (السامع) مصطلح تراثي يناظره في الدرس اللغوي الحديث مصطلح (المتلقي). والزمخشري في نصّه السابقين يؤكّد وظيفةً أساسيةً من وظائف العدول، هي وظيفة تجديد نشاط السامع وإزالة السأم عنه.

1- تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص، ص 17.

2- الزمخشري، الكشف، ج1/14.

3- المصدر نفسه، ج2/88، 89.

ويرفض ابن الأثير هذا التقويم الفني للوظيفة الجمالية لتقنية العدول ، ويعلل هذا الرفض بقوله: « لأنّ الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه ، فإن ذلك دليل على أن السامع يملُّ من أسلوب واحد فينتقل إلى غيره ليجد نشاطاً للاستماع ، وهذا قدح في الكلام لا وصف له ؛ لأنه لو كان حسناً لما ملَّ ... »¹. ثم يشير إلى أنّ هذا التقويم إن صحَّ إنما يصحّ على نماذج العدول ذات السياقات الطويلة والحاصل أن نماذج العدول تتكرر في القرآن الكريم في سياقات قصيرة².

فالعدول بهذا المعنى يعدّ منبهاً أسلوبياً لكسر أفق التوقع لدى المتلقّي . ففي الوقت الذي يكون فيه المتلقّي انسجم ذهنياً ونفسياً مع أسلوب معين أو نسق تعبيرى ما؛ بحيث يكون مهياً لحداث مجريات الأحداث وبناء نتائج متوقّعة من وحي المقدمات التعبيرية ، إذا بالمبدع من خلال الانحراف بالأسلوب التعبيري المألوف إلى أسلوب تعبيرى مغاير يفاجئ المتلقّي بما لا يتوقّعه ، ويثير لديه تساؤلات شتى عن دلالة هذا الانحراف. وفي إطار الحديث عن جماليات العدول من زاوية المتلقّي يحدد بعض الباحثين³ نمطين من المتلقّين هما:

أ- المتلقّي داخل النص:

ويقصد به المخاطب الذي يوجه إليه الخطاب في بنية النص والذي يتمثل في بنية النص القرآني بالنبي والذين آمنوا والذين كفروا والناس ... إلخ ، ومن جماليات العدول في بنية الخطاب الموجه إلى هذا النمط من المتلقّين : التفخيم والتعظيم ، أو التوبيخ والتقريع ، أو الإهانة والتحقير .

1- ابن الأثير، المثل السائر، ج1/179.

2- ينظر: المصدر السابق، ج 2/169

3- أسامة البحيري، تحولات البنية في البلاغة العربية، مصر، دار الحضارة، 2000، ص 356-357.

ب- المتلقي خارج النص:

ويُقصد به القارئ (أو السامع بحسب التراث البلاغي) ، وتبرز جمالية العدول مع هذا النمط من المتلقين في « قياس ضغوط الدلالة الموجهة إليه عن طريق إدهاشه وإثارته بالمفاجآت الصياغية التي تخالف توقّعه الأسلوبي المعتاد وبذلك يتم تنبيهه وجذبه إلى فضاء النص لتكتمل الدائرة الدلالية من خلال حضوره في دائرة الاتصال»¹.

إنّ إثارة المتلقي وإدهاشه، وكسر أفق التوقع لديه من خلال الأسلوب العدولي قضية تعتمد على نوع المتلقي. فالمتلقي لا يتنبّه دائماً إلى ما في الخطاب من انحراف عن النسق المألوف. ومن ثمّ لا تتحقّق هذه الوظيفة الجمالية للأسلوب العدولي إلّا مع نمط خاص من المتلقين هو المتلقي المثالي.

هناك ضرب من النصوص القرآنية؛ يجوز فيه الاجتهاد والاختلاف². وقد عدّ الإمام السيوطي ظواهر كثيرة تقف وراء الدلالات للخطاب الواحد، مثل: « الاشتراك والحذف واختلاف مرجع الضمير وترجيح العطف أو الاستئناف والتقديم والتأخير...»³، وغيرها من الظواهر التي تفتح الخطاب القرآني على تعدد المعنى واختلاف الدلالات.

ويمكن تخطيط هذه العلاقة التي تربط القارئ/المؤول بالنص القرآني، وتضبط موقفه في فهم

النص القرآني على النحو الآتي:

1- أسامة البحيري، تحولات البنية في البلاغة العربية، ص357.

2- يقول الزركشي: "وهو الذي يغلب عليه التأويل؛ وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه، وكل لفظ احتمل معنيين فصاعداً، فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل وليس أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه..."، البرهان، ص253-254-255.

3- ينظر: السيوطي، الإتقان، ج2/18.

كلّ قارئ	الله وحده	المجتهد/المؤول
لا عذر	الراسخ في العلم	التعدّد والاختلاف

جدول 2: سياقية القراءة الدلالية

وهكذا لا يتحمّل (النص) وحده نتائج التعدّد والاختلاف، بما ينطوي عليه من غموض وإبهام يحتاج إلى توضيح، أو متشابه يفرض التأويل، أو مجمل لا بد له من بيان وتفصيل. وإنما يتعلق الفهم والتأويل بالذات القارئة للنص، ومدى مسؤولية القارئ/ المفسر كعنصر فعال في تحقيق الدلالة، وكسب رئيسي في إحداث التعدد والاختلاف من علاقته بالخطاب القرآني¹، وعملية القراءة التي يباشرها على النص. فخصائص اللفظ والتركيب داخل النص - بما فيها من خصوص وعموم أو مجاز، أو تعميم وإيهام، أو اشتراك - هي التي تدفع القارئ إلى الاجتهاد المؤدي إلى الاختلاف.

لقد عرف تاريخنا التفسيري أنصارا للمعنى الذاتي الممثل في المدارس الكلامية والفلسفية والصوفية، حيث حملت القرآن على مقتضى النظر القبلي للمؤول، فبنوا تفاسيرهم على أساس مذهبي خالص. بحيث لا يكتفي (المؤول) بالمستوى الدلالي الأول (الظاهر من النص)، وإنما أن يتوجه في فهم الكلام (الخطاب) إلى معنى مخالف، وأن يجد له من القرائن العقلية واللغوية ما يوهم بسلامة

1- رغم الفروقات الموجودة بيت مفهومي (النص والخطاب)، إلّا لأننا نصادف كثيرا من الدراسات التي استعملتهما في معنى واحد، حيث نجد السرديين، أمثال: (جنيت/ تودوروف) لا يميزون بين المصطلحين، فيستعمل مصطلح (النص) ويقصد به (الخطاب) والعكس، ينظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، ص 11 وما بعدها.

ويرى بارت أن: "النص يظل على كل الأحوال متلاحما مع الخطاب، وليس النص إلا خطابا، ولا يستطيع أن يتواجد إلا عبر خطاب آخر"، نظرية النص، رولان بارت، ص 90، نقلا عن نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للنشر، الجزائر، ص 31.

فهمه وصحة دعواه¹. ومثل هذه التصورات استطاعت- في عصرنا الحاضر- أن تهيمن على الفكر النقدي العربي، وذلك بهدف الاستغلال الدلالي للنص، وانفتاحه لكل القراءات، وحرية المتلقي في تحطيم سياق النص لصالح سياق المتلقي. كما أنّ قدرة القارئ في توظيف معاني النحو لتوجيه المعنى على خلاف ما يقتضيه ظاهر النص.

يشير منذر عياشي- في تحليله لرأي ريفاتير- إلى « أنّ القارئ يجلي الأسلوب بفعل الأثر الذي يتركه فيه، فالأسلوب يستأثر بانتباه القارئ واهتمامه عبر ما يضيفه في سلسلة الكلام، والقارئ يستجيب بدوره للأسلوب فيضيف إليه من نفسه عن طريق ردّ الفعل»².

وعليه فإنّ القارئ في هذا الوضع عنصر خارجي، يخضع لعلاقة (تأثر وتأثير)، فالعلماء «فاق اهتمامهم بالمخاطب أيّ اهتمام آخر، فالمتكلم مثلاً لم يظفر بمثل هذا الاهتمام باعتبار أنّ البلاغة مراعاة لمقتضى الحال»³، فعلاقة القارئ بالنص تدور في كنف السياق وهو المشار إليه في القول السابق بمقتضى الحال.

ويجد ريفاتير « أنّ الشرح يقتضي إظهار الأثر الأدبي التي تحمله العبارة في مظانها فهي توجه القارئ نحو بعض التأويلات، وتزوّد بمفتاح لفك شيفرات النص»⁴، فكأنّ القارئ يزيد المعنى توضيحاً لقدرته على فك طلاس النص، ويصبح- بلا شك- أحد رؤوس المثلث (النص، القارئ، السياق). ولقد كان لعبد القاهر الجرجاني فضل السبق في تحليله لفحوى هذه العلاقة فيقول: «...ومعنى القصد إلى معنى الكلم أن تعلم السّامع بها شيئاً لا يعلمه، ومعلوم أنّك أيّها المتكلم لست

1- قضايا اللغة في كتب التفسير، ص 61-63.

2- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 151.

3- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص 65.

4- نقلا عن: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، ص 152.

تقصد أن يعلم السّامع معاني الكلم المفردة التي تكلم بها، ومحال أن تكلمه بألفاظ لا يعرف هو معانيها كما تعرف»¹.

وفي سياق الحديث السابق أورد الزمخشري رؤية عن العدول، فيقول فيه « إيقاظ للسامع وتطرية له بنقله من خطاب إلى خطاب تنشيطا له في الاستماع»²، ومثل أسلوب الالتفات تحقيق لثنائية (القارئ والنص)، وتزداد العلاقة وطادة حتى في حال حصول تضاد بينهما، فمقام النص غير مقام القارئ الذي يمثل الموقف الاجتماعي؛ لأنّ صياغة النص تقوم على مقام تجاور الكلمة وصاحبته، وبهذا نخلص في حديثنا إلى أنّ المختصين زاجوا بين النص والقارئ والسياق في حدود المعاني الممكنة.

3-3- السياق في منظور الأسلوبية:

لقد أوجد مظهر الأسلوبية المنتظم للنص ما يسميه ريفاتير بالطريقة الأسلوبية، والتي ترتكز على فهم العلاقات التركيبية في النص، وفي حدود السياق، وعليه: « يميّز ريفاتير إلى جانب السياق الذي يسميه بالسياق الأصغر الذي يسهم في إنتاج الأسلوبية، ويميّز ما يطلق عليه السياق الأوسع وهو بالتحليل الأولي خارجي ومتقدم على هذه الطريقة الأسلوبية، قابل للائتلاف مع سابقه، أو لإعادة التشكيل في نهايته»³، والملاحظ هو أنّ رؤية ريفاتير للسياق وتقسيمه له، وهو بذلك يقارب التقسيم الذي أشرنا إليه بالسياق الداخلي والخارجي، أو السياق اللغوي وغير اللغوي.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 83.

2- الزمخشري، الكشف، ج 1 / 83.

3- طارق البكري، الأسلوبية عند ميشال ريفاتير، ص: 06.

أ- علاقة السياق الصغر بالسياق الأوسع¹:

تتجلى هذه الرابطة حينما يتشاكل معيار الانحراف الداخلي بالسياق الخارجي، فينتج عن ذلك مسلكاً أسلوبياً، والمساواة التالية تظهر نتيجة التشاكل:

$$\text{سياق أصغر} + \text{انحراف} = \text{مسلك أسلوبى}$$

هذا المسلك ما هو إلا حلقة من سلسلة لغوية، ويدخل السياق الأصغر على حدّ تعبيره في سياق أكبر، ليشكّل سلسلة لغوية متّصلة يكون السياق جزءاً منها، ولا تتحصر داخل حدود الجملة النحوية أو عدد معيّن من الجمل، فنتج حينئذ مساواة أخرى:

$$\text{السياق الأوسع} = \text{سياق} + \text{مسلك أسلوبى} + \text{سياق} + \dots$$

ب- السياق الأسلوبى:

يرى ريفاتير أن السياق الأسلوبى « نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقع، والتقابل الذي ينشأ عن هذا الاقتحام هو المثير الأسلوبى»²، فالمثير الأسلوبى - حسب مفهومه في الفصل الأول - يحقق للسياق الأسلوبى وجوده، فحشر عنصر المفاجأة في النسق اللغوي مقوم أساسي للسياق الأسلوبى الذي يتميز بالخواص التالية:

«1- التلاؤم اللازم ممّا لا يحدث بالنسبة للقاعدة.

2- قابليته الفورية للتحديد وإمكانية الإمساك به على التّو، فليس غامضاً ولا مبهماً ولا ذاتياً.

3- التّنوع؛ إذ إنّهُ يشكّل مجموعة من مظاهر التّضاد مع الإجراءات الأسلوبية المتوالية»³.

وهذه الخواص إشارة إلى استمرارية الشذوذ عن القاعدة أو خرقها.

1- ينظر: طارق البكري، الأسلوبية عند ميشال ريفاتير، ص: 07.

2- القول لريفاتير، ينظر: طارق البكري، الأسلوبية عند ميشال ريفاتير، ص: 09.

3- هذه الخصائص اتّفق عليها مجموعة من العلماء المحدثين منهم شكري عياد، صلاح فضل، منذر عياشي، ينظر: المرجع السابق، ص12.

3-4- عنوان النص في ضوء السياق:

تسمية السورة القرآنية باسمها من عجائب القرآن الكريم التي أرادها الله تعالى، يقول الزركشي عن ذلك « تقليد يراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصّه، ويسمّون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز»¹.

وبهذا يتحكّم العنوان لأيّ نص لغوي في تحديد الهدف من النص والغرض منه، وهو وسيلة تثير لدى المتلقي توقعات وتخمينات قد تمكّنه كشف الغرض المراد نسبياً أو تأويل النص تبعاً للعنوان. ويرى صلاح فضل في أهمية العنوان، أنّ هذا الأخير يجلي جوانب مهمّة من النص وبعض الدلالات الممكنة منه، ويضرب مثلاً بأهمية العنوان في المجال الصحفي، ولذلك تمّ اعتماد سيميولوجيا (العنوان) في ما يسمى بسيميولوجيا النص².

ولذا كان للعنوان صفة جمالية باعتباره عنصراً بنيوياً يقبل التحليل الوظيفي له، ومثال ذلك³ الإشارة إلى شخصية، أو مكان هامّ، أو أحداث ذات طابع فكري أو إيديولوجي، أو أن يقوم بدور الرمز الاستعاري المكثف لدلالة النص، أو الإشارة إلى الأساطير. وربط العنوان بمقصد النص وغرضه أمر ضروري، فهو على علاقة بالسياق خاصة الثقافي منه، وعلى علاقة بالقارئ أيضاً، ناهيك عن علاقته بمحتوى النص، فالعنوان جزء لا يتجزأ من الموضوع.

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، بيروت، دار الفكر، 1980، ج1/ 272.

2- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، من سلسلة أدبيات، ط1، مصر، مكتبة لبنان، 1996م، ص303.

3- المرجع نفسه، ص303.

وفي سياق الحديث عن العنوان: كان تسمية سورة (البقرة) باسمها؛ لأنّها « تصلح أن تكون رمزاً مكتفياً محورياً لصنيع بني إسرائيل وموقفهم من الرسالة الجديدة... كما أنّ فيه تعصيذاً لمقصد الخطاب، وهو لفت أنظار المؤمنين في زمن النصّ... وبذا يجتمع في العنوان مفاتيح عناصر الموقف الكلامي جميعاً، المخاطب أو المتلقي، والمقصد، والموضوع أو الرسالة»¹.

1- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص: 412.

المبحث الثاني

نظرة العلماء لدور السّياق في بيان دلالة المثير من النصّ القرآني.

1- نظرة العلماء العرب للسياق.

2- الفصل والوصل.

3- دلالة الحذف.

4- دلالة العطف.

5- المُشكَل اللغوي.

6- دلالة الإعراب سياقيًا.

7- دلالة الخبر والطلب.

يدل كل تركيب لغوي على دلالة تماثله، أو تشابهه، فمكونات كل تركيب لا تعدو أن يكون غرضها نحوياً أي لها وظيفة نحوية، وبمراعاة السياق - كما أشرت في المبحث السابق - نتبين دوره في كشف الغطاء عن بعض الأبنية اللغوية التركيبية. ولذا فإن كشف الدلالات لأي تركيب يتم « واتحاد النظام اللغوي بقوانينه وقواعده المعيارية (السياق اللغوي) بالسياق الحالي الذي تجري فيه العملية اللغوية»¹؛ وبإشراك السياق في تحديد الدلالة، قد ينزاح الذهن إلى دلالات أخرى يمكن أن يتضمنها التركيب أو يؤديها. وارتأيت تقديم عيّنات إجرائية، يقوم فيها السياق بدور أساسي في تحديد الدلالة، وتوجيه المعنى، والنص القرآني خير ما أستدلّ به.

تتحدّد دلالة الصيغة العامة بحسب ما يكتنفها من المعنى الخاص الذي يفهم من السياق الخاص فلفظة (النعمة) في قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنّٰتٍ وَعَيُْونِ زُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنِعْمَةٍ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩

باختلاف الأحوال الموكلة فيها، وبذلك الاختلاف يختلف معنى الوكيل»¹، فهو هنا يلفت إلى تعدد الدلالة بتعدد جهة الوكالة، ويفصل الدلالات المتعددة في القرآن الكريم للفظ الوكيل حسب تعدد الوجه ليخلص إلى قاعدة عامة في الدلالة وهي « أن الوكيل اسم جامع للركيب والحافظ في الأمور التي يعنى الناس بحفظها ورقابتها وادخارها، ولذلك يتقيد ويتعمم بحسب المقامات»².

1- نظرة العلماء العرب للسياق:

أسهم العرب على اختلاف تخصصاتهم في ميدان الحديث عن السياق، واتخذ المفسرون واللغويون والنحاة والبلاغيون وغيرهم؛ المفردة والتركيب محوري دراساتهم في وعيهم بدور السياق. ويحسن بنا أن نوضح مفهوم السياق عند علمائنا القدامى « لأنّ هذه الكلمة استعملت حديثاً في عدة معانٍ مختلفة»³. ومفهوم السياق من حيث الاصطلاح يعني مجرى الكلام وتسلسله واتصال بعضه ببعض. ويقصد به جوار الكلمات في التلاصق الركني الذي للجمل في الملفوظ، أي ما يسبقها وما يلحقها من مفردات. وقد أدرك لغويو العربية قديماً هذه الأهمية للسياق، فوظفوه أحسن توظيف؛ يقول المبرد⁴: « وكل من أثر أن يقول ما يحتمل معنيين فواجب عليه أن يضع على ما يقصد له دليلاً؛ لأن الكلام وُضع للفائدة»⁵. فالمبرد يلزم ويسند تحديد المعنى المحتمل من معاني الألفاظ المشتركة إلى دليل من السياق أو المقام.

1 - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4/170.

2 - المصدر نفسه، ج4/171.

3- تمام حسان، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص242.

4- هو: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر البصري، المعروف بالمبرد، كان شيخ أهل النحو واللغة، فصيحا بليغاً، من كتبه: المقتضب، الكامل، ما اتفق لفظه واختلف معناه، ت: 285هـ، ينظر: الأدنوري، طبقات المفسرين، ج1/41، 42.

5- المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه، تح: محمد رضوان الداية، ط1، دمشق، دار البشائر، ص8.

ثمّ جاء ابن الأنباري (ت328هـ) بكلام نظري وتطبيقي صريح، يثبت مراعاة الأوائل للسياق، فقال: « إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلّا لاستيفائه واستكمال جميع حروفه (يعني كلماته)؛ فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين؛ لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إل معنى واحد. فمن ذلك قول الشاعر:

كُلُّ شَيْءٍ - ما خلا الموت - جَلٌّ والفَتَى يسعى ويُلْهِيه الأملُ.

فدلّ ما تقدّم قبل (الجل) وتأخر بعده على معناه: كل شيء ما خلا الموت يسير. ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن (الجل) ههنا معناه (عظيم) ¹. يرى ابن الأنباري أن كلمة (جل) تحتل أكثر من معنى، ومعناها في هذا البيت (يسير) لا (عظيم)، والسياق هو الذي يحدد المعنى.

1-1- في اللغة والنحو:

لقد أحاط أصحاب اللغة والنحو السياق اهتماماً كبيراً، وجعلوا المعنى ضرورة ينبغي توخيها، فحلّلوا اللغة في مستوياتها، وأكثر من ذلك، فكان « من الطبيعي ملاحظتهم اللغة في إطارها التركيبي، وكونها الخاص من خلال هذا التركيب، وتعلّق بعضها ببعض على نحو يجسّد حركتها الدّاخلية، ويدلّ على قدرة التركيب المعين في بنيته السطحية على إبراز الدّلالة المعيّنة المحدّدة دون غيرها، وفي سياقها الذي يكتنفها، أو تجري فيه» ².

ومبعث أمر النحو وتحكيمة من جهة، والداعي إليه من جهة أخرى قديم؛ يرجع أساساً إلى مقتضيات البحث العلمي في بداية جمع اللغة «لأنّه لم يمكن القيام به دون مادة توضع تحت تصرف النحوي، ثم إنّ تعقيد القواعد ما هو غلا فحص لمادة لغوية تم جمعها بالفعل ومحاولة تصنيفها

1- الأنباري، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1987م، ص2.

2- هادي نهر، علم الدّلالة التطبيقي، ص:233.

واستنباط الاسس والنظريات التي تحكمها»¹. وإذا كان النحويون - على سبيل الذكر فيما يأتي - قد انشغلوا بتبيان أقسام المنادى، وأحوال توابعه، وانصب جهدهم على حكمه الإعرابي؛ فإنهم لم يغفلوا المعاني السياقية الأخرى على الإطلاق - ولكن لم يمنحوها الجهد الكافي - كما أوضحنا سابقاً - فذكر النحويون أن لكل أداة استعمالاً معيناً تفرضه العلاقة النفسية والاجتماعية والزمانية والمكانية بين المتكلم والمخاطب، ويمكن لنا أن نقف على ذلك عند حرف الياء (يا)؛ وهي أكثر حروف النداء استعمالاً، وأشهرها ذكراً؛ ولذلك تسمى (أم الباب)، وتأملها تجدها تنتهي بحرف المد (الألف)؛ لذلك تستعمل في نداء البعيد؛ لإمكان امتداد الصوت، ورفع به².

ومعلوم أن أصوات المد أصوات مجهورة ينفث لها مجرى الهواء في الجهاز النطقي، فتخرج دون إعاقة أو حفيف؛ ومن ثم فهي أكثر وضوحاً مع امتدادها وطولها. وأرجح الأقوال أنها لنداء البعيد حقيقة وحكماً. فهي قد تستعمل لنداء الساهي والنائم والغافل تنزيلاً له منزلة مَنْ بَعْدَ؛ لأنهم يرون أنه لا يقبل إليهم إلا بالاجتهاد في رفع الصوت، ومده. فالأداة تفيد التنبيه أصلاً، وتفيد النداء عرضاً من خلال الفعل المقدر بعدها، يقول ابن جني: « (يا) في النداء تكون تنبيهاً ونداء في نحو: يا زيد ويا عبد الله... »³.

يرى أكثر العلماء أن استعمال ياء النداء للقريب يأتي لغرض لفظي وهو التوكيد؛ لأن الغرض النفسي حاصل أصلاً، يقول الزمخشري: « (يا) حرف وضع في أصله لنداء البعيد، وصوت يهتف به الرجل لمن يناديه... فإذا نودي به القريب المُقَاتِن؛ فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه

1- عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، البليدة - الجزائر - دار المعارف، 2005، ص21.

2- ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 2/299، 320، وابن جني، المقتضب، ج4/333.

3- ابن جني، الخصائص، ج 2/196.

معنيّ به جداً»¹. ولكن قد ينزلّ القريب منزلة البعيد لغرض نفسي، يقول الزمخشري -أيضاً-: «فإن قلت: فما بال الداعي يقول في تضرعه: يا رب، ويا الله، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وأسمع به وأبصر؟ قلت: هو استقصار منه لنفسه، واستبعاد لها من مظانّ الزلفي، وما يقربّه إلى رضوان الله، ومنازل المقربين. هضماً لنفسه، وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله، مع فرط التهالك على استجابة دعوته، والإذن لندائه وابتهاله»². وبالرغم مما يشعر به كلام الزمخشري من أن البعد هنا ليس بعد المنادى، وإنما هو إحساس من المنادي بأنه هو البعيد من منادى يجب عليه أن يقبل، ويكون قريباً منه إلّا أن البعد ليس بعداً حقيقياً وإنما هو بعد مجازي لكثرة التفريط والتقصير.

ويسمّي بعض العلماء المعاني النفسية التي تدلّ عليها (يا) عند خروجها من الدلالة على نداء البعيد -نكتاً، وهي كلها معانٍ تحمل شحنات نفسية مختلفة في نوعها، وفي مستوى حدثها، وفي ردود الأفعال تجاهها، وذلك بحسب ما يقتضيه المقام، كما أن أكثر هذه المعاني أو النكت -كما يسميها البلاغيون- لها صلة وثيقة بالانفعالات الإنسانية الأساسية، كالتعظيم، والتحقير، والحرص، والاهتمام، وغيرها.

وفي النظم، أوماً الجرجاني إلى مفهوم السياق، فقال «فلا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب تلك»³، وكلامه إشارة صريحة إلى خلق تركيب مناسب لكل مقتضى حال ومقام. وبذلك استطاع العرب من لغويين ونحويين أن يتحرّوا معاني النحو بغية إيضاح المعنى بمراعاة السياق اللغوي وغيره، ومراعاة استعدادات المتلقي، فكانت محاولاتهم في هذا المجال رائدة لتأسيس نظرية عربية؛ ذلك أنهم وعوا «مستويات النظام

1- الزمخشري، الكشف، ج 1/224.

2- المصدر نفسه، ج 1/224، 225.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 61.

اللغوي وعياً دقيقاً، وإدراكهم الأثر المعنوي لكل منها في البنية الدلالية للغة بصورة لافتة تثير الإعجاب»¹.

1-2- في التفسير:

ينظر إلى لفظ التفسير أنه خصيصة من خصائص القاموس القرآني حيث ورد ذكره مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ، وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾². ولأجل هذا التلازم المطلق بين القرآن والتفسير؛ أضحي مصطلح التفسير لا يطلب إلا في دائرة ما تعارف عليه الدارسون لهذا النص الأقدس باسم (علوم القرآن). وهاته العلوم على تعدد فنونها إلا أن التفسير ضمنها يبقى الأكثر اعتباراً، والأدوم ملازمة للنص المعجز.. والملاحظة أن علماء القرآن قد تباينوا في حد التفسير.

فالإمام السيوطي (849-911هـ) ذاته قد اجتهد في تعريفه، فلم يزد إلا أن ساق أربعة عشر تعريفاً³ يقل الشبه فيها بين اثنين. دلالة على أن المصطلح لم يعد محتملاً فهما بعينه وخاصة منذ اتسعت آفاق القراءة أمام نخب ثقافية مكنتها من التداعي على النص بما تحوز من المعارف، والأفكار والقناعات. فكان أن ظهرت الآراء في التفسير بما فيها من أثر الفلسفة، والبلاغة، والتصوّف فضلاً عن الآثار العرفية والحضارية التي ولدت هي الأخرى قناعات مذهبية استجاب لها الفهم التفسيري آنذاك. وهذا ليس بمنكر في حق علم شهد له بالمزية وشرف القيمة⁴. وفي هذا الصدد يعرف الإمام السيوطي رحمة الله عليه؛ التفسير بكونه: « علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد -ص-

1- الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية، أسامة كامل جرادات، الأردن، دار الفرقان، 2004م، ص30.

2- الفرقان/ 33.

3- ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 4/167.

4- ينظر: المصدر نفسه، ج 2/173.

وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات. ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»¹.

ولحصر الفهم الاصطلاحي للتفسير ننظر فيما تفيد به الدلالة اللغوية التي هي أساس كل فهم رغم خلاف اللغويين حول الأصل الاشتقاقي لكلمة (التفسير)، وهذا المعنى هو الذي يعتمده الإمام الزركشي، حيث يقول: « وأما التفسير في اللغة فهو راجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء. فكما أنّ الطبيب ينظر فيه يكشف، عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف شأن الآية وقصصها ومعناها والسبب الذي أنزلت فيه. فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه، وإطلاق للمحتبس عن الفهم به، ويقال: فسرت الشيء أفسره تفسيراً، وفسرته أفسره فسراً. والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال، وبمصدر الثاني منهما سمي أبو الفتح بن جني كتبه الشارحة (الفسر)»². وتأسيساً على هذا البيان اللغوي نلاحظ أن التفسير في الاصطلاح القديم نظر إليه من حيث إنه علم جامع لسائر علوم القرآن والعربية. وهو ما قال به الزركشي.

اهتمّ المفسرون بالنص القرآني وما يحيط به أيّما اهتمام، فنال رعاية خاصة عندهم وكتبوا في آيه كلاماً كثيراً، وأعطوا السياق ومقتضى الحال حقّه في تفسير القرآن الكريم، زيادة على وعيهم الكبير بقوانين وقواعد اللغة العربية، ومن الشروط التي أكدّ عليها المفسرون ضرورة الوعي بالسياق المحيط بالمخاطبين ليتحقّق الوعي بالخطاب ومضمونه، ومثال ذلك:

1- السيوطي، الإتقان، ج4/169.

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2/147.

أ- في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾¹، ولبيان الدلالة المطلوبة « اشتراطوا المعرفة بأسباب النزول، والأحداث والوقائع الملازمة لنزول الآية أو النص القرآني»²، ولذلك فإن السياق اللغوي وحده لا يكفي لإظهار المعنى المراد، « فسبب النزول يوضح عدم جواز التوارث في غير ذوي النسب من الأرحام»³، وبمعرفة سبب النزول لم يعد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتوارثون.

ب- قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁴، وفهم الآية الكريمة مشروط بفهم الاتساق الداخلي لها، وذلك بتحكيم « العطف الداخلي بين الجمل ومعاني حروف العطف في سياقاتها المختلفة»⁵.

والملاحظ في الآية السابقة توالي الفاءات، وفيها يقول الزمخشري « الأولى للتسبب لا غير، لأنّ الظلم سبب التوبة، والثانية للتعقيب؛ لأنّ المعنى فاعزموا على التوبة...، والثالثة متعلقة بمحذوف...، فتتعلق بشرط محذوف كأنه قال: فإن فعلتم فقد تاب عليكم...، وإما على طريقة الالتفات، فيكون التقدير: فعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم»⁶. فمعرفة معاني العطف وعلاقته بالسياق شرط في معرفة الدلالة.

1- الأنفال/75.

2- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص220.

3- المرجع نفسه، ص221.

4- البقرة/54.

5- الخطاب القرآني، خلود العموش، ص220.

6- الكشاف، الزمخشري، ج1/140.

ج- أولى المفسرون اهتماماً بـ « بيان العلاقات التداولية الحاصلة بين آيات القرآن الكريم متجاوزة أو متباعدة، ومن هذه العلاقات نذكر (التفسير والبيان)، أو ما أطلقوا عليه (الانتميم) »¹ كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾². وبصرف النظر عن مخاطبة الله تعالى لبني إسرائيل بصيغة المضارع (يسومون، يذبحون، يستحيون)، أقول أنه في عدم عطف (يذبحون) على (يسومون) تفسير وبيان لما سبقهما من فعل (نجيناكم)؛ أي بترك العاطف بين: (يذبحون ويسومونكم) يتحدّد مقصود الآية في المراد من العذاب³.

وعليه؛ فإنّ جهود المفسرين تركّزت كلّها في السياق اللغوي، وما سيتلزمه النصّ القرآني كاستحضار تفسير آية لتفسير آية أخرى، ونجد المفسرين قد أولوا أهمية للغرض أو المقصد أو الهدف، وأثر ذلك داخل النصّ؛ أي تفاعل عناصره المكوّنة له والسياق، ومن ثمّ استنباط الحكم الشرعي.

1-3- في البلاغة والنقد:

إنّ الوعي بالسياق اللغوي، وتدليله على المعنى قد أخذ حيزاً مهماً من اهتمام البلاغيين⁴ والنقاد « فانطلقوا في مباحثهم من فكرة ربط الصياغة بالسياق، وأصبح مقياس الكلام في باب الحسن

1- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 223.

2- البقرة/49.

3- ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 223.

4- خصّ الدكتور عمار ساسي مسألة البلاغة وما رافقها من اصطلاحات ومسميات بفصل في كتابه المدخل إلى النحو والبلاغة، أوجز فيه قصة تاريخ البلاغة، ينظر: ص 31...39.

والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق، أي (مقتضى الحال)¹. وتجلّت عنايتهم بالسياق من خلال «حديثهم في نظم الكلام، وأسرار تأليفه، وأساليبه المتنوعة، وإمكانات اللغة وقدرتها على التعبير»².

وقد ذكر السكاكي مقامات مقتضى الحال، والتي حدّدها في ستة أشكال هي: «فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده من مؤكّدات الحكم... وإن كان بخلاف ذلك فحسن الحكم تحلّيه بشيء من ذلك ضعفاً وقوة... وإن كان طيّ ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه... ولإثباته على وجه من الوجوه، فحسن الكلام وورده عارياً عن ذكره... ولإثباته مخصّصاً بشيء من التخصّصات فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة... وعند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها، أو الإيجاز معها أو الإطناب فحسن تأليفه مطابقاً لذلك»³.

فهذا القول الرّائع يحدّد حقيقة مجالات السياق اللغوي في نظر البلاغيين له، وإن كنّا لا نخوض في المثير بلاغياً، إلا ما اشترك منه مع بعض مسائل النحو كالحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والمجاز الذي سأذكره بمثال لاحقاً. والسياق في شقيه (الحالي) و(المقامي) - بحسب أهل البلاغة - مرتبط «بالبعد الزماني والمكاني للكلام، وذلك أنّ الأمر الذي يدعو المتكلم إلى تقديم صياغته على وجه معيّن، إمّا أن يتصل بزمن الصياغة فيسمى (الحال)، وإمّا أن يتصل بمحلّها فيسمى (المقام)»⁴. وعليه تُقال العبارة الشهيرة (لكل مقام مقال).

1- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص54.

2- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص226-227.

3- مفتاح العلوم، السكاكي، ص54.

4- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص55.

ومن أمثلة ما استدلت به هذه الفئة من العلماء المختصين، ما جاء في قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾¹. هذه الآية ذكرت في باب الدلالة المجازية، وفيه « تقوم القرينة العقلية بدورها في فهم العلاقة بين دلالة على معناه الحقيقي واستعماله أثناء التوسيع»²، فليس المعنى الاستعاذة بالله من قراءة القرآن، وإنما المعنى « فإذا قرأت القرآن، فاكتفى بالمسبب الذي هو (القراءة) عن السبب الذي هو (الإرادة) »³؛ أي الاستعاذة بالله عند إرادة قراءة القرآن.

أمّا علماء البلاغة فكانوا أكثر استحضاراً للجانب النفسي من النحويين، وربما كان هذا سبباً في تمايز العلمين وانفصالهما في مرحلة من مراحل التأليف، بيد أن البلاغة عادت في العصور المتأخرة إلى المنهج النحوي المبني على التقنين والمعيارية، وهو أمر يؤكد على ضرورة إعادة بناء العلاقة بين العلوم المختلفة والدراسات النفسية؛ لما سينتج عن ذلك قبول اللغة وإقبال عليها. هذا والحديث عن نظرة البلاغيين والنقاد يطول بنا، ويكفي أن نذكر قول الجرجاني على وجوب مراعاة السياق اللغوي وصولاً للدلالة، ففي النص القرآني - بالنسبة للعرب - « مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في (سياق لفظه) »⁴.

2- الفصل والوصل:

ظاهرة (الفصل والوصل) ذات طابع أسلوبى، وحروف المعاني -ومن بينها حروف العطف- تتجاوز وظيفتها النحوية التي أرادت لها إلى اتصالها بالمقام والسياق، ذلك أن المعاني «لا

1- النحل/98.

2- أحمد عرابي، الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة، ص 55.

3- القول لابن جني، ينظر: المرجع نفسه، ص 55.

4- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 50.

تكتسب وجودها من الدلالة المعجمية، وإنّما من السياق الوظيفي، فمعنى هذه الحروف هي وظيفتها في آنٍ واحد، ومن هنا كانت عملية العدول بين هذه الأحرف ذات تأثير بالغ في الدلالة»¹.

ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾² فالعدول عن (اللام) إلى (في) خرق لقاعدة العطف، فالمتعارف عليه توافق المعطوفات، ويبرّر ابن الأثير ذلك في الآيات الثلاث الخير باعتبارها «للاّيدان بأنهم أرسخ في استحقاق التّصدق عليهم لمن سبق ذكره باللام؛ لأنّ (في) للوعاء فنّبّه على أنّهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصّدقات، كما يوضع الشيء في الوعاء، وأن يجعلوا مظنة لها»³.

يسوق السكاكي- في موضع آخر من الوصل- قضية تأويل اختلاف الأفعال الكلامية فيقول «قد تكون الجملتان مختلفتين خبراً وطلباً، ولكن المقام يكون مشتملاً على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب أو الطلب معنى الخبر»⁴. واستشهد بقول الله تعالى ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى النَّارِ مَكُونُونَ، لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ، سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ، وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾⁵.

وضرورة الطلب مقامياً، اقتضت عطف (وامتازوا اليوم) على (إنّ أصحاب الجنة اليوم) فأصحاب الجنة أخذوا نصيبهم من الجزاء يوم القيامة، مقابل أصحاب النار- المجرمين- « فالخطاب في صورته السطحية من حيث اختلاف الأفعال الكلامية يفضي إلى الفصل حسب القاعدة، لكن تأويل هذا الاختلاف بالاستعانة بالمقام يؤدي إلى الوصول بالخطاب إلى صورته العميقة فتصبح القاعدة هي

1- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص 68.

2- التوبة/60.

3- ابن الأثير، المثل السائر، ج2/ 241.

4- القول للسكاكي، خلود العموش، الخطاب القرآني، ص73.

5- يس/55-59.

الوصل»⁽¹⁾. وذكر الآلوسي أنّ (الشغل) هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه في شؤونه، وهو مصدر، وهو من الفعل (شغله) (يشغله)⁽²⁾.

وتجلى عندئذ خرق القاعدة ممّا شكّل لطيفة أسلوبية مثيرة في التحول من ضرورة الفصل تقديراً للمعنى التركيبي، إلى الوصل سياقياً مراعاة لمقتضى الحال والمقام في مخاطبة الفريقين. ولذا فإنّه من مبادئ الوصل في الجمل «أن يقطع بعضها عن بعض ما لم يكن بينهما مالم يجمعها من جهة العقل أو الوهم أو الخيال»⁽³⁾، ومثال ذلك أن يتمّ وصف تركيب لغوي معيّن لنص من النصوص اللغوية، من لدن مجموعة المفسرين المختلفين مذهبياً، فينشأ عن كلّ تفسير معنى يختلف عن الآخر بحسب قدرات كلّ مفسر وما يحوزه من معارف وزاد في ذهنه تبعاً لمذهبه وخدمة له.

3- دلالة الحذف:

وقفت على الحذف في المبحث الثاني من الفصل الثاني، وذكرت قيمة الحذف الدلالية والبلاغية من خلال التركيب، وسأقف في هذه المحطة من المبحث عند الحذف بالنظر إلى السياق، لذا «دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات»⁽⁴⁾. قال تعالى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْكُونُ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ...﴾⁽⁵⁾، فالملفت للانتباه هو (حذف المفعول). وحسب الجرجاني في هذا الحذف «...فإمّا ما كان المسقي أغناماً، أم إبلًا أم غير ذلك فخارج عن الغرض، وموهم بخلافه... فاعرفه تعلم أنك لم تجد في حذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن

1- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص 74.

2- الآلوسي، روح المعاني، ج28/23، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج11/355.

3- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص74.

4- السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ص 141، 142.

5- القصص/ 23، 24.

فأوجدت، إلّا لأنّ في حذفه وترك ذكره فائدة جليّة وأنّ الغرض لا يصحّ إلا بتركه»¹، وسياق النص يفرض تحديد المعنى على النحو (وجد أمة يسقون الأغنام) وهكذا في ما تبقى من نص الآية الكريمة، وليس التقدير معرفة مسمى المحذوف من المواشي بقدر معرفته كمحذوف مفعول.

ومثال الحذف جواب الشرط لحمل المتلقي على تصوّر الجواب وتبيّنه، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾² في وصف الكافرين، وقوله تعالى في وصف أهل الجنة ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾³. ففي الآية الأولى غاية لطيفة أسلوبيا وذلك بجعل القارئ يتصور هول النار، ويتصور نعيم الجنة في الآية الأخرى، هذا وقد ذكر السيوطي في مثل هذا الحذف «فحذف الجواب إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عن ذلك لا يتباهى فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه، وترك النفوس تقدّر ما شاءته»⁴.

ومن سياقات الحذف تكثير الفائدة بإيجاد عدّة احتمالات للمعنى، فالتأرجح بين معنى ومعنى، أو بين عدّة معاني يطرح مجموعة معان محتملة، ممّا يضيفي على الحذف السياقي الوقوع في اللبس أو الإشكال. فقد جاء في قوله تعالى ﴿وَجَاؤُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾⁵. فما تقدير المحذوف هنا؟ وما المعاني الممكنة من ذلك الحذف ؟

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 141، 142.

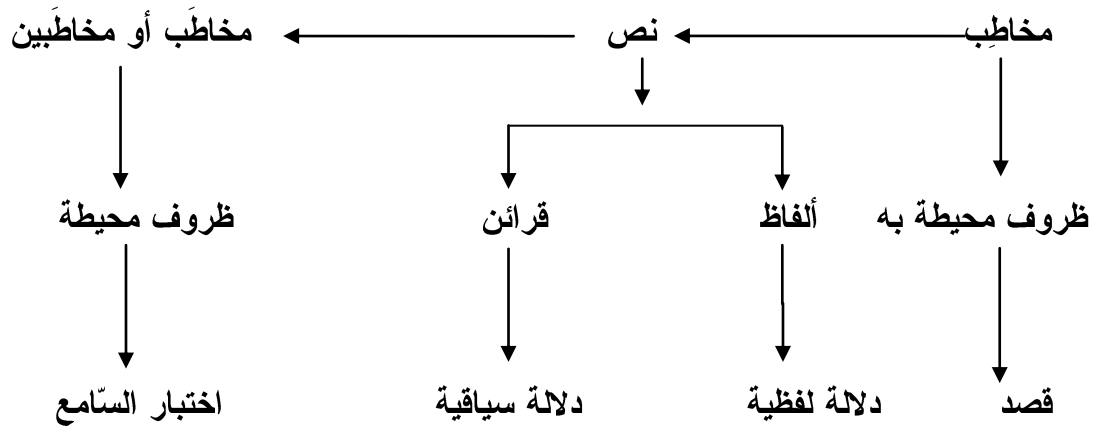
2- الأنعام/27.

3- الزمر/73.

4- السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج 2/157.

5- يوسف/18.

يقدّر ابن الأثير المحذوف بقوله « أي: فأمرني صبر جميل»¹، وذلك لتمكين القارئ من فهم المعنى بالصبر الجميل، و« أمّا إذا كان المسند إليه فاعلاً فإنّ السياقات التي يترجّح فيها حذفه، حين لا يحقق ذكره غرضاً معيّناً في الكلام، أو بحذف للعلم به، أو للجهل به أو الخوف منه وعليه»². ولنا أن نذكر قيمة سياق الحذف أسلوبياً، حين « يرتبط بموقف كلامي أو نمط أدبي تتحرك على أساسه الصياغة، وقد يتصل بظروف المخاطبين، أو المخاطب ويكون متصلاً بعملية التوصيل مثل فهم السّامع، وإذا ما كان هذا الفهم منوطاً باللفظ دون القرائن، وفيما قصد به التنبيه على غباوة السّامع أو غيرها»³. فيمكن تمثيل ذلك بالمخطط الذي أراه- تبعا للقول السابق- على النحو التّالي:



المخطط رقم 3: الخلية السياقية.

ملاحظة: يتمّ مراعاة ظروف المخاطب المحيطة به غير ذات الله عزّ وجلّ المنزّه عن التجسيد

﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾⁴.

1- ابن الأثير، المثل السائر، ج2/184.

2- المصدر نفسه، ج2/184.

3- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص: 79.

4- الشورى/11.

4- دلالة العطف:

هذا القسم من القوانين لا يوجب تماثل الصيغتين الصرفيتين في بنية العمق، والحكم الجازم بوجود عدول عن صيغة إلى أخرى في بنية السطح . ولكنّه - أي هذا القسم من القوانين - يرجّح تماثل الصيغتين الصرفيتين في بنية العمق وحدوث عدول عن صيغة إلى أخرى في بنية السطح . وقانون العطف يتجلّى في كون ضمّ المتماثلات مظهر من مظاهر الاتساق الجمالي والانسجام المنطقي وكان من تمام التماثل بين المتعاطفين ضم المتماثلات صيغياً مراعاة لجمالي الاتساق والانسجام المنطقي. لقد قدمت القول في دلالات العطف المتنوع، وتكشف تأثير أدواته في المعنى سواء من الناحية اللغوية أو البلاغية، وسيكون الحديث في هذا المطلب عن جانب مهم من قضايا العطف التي يكتنفها الإشكال، التي نتناولها بعرض أقوال أهل الاختصاص من اللغويين والمفسرين.

وفي هذا السياق يمكن أن أسوق موقف ابن عاشور من مسألة عطف الإنشاء على الخبر، وقد تناول هذه القضية في أكثر من موضع إلا أن أكثر هذه المواضع بسطاً عند قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾¹ وهي قضية شغلت البلاغيين منذ عبد القاهر الجرجاني الذي حاول أن يجعل سبب صحة العطف وجود مناسبة بين المتعاطفين ، فنحن لا نقول « زيد قائم وعمرو قاعد حتى يكون عمرو بسبب من زيد وحتى يكونا كالنظيرين والشريكين وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عنه أن يعرف حال الثاني»². ومن هنا فإذا عطفت « على الأول شيئاً ليس منه بسبب ولا هو ممّا يذكر بذكره ويتصل حديثه بحديثه لم يستقم»³، فيمنع عطف « استقهام

1- البقرة/25.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص224.

3- المصدر نفسه، ص224، 225.

ولا يعطف الخبر على الاستفهام»¹، ثم استمر الكلام في التعاطف على هذه القاعدة الأصل من وجوب التناسب بين المتعاطفين في المعنى.

فمهما تعددت درجات التناسب وحالاته فقد جعل كثير من البلاغيين من هذا التناسب تناسب الجملتين المتعاطفتين في نوع المعنى، ومجرد النظر كتبهم يطلع الباحث على جانب كبير من هذا الأمر. ويرى السامرائي في مسألة العطف على مغاير في الإعراب أنّ الغرض التوسع في المعنى. ويضرب لذلك مثالا من القرآن الكريم ؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾².

يدلّ على رأيه قائلا: « (أكن) عطف مجزوم على منصوب (فأصدّق) هذا يسمى في النحو عطف على المعنى والفاء في كلمة (فأصدّق) تسمى فاء السببية في النحو التي تقع بعد الطلب (لأن لولا حرف تحضيض) فلو أسقطنا الفاء وأردنا الطلب نجزم على جواب الطلب (لولا أخرتني أصدّق) ... أما لما نجىء بالفاء ننصب. معناها إن تؤخرني أكن من الصالحين على تقدير شرط ؛ أي جواب شرط مقدّر وفي هذه الآية أراد تعالى معنيين ولم يُرد السبب في المعطوف والمعطوف عليه وأراد تعالى أن يجمع بين السبب وبين الشرط. لو قال تعالى (فأصدّق وأكون) لكان عطف سبب على سبب لكنه أراد أن يجمع المعنيين السبب والشرط أي الاشتراط على النفس والاشتراط فيه توثيق فعطف مجزوم على منصوب لإرادة معنيين...»³.

من أشكال العطف التي تحقق للبحث غايته، عطف جملة على جملة، وقيمة المعنى المتوخى من ذلك العطف، ففي ارتباط آيات ذكر الله الحكيم سياقيا، نقف هذه الوقفة التأملية. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص233.

2- المنافقون/10.

3- فاضل صالح السامرائي، أسرار البيان، ص53.

النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ¹، يتساءل المتلقي: عمّ عطف (وبثّ فيها)؟ ولماذا؟

يجيب الزمخشري باحتمالين « أمّا الظاهر فهو عطفه على (أنزل)، وعلى هذا النحو يكون داخلاً تحت حكم الصلّة لأنّ قوله (فأحيا به الأرض) عطف على (أنزل) فاتّصل به وصار جميعاً كالشيء الواحد، فكأنّه قال: (وما أنزل في الأرض من ماء وبثّ فيها من دابة) «² هذا من جهة. ومن ناحية أخرى « أمّا الجائز فهو عطفه على قوله (أحيا) على معنى (فأحيا بالمطر الأرض وبثّ فيها من كلّ دابة)؛ لأنّهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة»³.

وبيان العطف سياقياً يتلاءم مع التخريجين نتيجة تماثلها من حيث المسبّب، وما ينتج عنه ففي (أنزل فأحيا) « دخلت الفاء على (أحيا) ولم تدخل على (بثّ). فالإحياء نتيجة مترتبة عن نزول الماء، ويمكن أن تقوى هذه العلاقة السببية، إذا اعتبرنا سلسلة النتائج التي ترتبت عن إنزال الماء بين (بثّ) وأنزل عبر الوسيط (أحيا)؛ لأنّه شرط ضروري لقيام الحياة على الأرض»⁴.

وفي شكل آخر من أشكال العطف، ما جاء به الرازي موضحاً، ومبدياً تمييزه بين معاني العطف في السياقات المختلفة في تفسيره للآية الكريمة ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁵، في مقابل قوله تعالى أيضاً ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾⁶.

1- البقرة/164.

2- الزمخشري، الكشف، ج1/315.

3- المصدر نفسه، ج1/315.

4- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص222.

5- البقرة/05.

6- الأعراف/179.

والشاهد هو العطف بالواو في الآية الأولى (وأولئك)؛ وعدمه في الآية الثانية (أولئك) ويبرّر الرازي ذلك بقوله: «قد اختلف الخبران هنا فلذلك دخل العطف، بخلاف الخبرين هناك فإنهما متفقان، لأنّ التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهايم شيء واحد، وكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل»¹، وبالتالي كان العطف في الآية مناسباً بجعل (الهدى) و(الفلاح) جزاء كل مؤمن، فنعمة الفلاح نتيجة حتمية لنعمة (الهدى) بخلاف الآية الثانية التي يتساوي فيها الغافل بـ(البهيمة).

أمّا في العطف السببي، يسوق الرازي تفسيراً له في قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾²، هذا وتفسيراً لقوله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾³. فيرى في الأولى العطف بحرف (الواو) في الجملة (اسكن...وكلا)، أمّا في الأخرى عطفًا (بالفاء) في الجملة (اسكن أنت...فكلا)، وفي هذه اللّافتة ما يدعو للتأمل، فلماذا عطف بالواو في موضع؟ ولم عطف بالفاء في موضع آخر؟

ومردّد ذلك حسب «كل فعل عطف عليه شيء، وكان الفعل بمنزلة الشرط، وكان ذلك الشيء بمنزلة الجزاء، عطف الثاني على الأول بالفاء...»⁴، فإذا كان معنى حرف العطف الفاء يفيد الترتيب والتعقيب، فالتعبير به هنا يفيد السببية، أي فعل دخول الجنّة بمنزلة الشرط، قابله فعل (الأكل) وهو بمنزلة الجزاء، فالله تعالى كرّم سيدنا آدم وأمنّا حواء بالأكل كجزاء لهما بدخول الجنّة. ويرى في العطف بالواو، أنّ الثاني غير متعلق بالأوّل، فليس(السكن) والمتمثل في دخول الجنّة سبباً للأكل

1- الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ج1/34.

2- البقرة/35.

3- الأعراف/19.

4- الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ج3/4.

« فلما لم يتعلّق الثّاني بالأوّل تعلّق الجزاء بالشرط وجب العطف بالواو دون الفاء»¹، فالعطف بالفاء التي يستفاد منها السببية غير العطف بالواو، والسياق وحده كفيّل بكشف مثل هذا في القرآن الكريم.

5- المُشكّل اللغوي في منظور السيّاق:

يحتاج المتلقي في تحديد دلالات المشكل اللغوي من النص الذي يكتنفه غموض وإبهام إلى تدبّر وتمعّن في بنيته، ولذا فالمتلقي في حاجة « لفهم تلك الدلالات إلى تأمل وتجاوز، واستدعاء للأطر النظامية أو النحوية التي نُسجت فيها تلك النصوص، ولأحوال السياق وأبعاده الاجتماعية والبيئية والثقافية»²؛ وغاية البحث في هذا الإطار، تُجلى أسباباً يُفرز فيها السياق الدلالة المطلوبة، ومن بينها:

5-1- أسباب صرفية:

لقد لجأ العلماء في تحكيم السياق في إيضاح دلالة الصيغة على غير أصلها الاشتقاقي ، وقد وقع مثل ذلك للمفسرين في الفعل (تفكّهون) في قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾³؛ ذلك أن فعل (تفكّهون) من مادة (فكه) والمشهور أن هذه المادة تدل على المسرة والفرح ، ولكن السياق سياق ضد المسرة وبيانه بقوله: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾⁴ يؤيد ذلك ومن هنا وقع الإشكال. ويستظهر صاحب التحرير جملة من أقاويل المفسرين حول هذا الإشكال مورداً بعضها بقبول وبعضها بحذر ، إلى أن يبلور الدلالة المقترحة لهذا الفعل في ظل السياق المشار إليه في أحد احتماليين:

1- الفخر الرازي، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ج4/3.

2- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص361.

3- الواقعة/65.

4- الواقعة/67.

الأول: « أن يكون جاريًا على ظاهر مادة فعل تفكّهون ، ويكون ذلك تهكمًا بهم حملا لهم على معتاد أخلاقهم من الهزل بآيات الله »¹ ويبدو أنه يرجح هذا ويستريح إليه لأنه ذكره أولا وجعل له قرينة وهي قوله تعالى على لسانهم: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾².

والآخر « أن يكون محمل الآية على جعل تفكّهون بمعنى تتدمون وتحزنون »³. وذلك على تقدير أن التضعيف في الفعل للدلالة على الإزالة والسلب ، أي أنّ التضعيف فيها يفيد السلب والإزالة كما في تخرج أي أزال الحرج، وتحوّب أي أزال الحوبة.

5-2- أسباب تركيبية:

يحتمل القرآن الكريم- وهو حمّال أوجه- أكثر من معنى، بالنظر طبيعة نظمه، والتركيب الذي تظهر عليه بنيته، فكلما طرأ اختلاف في بنية التركيب إلا وخلف معه أثراً على الدلالة، فهذه المعاني « تقع فيها دقائق وخفايا إلى حدّ ونهاية، وأنما خفايا تكتّم أنفسها جهدها حتّى لا ينتبه لأكثرها، ولا يعلم أنّها هي وحتّى لا تزال ترى العالم يعرض لها السّهر فيه... وكلّ ذلك لشدة الخفاء وفرط الغموض »⁴. والتروّي سبيل فكّ الأسرار والغموض الذي يغشي النصّ « ذلك أنّه إذا جاء التركيب بيّنا فيه أنّه لا يحتمل إلّا الوجه الذي هو عليه حتّى لا يُشكّل وحتّى لا يحتاج في العلم- بأنّ ذلك حقّه وأنّه الصواب- إلى فكر وروية »⁵.

1- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27/323.

2- الواقعة/66-67

3- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج27/323.

4- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص239، 240.

5- المصدر نفسه، ص280.

ويورد محمد عبد المطلب قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾¹، ويرى في هذا التركيب «انتهاك للرتب بتحريك الألفاظ من أماكنها الأصلية إلى أماكن أخرى أضفت على الدلالة طبيعة جمالية نفتقدها إذا ما عدنا بها إلى رتبها الأولى»².

وليس الغرض بحث القيمة الجمالية - كما جاء في القول - بل تحري قيمة خرق القاعدة في ترتبها، وقد أوضح عبد القاهر الجرجاني ما بين التقديم والتأخير الحاصل في تركيب الآية الكريمة من حيث تخصيص (شركاء) وعدمه ومن حيث المفعولية، فقدّر في التقديم «(أنّ شركاء) مفعول أول لجعل ولفظ الجلالة (الله) في موضع المفعول الثاني، ويكون (الجنّ) على كلام ثان وعلى تقدير: ... فمن جعلوا شركاء لله تعالى؟ فقل: الجنّ... وقع الإنكار على كون شركاء الله تعالى على الإطلاق من غير اختصاص... وحصل من ذلك أنّ اتّخاذ الشريك من غير الجنّ قد دخل الإنكار دخول اتّخاذ من الجنّ؛ لأنّ الصّفة إذا كانت مجردة غير مجرّاة على شيء كان الذي يعلّق بها من النصّ عاماً في كلّ ما يجوز أن تكون له الصّفة»³.

هذا وقدّر في التأخير ما نصّه «... فقل: وجعلوا الجنّ شركاء لله، كان (الجنّ) مفعولاً أول، و(الشركاء) مفعولاً ثانياً، وإذا كان كذلك كان (الشركاء) مخصوصاً غير مطلق من حيث كان محالاً أن يجري خبراً على (الجنّ)، ثم يكون عامّاً فيهم وفي غيرهم... احتمل أن يكون القصد بالإنكار إلى (الجنّ) خصوصاً أن يكونوا شركاء...»⁴.

1- الأنعام/100.

2- محمد بن عبد المطلب، البلاغة الأسلوبية، د ط، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص 249.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 240-241.

4- المصدر نفسه، ص 241.

ويمكن فهم ما ذهب إليه الجرجاني على النحو التالي:

أ- في التقديم: لا ينبغي أن يكون لله شريك لا من جنّ ولا من غيرهم وفي هذا إنكار أن يعبد مع الله أحد، فشركاء مطلق غير مختص.

ب- في التأخير: لا يعدو الأمر سوى إخبار عن عبادة الجنّ مع الله تعالى بالتالي خصّص الشركاء من غير إطلاق.

ولذا « فالنظر إلى ما ترتب على التقديم والتأخير ينبّه إلى عظم شأن النظم وكيف يؤثر ذلك في المعنى تأثيراً بالغاً...و أيّ تغيير في النظام التركيبي للجملة يترتب عليه بالضرورة تغيير الدلالة وانتقالها من مستوى إلى مستوى آخر»¹.

وفي دلالة (التنكير) من (التعريف) دليل آخر مهمّ في خرق التركيب لنظم مقصود. والمراد بالتعريف لغة: الإعلام، وهو ضدّ التنكير²، أي إنّ التعريف يرتبط دلاليّاً بالوضوح والبيان، وحقيقة الشيء والإعلام، والتسمية والماهية. أمّا التنكير فيرتبط بالجهل بحقيقة الشيء، وعدم تعيينه أو تحديده، فهو ضدّ البيان والوضوح³. وقد حاول النحويّون القدماء إيجاد فاصل بين الأسماء والمعارف والأسماء النكرات، فجعلوا التنوين اللاحق للأسماء دلالة على التنكير، والأداة (ال) السابقة لها واحدة من دلالات التعريف.

وقد عني علماء اللغة والنحو بموضوع التعريف والتنكير عناية بالغة، وذلك لأهميّة هذا الموضوع في تفسير الأحكام النحويّة. ولم تقتصر مسيرة العناية بالتعريف والتنكير على علماء النحو فحسب، بل امتدّت حتّى تولّاهم البلاغيّون مستوفين التصنيفات النحويّة الخاصّة بهذا الموضوع ومحاولين تحليل هذا الأسلوب والبحث في أغراضه وفوائده الدلاليّة من خلال المعنى السياقيّ

1- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص250.

2- ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3 / 180 (عرف).

3- ينظر: أحمد عفيفي، التعريف والتنكير في النحو العربي، ط1، 1905، مصر، مكتبة زهراء الشرق، ص19.

التركيبى. ومثال ذلك ما أورده¹ من دلالات في تكرير المسند والمسند إليه وتعريفهما منها: أن التكرير في المسند إليه قد يقع للأفراد، أو يراد به التكرير أو التقليل وغير ذلك من الأغراض الدلالية. وقد أدرك المفسرون النحويون المعاني التي تكمن وراء استعمال اللفظة القرآنية معرفة كانت أم نكرة، وقد اهتمّ النحاة اهتماماً واضحاً بدلالة المعرف بالالف واللام؛ وذلك لكثرة ورود هذا الاسم في التركيب، فكان تعريفه بالالف واللام قرينة واضحة في الإعراب في أبواب كثيرة، ولا يعني ذلك عدم عنايته بالمعارف والآخر ودلالاتها .

ففي قوله تعالى ﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ...﴾²، وقوله أيضاً ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ﴾³، نلاحظ تكرير (حياة) في الآيتين، وسرّ المشكل التركيبى -حسب الجرجاني- أن في الأول زيادة من الحياة (طول العمر)، وكثير من يحبّ الحياة، ويكره الموت، أمّا في الثانية فهي للدلالة على البقاء، فيما تبقى له من الحياة، وكأنّ في ذلك ردع لمن سوّلت له نفسه ارتكاب جريمة القتل⁴.

5-3- أسباب بلاغية:

للسياق في ميدان البلاغة الدور الرئيس في تخريج الدلالات؛ لأنّ بلاغة النصّ تحمل غرضاً مفيداً، والتشكيلات البلاغية من بيان ومعان وبديع اقترنت بالفصاحة، وكان علم المعاني مظهر الرّبط بين النظم ودلالاته، وعليه فإنّ البلاغة تعود للفظ « باعتبار إفادته الدلالة المعينة بالتركيب، وكثير ما يسمى ذلك فصاحة أيضاً»⁵.

1- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص136 وما بعدها، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص91 وما بعدها

2- البقرة/96.

3- البقرة/179.

4- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص242-244.

5- فصول البلاغة، محمد بركات حمدي أبو علي، عمان-الأردن- دار الفكر، 1983م، ص72.

والبلغ - في خضم هذا المعنى - يراعي مقتضى الحال في كلامه مع فصاحته، ويشير إلى المعنى بإشارات إيحائية تقرّب المعنى البعيد، ولذا كانت البلاغة في التعبير عن المعاني القائمة في النفس لأجل تبليغها¹ في حدود السياق. ولعلّ في غموض الدلالة المذكور مسبقاً ما يبرز بعض العيوب في المعاني، ولذا فإنّها لا تتأتّى إلّا بجدارة الكلمة وموضعها في الجملة، وحسن جوارها مع غيرها من الكلمات؛ ولنضرب الأمثلة التالية:

أ- التورية:

هي التي يقصد بها معنى بعيد يورى عنه بالقرب، حيث جاء في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾²، ولنقف عند لفظة (استوى) ومنزلتها من السياق « فَإِنَّ الاسْتِواءَ عَلَى مَعْنَيْنِ: الاستقرار في المكان أو المعنى القريب المورى به الذي هو غير مقصود لتتزيهه تعالى عنه والثاني: الاستيلاء والملكوت، هذا المعنى البعيد المقصود وري عنه بالقرب المذكور»³. واللافت في الآية الكريمة عدم ورود قرينة تدلّ على إحدى لوازم المورى عنه حتّى يهتدي الذّهن إليه، وتلك أي انعدام القرينة، والتورية تشكيل لتجاوز يفهم معناه سياقياً فقط.

ب- قلب الإسناد:

في قلب الإسناد لطيفة أسلوبية في بلاغة القرآن، وهي بمثابة مثير حين يحدث شرخ بين ما يشمل الإسناد ومقصده، فقد جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ...﴾⁴. فالإسناد ههنا يشمل إسناد (لتنوء) إلى (المفاتيح)، والغاية إسناد (لتنوء) إلى العصبية، فماذا بين القلب في الإسناد، وعدمه من حيث السياق؟

1- ينظر: فصول البلاغة، محمد بركات حمدي أبو علي، ص18.

2- طه/05.

3- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 380.

4- القصص/76.

يذكر الزركشي أنه لا قد يقع قلب في الإسناد، فهو يرى «أنّ الفعل غير المتعدي بالباء مقيس، والقلب غير مقيس، والحمل على ما هو مقيس أولى»¹، ومعنى كلامه أنّ تحكيم القاعدة النحوية يحدّد حقيقة المعنى؛ إذ أنّ الواجب إسناد (لتنوء) إلى (المفتاح) نظراً لثقلها فيكون معنى الجملة (المفتاح لتنوء بالعصبة)، وفي العلاقة الإسنادية يظهر: (المفتاح) مسند إليه، و(لتنوء) مسند و(بالعصبة) فضلى لمقارنتها بالمفتاح.

أمّا أن يكون قلب في التركيب السابق بإرادة إسناد (لتنوء) إلى (العصبة)؛ «لأنّ الباء للحال، والعصبة مستصحبة المفتاح - لا تستصحبها المفتاح - ووظيفة هذا القلب المبالغة في الدلالة بجعل المفتاح كأنّها مستتبعة العصبة القوية بثقلها»².

ج- التضمين:

يعرّفه التهانوي في كشافه «إيقاع لفظ موضع غيره لتضمّنه معناه»³، وغرض ذلك التوسع في الدلالة، وقيمة المثير الأسلوبية الدلالية تتّضح في ضوء ذلك، بحيث لم يُراد باللفظ معنى غير معناه الذي أريد له؟

قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾⁴. فتعدي الفعل (يشرب) بالباء لتضمينه معنى (يتلذذ) هذا من ناحية، وتضمين الباء معنى (من) من ناحية أخرى لاحتمال عدم فناء العين. وبالتالي فإنّ حلّ إشكال (المشكل اللغوي) يتمّ بتحليل تركيبه الذي يظهر عليه، وكشف علاقاته بلاغياً ليس هذا فحسب، بل تحكيم (السياق) لإحاطته بكل ما يجمع تلك العلاقات القائمة تركيباً وبلاغة وأسلوباً.

1- الزركشي، البرهان، ج3/334.

2- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص383.

3- التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج1/866.

4- الإنسان/06.

6- أثر السياق في توجيه الإعراب:

يُعدّ الإعراب من خلال السياق قرينة من قرائن الدلالة، ذلك أنّ السياق يقوم على القرائن كما أسلفت ذكره، ولذا كلّما حدث تغيير في الحركة أصاب معه الدلالة « وإذا انبههم في التركيب تحولنا في بيان الدلالة إلى القرينة أخرى من قرائن السياق، فأنت لا ترفع الكلمة في الجملة الفعلية إلا للدلالة على الفاعل، ولا تنصبها إلا للدلالة على أحد المفاعيل أو المنصوبات»¹، وإذا حكمنا السياق تتوسّع دلالة الجملة.

وعليه يتمظهر السياق في توجيه الإعراب عند كمال المعنى، وكماله مقترن باكتمال السياق المحيط بالجملة المكوّنة للمعنى، ويراعى كذلك الشرح الوافي للمعنى بعد كلّ وجه من الإعراب، وكذا استصحاب الحال في توجيه الإعراب استناداً على المعنى.

6-1- البناء والتّجانس:

ويستلزم ذلك الحيطة في توجيه إعراب النصّ لتوحي المعنى المراد بالنظر في عناصر السياق وظواهره، ومثال ذلك في قوله تعالى ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾². قال الألوسي: « (بعض) في الأصل مصدر بمعنى (القطع)، وهو يطلق على الجزء)، وهو من الفعل (بعضه) (يبعضه)»³. يرى النّحاس « (بعضكم) مبتدأ وعدوّ خبر، والجملة في موضع نصب على الحال والتقدير: وهذه حالكم...، ويقال: كيف قال عدوّ، ولم يقل أعداء؟ ففي هذا جوابان: أحدهما أنّ (بعضاً) و(كلّاً) يخبر

1 - هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص90.

2 - البقرة/36.

3- الألوسي، روح المعاني، ج1/319، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج7/120.

عنهما بالواحد وذلك في القرآن، قال عز وجل ﴿وَكُلَّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾، والجواب الآخر أن (عدواً) يرد في موضع الجمع، قال تعالى: ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ...﴾ بمعنى أعداء¹.

وتحليله النحوي قائم على رفع (بعضكم) في القراءات، والإخبار بالمفرد (عدو) بدل الجمع (أعداء)، ومنه كان إعرابه (بعضكم) مبتدأ، وعدو خبر حتى يتشكل معنى مفيد من الجملة الإسمية وهي في محل حال اعتباراً لمحلّ الجمل من الإعراب، وفي الإخبار بالمفرد لافتة مثيرة يناسبها من التخريج ما قاله. ففي تحليله هذا عالج مسألتين: «أولها: التقدير بناءً على المكونات التي اختارها وهي تصنع سياقاً قابلاً للقراءة هو هذا التقدير، وثانيها اهتمامه بمسألة تتجانس السياق وتشاكله فالخطاب خطاب الجمع (اهبطوا، بعضكم) ولذا يجب أن تتجانس عناصر هذا الخطاب، وإذا خرج أحد العناصر عن هذا فلعلّ سياقاً ولا ريب... وهي هنا تسمح بمجيء (عدو) كدال على الجنس وليس على المفرد»².

6-2- زمن الخطاب:

يقتضي فهم المعنى مراعاة زمن الخطاب كونه عنصر من عناصر المقام، ووسيلة لتساقفه ففي قوله تعالى ﴿...فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ...﴾³، والشاهد في توجيهه (الآن) إعرابياً في حدود السياق.

يرى العكبري « حقيقة (الآن) الوقت الذي أنت فيه، وقد يقع على الماضي القريب ومنك وعلى المستقبل القريب وقوعه... أي فالوقت الذي كان يحرم عليكم الجماع فيه من الليل قد أبحناه لكم فيه، فعلى على هذا (الآن) ظرف لـ (باشروهن) ، وقيل: الكلام محمول على المعنى، والتقدير

1- النحاس، إعراب القرآن، ج1/241.

2- خلود العموش، الخطاب القرآني، ص374.

3- البقرة/187.

(فالآن قد أبحنا لكم أن تباشروهن)، ودلّ على المحذوف لفظ الأمر الذي يراد به الإباحة¹. وفي هذه القراءة لمعنى الآية الشريفة تظهر كيفية تجلّي حقيقة المعنى فدلت (الآن) على الظرف الذي هو وقت الليل المناسب لسياق الآية، ودلت على تقدير محذوف بعد (الآن) التي تفيد الظرفية في الماضي والحاضر والمستقبل، فالعلاقة القائمة بين الجمل تحدّد الحدث ، ويحمل الزمن على كشفه.

وكشف علاقة زمن الخطاب بالنص يتوافق مع الحال أو الظرف، ونلّف في هذا في قوله تعالى ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾². وجاء في تخريج (في أرحامهن) إعرابيا « وهي حال مقدّرة لأنّ وقت خلقه ليس بشيء حتّى يتم خلقه »³، ولذا وجب على المطلقات إعلام من يهمنه الأمر بالحمل منذ بواذره الأولى وليس بعد مرور الوقت، لأنّ في ذلك ضرر.

6-3- حال المخاطب واستصحاب الحال:

يولي أهل الإعراب حال المخاطب أهمية، ولذا كان الإمام بظروف المتلقي وثقافته في نظرية التلقي غاية حتمية، ووسيلة مثلى لتوجيه النص. ومثال ذلك في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁴، فلم كانت إجابتهم (بلى) بدلا عن (نعم) في المنظور الإعرابي السياقي؟

1- العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج1/155.

2- البقرة/228.

3- العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج1/181.

4- البقرة/80،81.

يبرّر النّحاس جوابهم بقوله «... فموقف الخطاب وجزمهم بالنّفي وهو نفي مسّ النّار لهم استدعى هذا الجواب (بلى) وليس (نعم)»¹، أي أنّ الجواب بـ(نعم) بعد النفي لا يجوز فكان الجواب بـ(بلى) حتّى تقدّر الجملة (قالوا لن تمسنا النّار... بلى من كسب سيئة) وعليه كان المعنى تأكيد على أنّ مسّ النّار أمر مقضي لا ريب فيه.

وفي استصحاب الحال في تحديد المعنى بتوجيه إعرابي ما يوافق ما ذكرته آنفاً، فقد جاء في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ...﴾²، والشاهد في قوله تعالى ﴿... لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ...﴾، فمن أوجهها الإعرابية وقوعها (حال)، ولنا أن نتساءل، لماذا؟، وذلك «تقديره: أخذنا ميثاقكم موحدّين، وهي حال مصاحبة ومقدّرة، لأنهم كانوا وقت أخذ العهد موحدّين، والتزموا الدّوام على التوحيد، ولو جعلتها حالاً مصاحبة فقط على أن يكون التقدير: (أخذنا ميثاقكم ملتزمين الإقامة على التوحيد) أبداً ما عاشوا»³. ولذا كان جعل (الحال) مقدّرة أنسب منها (حال مصاحبة)، فبنو إسرائيل بقوا ملتزمين التوحيد لفترة وجيزة من الزمن، ثمّ تحوّلوا عنه.

ومما تفيدّه الجملة الفعلية استحضار صورة الماضي، ويكون ذلك عند التعبير عن الحدث الماضي بالفعل المضارع. وقد تنبّه أبو السعود إلى هذا في تفسيره، من ذلك ما ذكره في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾⁴. فقد علّل إيراد الفعل (تلقف) على صيغة المضارع في الآية بـ «استحضار صورة اللقف الهائلة»⁵. فالفعل (تلقف)

1- النّحاس، إعراب القرآن، ج1/ 241.

2- البقرة/83.

3- العكبري، التبيان في الإعراب القرآن، ج1/83.

4- الأعراف/117.

5- إرشاد العقل السليم، ج3/ 260.

عُبر به عن حدث مضى وانتهى من زمن بعيد ، ومما يؤكد دلالته على الماضي وروده في سياق ذكر أخبار الأنبياء والرسل¹.

وهذا الفعل أفاد استحضر صورة هذا الحدث في ذهن السامع؛ لتكون قريبة من ذهنه، فيشعر بها ويحسها كأنها حية ماثلة أمام عينيه في الوقت الحاضر، وهذا ما أشار إليه ابن هشام حين قال: « إنهم يعبرون عن الماضي والآتي، كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصداً لإحضاره في ذهن حتى كأنه مُشاهد حالة الإخبار»². وعليه أفاد الفعل (تلقف) — أيضاً — دلالة السرعة في الحدث ، وذلك بعضد القرائن السياقية في الآية ، لا سيما سبقه بـ (إذا) الشرطية الدالة على السرعة المفاجئة ، وبمثل ذلك قال طائفة من المفسرين³.

7- دلالة الخبر والطلب:

يعرّف الخبر بأنه الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته⁴، ويخرج من هذا التعريف الأخبار الواردة في كتاب الله سبحانه وتعالى والأحاديث الشريفة والحقائق العلمية والبدهيّات التي لا يشكّ فيها، ولا تحتمل الكذب مع أنها إخبار عن شيء⁵. وقد اختلف البلاغيون في مفهوم الخبر من حيث انحصاره في الصادق والكاذب فرأى أغلبيتهم أنه ينحصر فيهما ، وأن المراد بالخبر الصادق الكلام الذي يطابق حكمه الواقع الخارجي . أمّا الكاذب، فهو عدم مطابقة الكلام لواقع الحال⁶، وهو كذلك لدى أبي السعود.

1- ينظر: بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، ط1، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 1998م، ص 102-107 .

2- ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، ج2/905، 906 .

3- ينظر: القرطبي، جامع البيان، ج13/55، والألوسي، روح المعاني، ج9/25 .

4- ينظر: ابن جنّي، المقتضب، ج1/123، وابن فارس، الصحابي في فقه اللغة، ج133.

5- عبد الفتّاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن، ج119، 120 .

6- أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج1/36 .

ومما سبق كلّه نصل إلى أنّ صحة التركيب النحوي وسلامة بنيته يُعدّان الأساس الذي يبنى عليه مستوى التأليف من حيث الصواب والخطأ حتى نتمكن من دراسة مستوى الجودة بعد استيفاء بنية التركيب لمعيار الصواب والخطأ، ولكن لا بدّ في هذا المبحث من إيضاح المقصود من (أساليب الخبر والانشاء، والطلب) .

فالخبر كما يقول عبد القاهر هو إثبات المعنى للشيء ونفيه عنه ولا يكون خبراً حتى يكون مخبراً به ومخبر عنه؛ لأنّه ينقسم إلى إثبات ونفي، والإثبات يقتضي مثبتاً ومثبتاً له والنفي يقتضي منفيّاً ومنفيّاً عنه ومعاني الكلام كلها لا يمكن تصورها إلّا بين شيئين ويبدو لي انهما عند عبد القاهر الجرجاني ركنا الجملة (المسند والمسند إليه) اللذان سماهما المثبت والمثبت له أو المخبر به والمخبر عنه أو المنفي والمنفي عنه¹.

وقد عد عبد القاهر التركيب الخبري هو الأصل²، وهو عنده « أول معاني الكلام وأقدمها والذي تستند سائر المعاني اليه وتترتب عليه »³، وهو ايضاً اساس معاني الكلام وما وظيفة (حرف المعنى) عنده الا نقل المعنى من الخبر الى الاساليب الاخرى من دون ان يشارك في تركيب الجملة من ذلك قوله : « أو تتوخّى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيّاً أو استفهاماً أو تمنياً فتدخل عليه الحروف الموضوعية في ذلك أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطاً في الآخر فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى »⁴. ونخلص من السطور السابقة إلى أن الخبر عند عبد القاهر الجرجاني أعظم الأساليب شأناً وهو الأصل الأوّل لها اذ يتصور بالصور الكثيرة وتقع فيه الصناعات

1- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 460. وأسرار البلاغة، ص 338 وما بعدها.

2- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 460.

3- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 338.

4- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص 98.

العجيبة وفيه تكون المزايا التي بها يقع التفاضل بين مستويات التراكيب من حيث تعبير بنياتها عن اغراض المتكلم وفصاحتها¹.

وعليه؛ يعول المختصون على السياق في إظهار دلالة النص استناداً على تحديد أنماط الخبر والطلب، ويتجسد هذا التعويل بإزالة الإشكال الملتبس من على معنى النص اللغوي، فكلما تعددت تلك الأنماط، برزت دلالات متنوعة، ولعل الأمثلة التالية توضح المبتغى.

جاء في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾²، واللافت في هذا التركيب أن الله تعالى يعلم الجهر وما يخفى، فكيف يخفى عليه تعالى ما قاله سيدنا عيسى عليه السلام؟ ودلالة الآية الكريمة تنحصر في الغرض من الاستفهام الوارد في الآية أهو استفهام حقيقي من الله تعالى؟ وهذا ما لا يجوز لأنه عز وجل أعلم، أم المراد به (التقرير)، وفيه يكون الإنكار بعد السؤال أكثر شدة في التوبيخ، وأبلغ وقعا وتأثيراً³.

ويذهب الجرجاني أكثر من ذلك تعميقاً للتحليل، فيذكر في معرض قوله تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁴، بخصوص مزية (تقديم المفعول)، فكان في الطلب « من الحسن والمزية والفخامة ما تعلم أنه لا يكون لو أخر...لأنه قد حصل بالتقديم معنى قولك: أكون غير الله بمثابة أن يتخذ ولياً؟ وأ يرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك؟ وأ يكون جهل أجهل وعمي أعمى من ذلك؟ ولا

1- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 461.

2- المائدة/116.

3- ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 340.

4- الأنعام/ 14.

يكون شيء من ذلك إذا قيل، أ أتخذ غير الله ولياً؟¹، وعلى هذا فائدة تقديم المفعول (غير) تخصيص دقيق في ذات الله تعالى.

وجاء كذلك في معنى « (أطعم) أي: يرزق ولا يرزق، وهي (افعل) بمعنى (استفعل)، أي: هو (يطعم) ولا (يستطعم)، أي: لا يطلب طعاماً ويأخذه من غيره) »²، وبهذا هو يخالف الزمخشري إذ جاءت صيغة (أفعل) عنده في هذه الآية الكريمة بمعنى التعدية³. ولا يسعنا مقام الحديث هنا، أن نذكر كل الدلالات التي يخرج إليها الاستفهام، وذكرنا لما سبق تمثيلاً للمثير الأسلوبي في السياق، والحال نفسه في مقام البحث ككل سواء الذي ذكرته ومثّلت له، أو الذي لم أذكره وهو كثير.

1- الجرجاني، أسرار البلاغة، ص113.

2- الآلوسي، روح المعاني، ج7/141.

3- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج3/325.

خلاصة:

يؤدّي السياق دوراً مهماً في تحديد الدلالة الوظيفيّة في القرآن الكريم، باعتباره نظرية قائمة بذاتها والتي تُعنى بدراسة المعنى عن طريق توظيف كلّ ما يُحيط بالموقف الكلامي من قرائن لفظيّة وحالية ومقاميّة، وينبثق المثير الأسلوبي من عمق توظيف تلك القرائن.

إنّ نظرية السياق تتشعّب في الدرس العربي، سواءً عند النحاة أو البلاغيين أو الأصوليين، وجدير بالذكر أنّ هذا الفصل ليس دراسة خالصة لنظرية السيّاق، وإنّما هو محاولة لتوظيف قرينة السيّاق بالمثير الأسلوبي في تحديد الدلالة الوظيفيّة للقرآن الكريم؛ إيماناً منّي بأهمية مُسايرة المصادر القديمة للطرق العلميّة الحديثة في إعداد البحوث اللغوية بتسليط الضوء على تراثنا اللغوي في ظلّ مناهج حديثة لدراسة اللغة، وهو الأمر الذي تمثّلته من خلال دور السياق في إظهار دلالة المثير الأسلوبي في هذا الفصل لا سيّما في المبحث الثاني منه.

إنّ النصّ القرآني معجز في كلّ جانب من جوانبه، لذلك فهو يتيح لنا البحث في مجالات واسعة وعميقة منه، وهذا شأن القرائن اللفظية والمعنوية والحالية وغيرها في الجملة العربية، من خلال الأثر والوظيفة، وهو ما يعرف بقرينة السياق، وتّضح أنّ القرآن الكريم يستخدم مفهوم السياق بمعنى الانزياح باعتباره أحد أشكال المثير الأسلوبي واستعمالاته - انظر الفصل الأوّل - وإنّ لقرينة السياق أهمية قصوى كونها تعمل على كشف أسرار الكثير من المعاني والخوض في اختيار الكلمات القرآنية؛ إذ تعامل العلماء مع النصّ القرآني كونه نصّاً مقدساً. فاشتراطوا في المفسّر أن يراعي السياق اللغوي فيتم استحضار النصّ القرآني بأكمله عند تفسير بعضه.

كما يحدّد السيّاق الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها. فتعرّضوا للعلاقة بين المتكلم وما أراد من معنى والمخاطب وما فهمه من الرسالة. ويقوم السيّاق - ووضع الكلمة في موقعها داخل التركيب اللغوي - بتحديد دلالة الكلمة تحديداً دقيقاً مهما تعددت معانيها.

ثمّ إنّ السياق يتألف من ألفاظ محكومة بقيود نحوية - كما أبنت عنه في الفصل الثالث من هذا البحث -، حيث إنّ رصف المفردات سياقياً يعطي دلالة خاصة لبعض المفردات التي قد تبدو دلالاتها غامضة إذا ما رُفِع ما يجاورها من مرصوفات لفظية؛ إلّا أنّ الدلالة لا تقتصر على هذه العملية فحسب؛ إذ ثمة دلالات لا تُعرف بالترتيب اللفظي، وإنّما يُتوصل إلى إدراكها بحيثية قاعدة الترتيب الدلالي تأسيساً على معطيات الوظائف النحوية، وهذا ما علا به صوت عبد القاهر الجرجاني صراحة.

ويجدر بالذكر في هذا المقام؛ الإشارة إلى وثاقة الارتباط بين النفس البشرية واللغة، ومن هنا كانت لكيفية اختيار بعض الألفاظ دون غيرها - بما يقتضيه السياق النفسي لها - أثر في توجيه الدلالة إلى مسارها الإثاري للمتلقى، وتكون بذلك دلالة الألفاظ المنتقاة في السياق من مقتضيات النفس، وذلك ما كشفت عنه أنفاً في المبحث الأول من الفصل الأول.

لقد أشار الدكتور محمد حماسة إلى أهمية السياق في الوصول إلى (المعنى النحوي الدلالي) فقال: « ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم»¹. فكما يمدّ العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة؛ يمدّ العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه، فبين الجانبين أخذ وعطاء وتبادل تأثير. فلا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف، والتقديم والتأخير، ولا ينكر أنّ دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصّها في مواقف أخرى، تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة.

1- النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، ص98.

لم يكن علماء العربية بعيدين عن إدراك وظيفة السياق ودلالته، فقد اهتمّ علماء القرآن بالسياق طلباً لفهم دلالة النصوص الشرعية . وتجلّى إدراكهم في ربط عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه، وذلك عند حديثه عن نظرية النظم، وربط الكلام بمقام استعماله؛ لأن كل تحليل لا يكون إلّا عند فهم المعنى الوظيفي لكل تركيب. كما اعتمد النحاة على السياق في التقعيد النحوي، ويبدو ذلك جلياً من اعتمادهم على السياق اللغوي في بيان مبنى التركيب ودلالته وتجويزهم بهذا السياق حذف أحد عناصر الجملة، وطريقة ترتيب هذه العناصر اللغوية داخل التركيب. واستعانوا بملاحظات الحال في التوجيه النحوي.

وأختم بالقول: إنّ دراسة دلالة السياق هي دراسة عربية، وأقصى ما يمكن الإقرار به من فضل للنظريات الغربية كنظرية (فيرث) السياقية مثلاً؛ هو وضع الإطار النظري للفكرة في إطار نظرية متكاملة الجوانب. كما تتمتع قرينة السياق بقدرة فضّ المعاني المشتركة وإحالاتها سياقياً إلى معان تنشأ من التركيب بإعمال المثير الأسلوبي وأشكاله العديدة، بحسب السياق الكلي للقرآن؛ الذي يعمل على ربط وتماسك الأجزاء الخارجية للنص، والأجزاء الخفية على نحو يوحى بأهمية وضرورة كبرى لهذه القرينة (وسيلة المثير) التي فيها جوانب كثيرة ومتنوعة لازالت بحاجة إلى متابعة ودراسة للبحث عنها من جميع الزوايا والجوانب الفكرية والعلمية.

خاتمة

خاتمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن نورا يهتدى به، ومعجزا عباده بأسلوبه الفريد، فأعيت بلاغته ودلالاته العقول، فتجاوز بذلك حدود المعقول، أمّا بعد: فقد كان لعلمائنا القدماء فضل وأسبقيّة قراءته دلاليّاً؛ فضل فيض الكتابة في كتاب الله العزيز، وأسبقيّة التناول البلاغي والدلالي والإعجازي له فكانت غايتي جمع ما خلفوه، ومزاوجته بما قدّمه المحدثون في دراساتهم القيّمة، فكان من هذا الزخم المعرفي أن عرفت ما فهمته، وأخرجته بهذه الصورة المتواضعة، كاشفاً عن جانب أسلوبِي ضخم في علاقته بالدلالة على ضوء القضايا النحوية والصرفية والسيّاقية وبعض التشكيلات البلاغية.

واعتماداً على ما احتوته المباحث بعناصرها، وبمنظرة تحصيلية لما توصّلت إليه خلّصت إلى

جملة من النتائج المهمّة، أوجزها بالذكر الآتي:

1- يكتنف النص القرآني كثيراً من الغموض، ويغشي آياته غرابة في ألفاظه، وفي تراكيبه، وفي خرق تراكيبه، لذلك حاز أفضلية. فتطلّب الأمر فكّ أسرارهِ بفكّ مثيرهِ الأسلوبِي طلباً لكشف المعاني، واستجلاء المقاصد، ورفع اللبس عن المعنى المتوخى من وراء كل مثير منه. فتناولت في هذا البحث ظاهرة المثير الأسلوبِي في النص القرآني، وكانت غايتي رصد الآيات القرآنية التي تحقّق جوهره، وتتّبّعه من خلال قراءة دلالية لمرتكزاته الصرفية، والنحوية، والسيّاقية.

2- لَمْ اكتشفت من الآيات القرآنية التي دارت حولها الدراسات تحريّاً لمعانيها ودلالاتها، وتبيّن لي أنّ قراءتها من وجهة دلالية؛ تأويلية كانت أم تفسيرية ناتج عمّا انطوت عليه من غرابة أرهقت أذهان العلماء - على اختلاف مذاهبهم - والدارسين وشكّلت بؤرة دراسة وبحث وتحريّ.

3- المثير الأسلوبِي عنصر من عناصر الأسلوبية، تمّ تناوله في إطار علم النص، وفي التلقي، والغاية من ذلك تخريج المعنى باعتبار المثير الأسلوبِي عنصر مفاجأة يضفي دهشة وغرابة، وقد طبق له في حقلي الأسلوبية والدلالة. ثمّ إنّ معانيته تتمّ في حضور الأثر الأسلوبِي للنص، والذي

بدوره يتكشف بالتحليل الأسلوبي. كما يُعدُّ حضور القارئ متأثراً بالمعاني النفسية التي يخلّفها المثير أمراً في غاية الأهمية؛ لأنّه ركيزة التّلقّي لتمكّنه من تتبّع الأثر الأسلوبي لأيّ نص.

4- نشأة مصطلح المثير الأسلوبي في أحضان الدراسات النقدية، والأسلوبية خاصة، واكتمل نموه في دراسة المعاني والدلالات. فكثرت مصطلحاته المستعملة كمفاهيم له؛ إذ في مفهوم كل مصطلح منها وجه مقارب لمفهومه - على الأقل في ناحية منه- وتجسّد ذلك في غموض المعنى المؤدي إلى عنصر الغرابة.

5- تفرّد القرآن الكريم باعتباره نص لغوي مقدس بظاهرة المثير الأسلوبي، ولذلك فقيمة العدول في الصيغ، والحذف في التراكيب، وتعدّد السياقات أفضل تمثيل لهذه الظاهرة، والنظر فيه لغاية نحوية أو بلاغية يعطي المثير صفته الأسلوبية، ويحقّق له قيمته الدلالية.

6- إذا كان القارئ (المتلقّي) مُسهِماً في تخريج المعنى، ومخوّلاً لفهم النص باعتباره قارئاً نموذجياً وبصفته أحد ركائز نظرية التلقّي؛ فإنّه في فهم القرآن الكريم يتحرّى كل ما يجري داخل التركيب اللغوي للآي، وكل يحيط به من ظروف وملابسات اعتماداً على آراء المفسرين خاصة اللغويين منهم. كما يراعي الصناعة النحوية من تقديم وتأخير، وفصل ووصل، وعطف، وحذف...إضافة إلى حضور السياق محيطاً بالتركيب، ومُمَثِّلاً بالقرائن الداخلية في ثنايا النص ومفتوحاً على قرائن خارجية.

7- ضرورة البحث في موروثنا اللغوي، وعقد صلته بكشوفات الحداثة لبيان الثراء الفكري والمعرفي لعلمائنا الأجلّاء في ميدان الدراسات اللغوية عموماً، وفي مقدماتها النحو والبلاغة، ثمّ تتبّع مراحل تبلور الإطار النظري للمثير الأسلوبي...ذلك كان شأن عبد القاهر الجرجاني - وغيره - حين اهتمّ ببعض الخصائص الأسلوبية في تفسير القرآن الكريم، وهو دليل على وجود مادة خامّ مكدّسة في مدوّنتيه، وحتّى في مدوّنات غيره، وما على الباحثين إلّا قراءتها بمنظور دلاليّ أسلوبي حديث.

8- معالجة قيم النص الدلالية لا تقوم على مراعاة جوانبه النحوية والصرفية والسياقية فحسب؛ وإنما بمراعاة ما يتحدّد من قيم دلالية في وجود المثير الأسلوبي بأيّ شكل كان. فليس تعدّد المفاهيم الاصطلاحية له، وتتوّع استعمالاته إلّا نتيجة حتمية لتشباك تلك المصطلحات مفهوميًا، وتقاطعها في أكثر من نقطة مشتركة، ومثال ذلك حين نتناول المشكل والغريب، والمتشابه كمصطلحات مشتركة الغاية، مختلفة الوظيفة، والحال نفسه بين العدول، والانزياح، والالتفات...إلخ.

9- اعتماد المنهج الوصفي التحليلي غير كاف لمعاينة هذه الظاهرة الأسلوبية وتتبعها. فمجال التطبيق عليه يتطلّب المنهج النفسي أيضًا؛ لأنّ الخطاب القرآن مؤثّر في نفسية القارئ بشدّة لفظًا وتركيبًا.

10- تنشأ المعاني النحويّة من علاقات مميّزة، وذات أهميّة بين الوحدات اللغوية. والسمات النحوية الخاصة بكل وظيفة نحوية مسؤولة في تحديد الوظيفة النحوية داخل التركيب. ولذلك وجّه النحاة كلّ اهتمامهم إلى ضبط قواعد الحذف وتحديد مواضعه وشروطه ومسوغاته، دون الاهتمام بالأغراض البلاغية، والدلالية التي أفرزها، وهو ما اشتغل عليه أصحاب الدلالة.

11- السياق أفضل مجال علمي تطبيقي للمثير الأسلوبي، وله دور مهم في تحديد الدلالة الوظيفية للوحدات التركيبية داخل السياق بالنظر إلى علاقة النص بالسياق، وخاصة النص القرآني، ووسائل الترابط السياقي تكشف قيم المثير الدلالية. ويتجدّد وجود السياق كثيرًا في بعض القضايا النحوية والبلاغية، ودوره يتكشف اعتمادًا على العلاقة الإعرابية - وغيرها - كقرينة من قرائن السياق في كشف اللبس.

12- إنّ كل حرف أو لفظة أو تركيب في القرآن كان مقصودًا لذاته، وكان للسياق القرآني فضل تأدية هذه الثلاث المعاني المقصودة، وما كان من خرق في إحداها إلّا لمعنى خاص، لا يكون بغير قاعدة الخرق الناشئة، والتي سميتها المثير الأسلوبي.

وأخيراً؛ مبلغى كلّهُ أن أفتح مجالاً في قراءة دلاليّة لخصائص الأسلوب القرآني؛ والبحث في عنصر من عناصر أسلوبيّته؛ وإسقاطه على دلالات النص القرآني، وما كان ذلك ليكون لولا استقراء ما وجدته في بعض المصادر القيّمة، وفي بعض المراجع الجادّة. وإنّي أعتبر هذه الدراسة مجرد محاولة قاصرة لإدراك ما خفي من ظواهر القرآن، فمهما بلغت الدّراسات من الجدّة؛ تبقى مجرد قطرة ماء من بحر لا حدود له، فعسى أن يتقبّل الله تعالى، ويكتب الثّواب...والحمد لله ربّ العالمين.

تمّت بمشيئة الله تبارك وتعالى.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
189 197	-02 05	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِلَٰكَ نَعْبُدُ وَإِلَٰكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾	الفاتحة
100	03	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	البقرة
251	05	﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾	
218 249	25	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾	
146	26	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾	
252	35	﴿وَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾	
260	36	﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾	

242	49	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِّنْ ءَالٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾	البقرة
241	54	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾	
115	55	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّيْغَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾	
87	61	﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ... ﴾	
23	71	﴿ ... تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ ... ﴾	
262	-80 81	﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتُخَذُتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن تُخْلَفَ ۚ اللَّهُ عَاهِدُهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ بَلَىٰ ۖ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	
263	83	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ... ﴾	
115	87	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۚ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِّقًا تَقْتُلُونَ ﴾	

98	91	﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	البقرة
257	96	﴿ وَلِتَجِدَ فِيهِمْ أُحْزَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِمْ ... ﴾	
119	145	﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾	
170	147	﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾	
251	164	﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	
257	179	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتِيهِ الْأَلْبَابُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	
104	183	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ... ﴾	
261	187	﴿ ... فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْغَنَ بِشِرْوَاهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ... ﴾	
105	214	﴿ ... وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ... ﴾	
183	214	﴿ ... مَسَّيْهِمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا ... ﴾	

110 150	222	﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا ۚ وَالنِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۚ ﴾	البقرة
262	228	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ﴾	
162	237	﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ۚ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۚ ﴾	
193	255	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ... ﴾	
127	257	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۚ ﴾	
170	60	﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ۚ ﴾	آل عمران
146	106	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ ﴾	
234	173	﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۚ ﴾	
180	184	﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۖ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۚ ﴾	

149	1	﴿ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ ﴾	النساء
109	11	﴿ ... فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ ... ﴾	
175	11	﴿ ... لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ۚ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ ... ﴾	
159	12	﴿ ... وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ ... ﴾	
171	23	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ... ﴾	
101	-92 93	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا ۚ فَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۚ وَإِنْ كَانَ مِنَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۚ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٣﴾ وَمَنْ يَقتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ۚ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ ﴾	

152	95	﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرْحِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ ﴾	النساء
174	127	﴿...وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَذَكَّرُ الْبَشَرِ لِيَتَّقِيَ اللَّهَ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ...﴾	
150	6	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ ... ﴾	المائدة
266	116	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيٰ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ ... ﴾	
63	01	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۚ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾	
266	14	﴿ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أُفٍّ لِّكَ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	الأنعام
247	27	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِغَايَةِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	
92	34	﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾	

186	35	﴿...وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾	الأنعام
97	95	﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۚ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾	
255	100	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾	
127	153	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِمِثْلِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	
252	19	﴿وَيَتَادَمُّ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ فَكَلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	الأعراف
177	44	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	
97	48	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾	
263	117	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾	
215	143	﴿... قَالَ رَبِّ ارْنِيْ اَنْظُرْ اِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ اَنْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنْ اَسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَبَقًا ۚ فَلَمَّا اَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ اِلَيْكَ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	
251	179	﴿اُولٰٓئِكَ كَاٰلَا نَعْمٍ ۚ بَلْ هُمْ اَضَلُّ ۚ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْغٰفِلُوْنَ﴾	

175	12	﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ^١ سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾	الأنفال
241	75	﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	
148	3	﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ... ﴾	التوبة
181	6	﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا مَنَعَهُ ^٢ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	
109	17	﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ ^٣ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	
245	60	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ^٤ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	
196	-42 43	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ^٥ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ ^٦ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾	يونس
135	-88 89	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ^٧ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾	

		﴿ ٣٨ ﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾	
194	03	﴿ ٤٠ ﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى... ﴿٤١﴾	
133	-53 54	﴿ ٤٢ ﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَضَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوِّهِ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾	هود
70	81	﴿ ٤٥ ﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٤٦﴾	
247	18	﴿ ٤٧ ﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴿٤٨﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴿٤٩﴾ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿٥٠﴾	يوسف
	30	﴿ ٥١ ﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا... ﴿٥٢﴾	ب
177	85	﴿ ٥٣ ﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُوا تَذَكَّرُ يُونُسَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٥٤﴾	
92	110	﴿ ٥٥ ﴾ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ﴿٥٦﴾ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٧﴾	
	09	﴿ ٥٨ ﴾ إِنْ نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٥٩﴾	الحجر
-90 116	01	﴿ ٦٠ ﴾ أَمْرٌ أَلَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾	النحل

134	-15 16	﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ الْوَيْلَ وَاللَّجِيمَ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	النحل
176	30	﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ...﴾	الإسراء
244	98	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	
74	01	﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	
113	08	﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾	الكهف
218	2-1	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿٢﴾ فَيَمَّا يَتَذَكَّرُ أَلْفًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ ...﴾	
93	28	﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾	
130	97	﴿فَمَا اسْطَبْعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَبْعُوا لَهُ نَقْبًا﴾	
258	5	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	طه
108	40	﴿...فَنَجَّيْنَكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾	
107	54	﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾	
92	69	﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾	

118	77	﴿ وَنَصَرْتَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	الأنبياء
195	61	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾	الحج
192	-57 58	﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾	المؤمنون
239	33	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	الفرقان
67	47	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا... ﴾	
196	73	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾	
74	-79 80	﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾	الشعراء
92 220	89	﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾	
101	04	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتُنَا لَهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾	النمل
43	9-8	﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	
197	30	﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	
246	-23 24	﴿... وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ ۖ ﴿٢٤﴾ ... ﴾	القصص
258	76	﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ... ﴾	

100	32	﴿قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا خُبْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾	العنكبوت
23	9	﴿...وَأَنَارُوا الْأَرْضَ...﴾	الروم
164	55	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾	
183	11	﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	الأحزاب
154	-18 19	﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	سبأ
134	09	﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الْنُّشُورُ﴾	فاطر
128	-19 22	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾	
180	25	﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾	
157	3	﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	يس
156	5	﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾	
134	22	﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	
112	43	﴿وَإِنْ كُشِّئْنَا نَفِرْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾	

245	-55 59	﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَنُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾	
48	-62 67	﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَهَا فَتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾	الصفات
122	-18 19	﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٢٢﴾ وَالطَّيْرُ مُحْشُورَةٌ كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٢٣﴾﴾	ص
44	77	﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿١٢٤﴾﴾	
103	03	﴿كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾	فصلت
88	46	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ﴿١٠٤﴾ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴿١٠٥﴾ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠٦﴾﴾	
-97 179	71	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴿١٠٧﴾ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتِيحتْ أَبْوَابُهَا... ﴿١٠٨﴾﴾	
-179 247	73	﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴿١٠٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿١١٠﴾﴾	الزمر
104	09	﴿...فَقَدْ رَحِمْتُهُ... ﴿١١١﴾﴾	
183	60	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ... ﴿١١٢﴾﴾	غافر
91	78	﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١١٣﴾﴾	

248	11	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	الشورى
161	6-4	﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٦﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٧﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ ﴾	
234	-25 27	﴿ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفِئْدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفِئْدَتُهُمْ مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَتَحَدَّوْنَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۚ ﴾	الدخان
219	-47 49	﴿ خذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِن عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٩﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٥١﴾ ﴾	
44	49	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾	
157	35	﴿... لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلِغٌ ...﴾	الأحقاف
182	4	﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَتُمْهُمْ فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً... ﴾	محمد
414	24	﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانِ ۚ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾	
41	29	﴿ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾	الذاريات
51	-21 22	﴿ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾	النجم
84	42	﴿ كَذَّبُوا بِعَايِنَتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾	القمر
85	55	﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾	
253	65	﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَّلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾	الواقعة

الواقعة	﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾	-66 67	-253 254
المنافقون	﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	10	250
التحريم	﴿...وَأَنْ تَظْهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾	04	113
المعارج	﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾	7-1	129
	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	34	101
المزمل	﴿أُورِدَ عَلَيْهِ وَرَقِلَ الْفَرَّانُ أَنْ تَرْتِيلًا﴾	4	86
	﴿وَأَذْكُرَ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾	-07 09	117 186
المدثر	﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾	42	80
الإنسان	﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾	6	259
	﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَابَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾	-15 16	55
	﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴿٥﴾ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾	28	57

43	-45 50	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٣﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾	المرسلات
124	13-6	﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦١﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّاكِبَةُ ﴿٦٢﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٦٣﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٦٤﴾ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿٦٥﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا خِزْرًا ﴿٦٦﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿٦٧﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾	النازعات
184	04	﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾	الانفطار
163	9-8	﴿إِنَّهُمْ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨٠﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٨١﴾﴾	الطارق
128	-15 17	﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿٨٢﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿٨٣﴾ فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٤﴾ أَمَهِلْهُمْ زُوَيْدًا﴾	
191	-09 10	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٩٢﴾﴾	الضحى
184	9	﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾	العاديات
183	1	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾	الزلزلة
120	04	﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾	الكافرون
193	01	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	الإخلاص

المصادر والمراجع.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، وزارة الأوقاف، العراق 1979.

الحديث الشريف:

- 1- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، مصر، دار إحياء الكتب العربية، 1965م.

المصادر:

- 2- ابن الأثير ضياء الدين الجزري (558هـ/637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدّمه: أحمد الحوفي، وبدوي طبانه، د ط، -القاهرة- دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د ت.
- 3- الأخفش أبو الحسن (ت221هـ)، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1990.
- 4- الأندروني أحمد بن محمد، طبقات المفسرين، تح: سليمان بن صالح الخزي، ط1، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، 1997.
- 5- الإسترأبادي رضي الدين محمد بن الحسن (ت686هـ)، شرح الكافية، تح: يحي بشير مصري، السعودية، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1996.
- 6- الألوسي أبو الفضل شهاب الدين محمود (ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: محمد حسين العرب بإشراف هيئة البحوث والدراسات، لبنان، دار الفكر، 1414هـ/1994.
- 7- الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف، ط4، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة- مصر- المكتبة التجارية الكبرى، 1969م.

8- الأنباري أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (512هـ/577هـ)، البيان في غريب إعراب القرآن، د ط، تح: طه عبد الحميد طه، مصر، الهيئة المصرية العلمية للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، 1389هـ/1980م.

9- الأنباري محمد بن القاسم (ت328هـ)، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1977م.

10- الأنصاري يحيى أبو زكريا (926هـ)، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تح: محمد علي الصابوني، د ط، بيروت- لبنان- دار القرآن الكريم، 1983.

11- الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر (338هـ/402هـ)، إعجاز القرآن الكريم، تح: سيد أحمد صقر، ط3، مصر، دار المعارف، 1971م.

12- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود (ت516هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة وسليمان مسلم الحرش، ط4، الرياض-السعودية- دار طيبة للنشر والتوزيع، 1997.

13- التهانوي محمد علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر (ت بعد 1158هـ)، كشف اصطلاحات الفنون، تح: لطفي عبد البديع، د ط، مصر، المؤسسة المصرية العامة، 1977.

14- الجرجاني الشريف علي بن محمد بن علي (740هـ/816هـ)، التعريفات، تح: نصر الدين تونسي، ط1، القاهرة.

15- الجرجاني عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد (400هـ/471هـ)، أسرار البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، مصر، مكتبة القاهرة، 1976.

16- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، ط2، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1989.

- 17- **الجصاص** أبو بكر أحمد بن علي الرازي (305هـ/370هـ)، تفسير أحكام القرآن، تح: محمد صادق قمحاوي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية مؤسسة التاريخ العربي، 1992/1412.
- 18- **الجمحي** محمد بن سلام بن عبد الله بن سالم (ت232هـ)، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود شاكر، د ط، مصر، مطبعة مدني، 1973.
- 19- **ابن جني** أبو الفتح عثمان (322هـ/392هـ)، المحتسب تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي، عبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1969 .
- 20- **جني** أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط4، بغداد- العراق- دار الشؤون الثقافية العامة، 1990م.
- 21- **جني** أبو الفتح عثمان؛ المنصف (شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري)، تح: عبد الله أمين وإبراهيم مصطفى، ط1، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1954.
- 22- **الجوهري** إسماعيل بن حماد (ت393هـ)، معجم الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1984.
- 23- **الحلبي** أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود السمين (ت756هـ)، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، د ط دمشق، دار القلم، 1982.
- 24- **أبو حيّان** محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الأندلسي (654هـ/745هـ)، البحر المحيط في التفسير، تح: صدقي محمد جميل، بيروت دار الفكر، 1420هـ.

- 25- ابن خالويه أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت370هـ)، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1985.
- 26- خالويه الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تح: د/عبد العال سالم مكرم، مصر، دار الشروق، 1399هـ/1979م.
- 27- الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (319هـ/388هـ)، غريب الحديث، تح: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، دمشق، دار الفكر، 1982.
- 28- الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في الإعجاز للرماني، تح: محمد خلف الله محمد زغلول سلام، ط3، مصر، دار المعارف، 1976.
- 29- الرازي فخر الدين محمد بن عمر (543هـ/606هـ)، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ط3 بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1999م.
- 30- الزّجاج أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السّري بن سهل (241هـ/311هـ)، معاني القرآن وإعرابه عالم الكتب، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت-لبنان-، 1988.
- 31- الزّجاج أبو القاسم عبد الرحمن (339هـ)، مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الكويت، دار التراث العربي، 1962م.
- 32- الزّركشي أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله (745هـ/794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، بيروت-لبنان-، دار الفكر، 1980.
- 33- الزّمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (467هـ/538هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض بمشاركة أ د فتحي عبد الرحمان أحمد حجازي، ط1، السعودية - الرياض-مكتبة العبيكان، 1418/1998.

- 34- السَّعْدِي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (1307هـ/1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2000.
- 35- أبو سعود محمد محي الدين محمد بن مصطفى أفندي (898هـ/982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، د ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- 36- السَّكَاكِي سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (555هـ/626هـ) مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م.
- 37- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (148هـ/180هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1988.
- 38- السيوطي عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد جلال الدين (849هـ/911هـ) الاتقان في علوم القرآن، تح: فوز أحمد، بيروت، دار الكتاب العربي، 2005.
- 39- سيوطي جلال الدين (911هـ)، البلاغة القرآنية، تح: السيد الجميلي، د ط، مصر العربية دار المعرفة، 1413هـ/1993م.
- 40- السيوطي جلال الدين (911هـ)، الدر المنثور، تح: عبد الله بن عبد المحسن تركي، ط1 القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، 2003.
- 41- الشَّافِعِي أبو عبد الله محمد بن إدريس (150هـ/204هـ)، الرسالة، شرح وتح: أحمد شاکر، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.
- 42- الشَّوْكَانِي محمد بن علي بن محمد (1173هـ/1255هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: سيد إبراهيم، ط3، القاهرة، دار الحديث، 1997.
- 43- الصَّابُونِي محمد علي (ولد 1930م)، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، ط3، دمشق مكتبة الغزالي - مؤسسة مناهل العرفان - 1980.

44- الطّبري أبو جعفر محمد بن جرير (224هـ/310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن
تح: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، ط1، بيروت- لبنان- مؤسسة الرسالة للطباعة
والنشر والتوزيع، 2000 .

45- ابن عاشور محمد الطاهر (1296هـ/1393هـ)، التحرير والتنوير، د ط، تونس، دار
سحنون للنشر والتوزيع، 1984.

46- عبد الرحمن عائشة (1330هـ-1913م/1419هـ-1998م)، التعبير البياني للقرآن الكريم
ط2، مصر، دار المعارف، 1966.

47- العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395هـ)، كتاب الصناعتين الكتابة
والشعر، تح: علي محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، سوريا، دار إحياء الكتب
العربية، 1952.

48- العسكري أبو البقاء عبد الله بن الحسين (538هـ-1143م/616هـ-1219م)، التبيان في
إعراب القرآن، تح: علي محمد بجاوي، ط2، بيروت، دار الجيل، 1987.

49- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت395هـ-1004م)، الصحابي في فقه اللغة
العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط1، بيروت، مكتبة
المعارف، 1993.

50- الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله (144هـ/207هـ)، معاني القرآن، تح: محمد
علي النجار، ط3، بيروت، عالم الكتب، 1983.

51- الفراهيدي الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (100هـ-718م/173هـ-789م)، كتاب
العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت- لبنان- دار الكتب العلمية (منشورات محمد علي
بيضون)، 2003/1424.

52- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي أبو طاهر (729هـ/817هـ)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت، مؤسسة الرسالة، 2005.

53- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (213هـ/828م/276هـ/889م)، أدب الكاتب، شرح علي فاعور، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية، 1988.

54- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، ط3، بيروت-لبنان-، المكتبة العلمية، 1401هـ/1981م.

55- القرطاجني أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم (608هـ/1211م/684هـ/1285م)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط2، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981.

56- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت - لبنان - 2006.

57- القرطبي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (520هـ/1126م/595هـ/1198م) الشهير بابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان - 1999م/1420هـ.

58- ابن قَيِّم الجوزية شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (691هـ/1292م-751هـ/1349م)، الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان، تح: محمد بدرالدين النعساني، ط1، مصر، مكتبة الخانجي، 1327هـ.

59- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد، بدائع الفوائد، تح: أحمد بن شعبان بن أحمد، ط1، القاهرة، مكتبة الصفا، دار البيان الحديثة، 2005.

60- الكلبي محمد بن أحمد بن عبد الله بن جزي أبو القاسم (693هـ/1294م-741هـ/1340م) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، محمد سالم هاشم، لبنان، دار الكتب العلمية، 1995/1415.

61- المبرّد أبو العباس محمد بن يزيد النحوي (210هـ/285هـ)، الكامل في اللغة والأدب د ط، بيروت-لبنان- دت.

62- المبرّد أبو العباس، ما اتفق لفظه واختلف معناه، تح: محمد رضوان الداية، ط1، دمشق دار البشائر، دت.

63- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين (630هـ/711هـ)، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، بيروت-لبنان-، دار الكتب العلمية (منشورات محمد علي بيضون)، 2003/1424.

64- النَّحَّاس أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (ت338هـ/950م)، إعراب القرآن، تح: محمد علي الصابوني، د ط، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1989م.

65- ابن هشام الانصاري جمال الدين يوسف بن أحمد بن عبد الله (708هـ/761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت - لبنان- صيدا المكتبة العصرية، 1404هـ/1987م.

المراجع:

- 66- أنيس إبراهيم، من أسرار اللغة، ط6، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978.
- 67- أولمان ستيفن، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، د ط، القاهرة- مصر- مكتبة الشباب 1975.
- 68- البحيري أسامة، تحولات البنية في البلاغة العربية، مصر، دار الحضارة، 2000.
- 69- البحيري سعيد، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ط1، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون 1997.
- 70- بلعيد صالح، محاضرات في قضايا اللغة العربية، د ط، الجزائر، دار الهدى، 1999.
- 71- جرادات أسامة كامل، الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية، الأردن، دار الفرقان، 2004م.
- 72- حسان تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها، ط2، القاهرة- مصر-، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979.
- 73- حساني أحمد، المكوّن الدلالي للفعل في اللسان العربي، د ط، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، 1993.
- 74- حمودة عبد العزيز، المرايا المحدبة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1998.
- 75- الخالدي كريم حسين ناصح، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دراسة دلالية أسلوبية ط1، عمان-الأردن-، دار الصفاء للطباعة والنشر، 2007/1428.
- 76- ابن ذريل عدنان، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، دمشق، اتحاد الكتاب العرب 2000م.

77- الرَّافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط8، بيروت، دار الكتاب العربي، 2005.

78- الرّمالي ممدوح عبد الرحمن، العربية والوظائف اللغوية دراسة في اتباع النظام والأساليب الإسكندرية -مصر- دار المعرفة الجامعية، 1996م.

79- ريفاتير ميكائيل، معايير تحليل الأسلوب، ط1، ترجمة تقديم وتعليقات: حميد لحداني، الدار البيضاء-المغرب- منشورات دراسات سال ودار النجاح الجديدة، مارس 1993.

80- أبو زيد نصر حامد ، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ط3، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1996.

81- ساسي عمار، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، البليدة - الجزائر- دار المعارف، 2005.

82- سامرائي فاضل صالح ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط2، شركة العاتك لصناعة الكتاب، 1427/ 2006.

83- سامرائي فاضل صالح، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ط3، عمّان -الأردن- دار عمار للنشر، 1423/ 2003.

84- سامرائي فاضل صالح، معاني النحو، د ط، الموصل-العراق-، بيت الحكمة مطبعة التعليم العالي، 1985.

85- سامرائي فاضل صالح، من أسرار البيان، ط1، عمّان -الأردن- دار الفكر 1429/ 2009.

86- السّد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، د ط، الجزائر، دار هومه للنشر، د ت.

87- السّعران محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي 1997.

88- طبل حسن، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د ط، مصر، دار الفكر العربي، 1998.

89- طبل حسن، المعنى في البلاغة العربية، ط1، مصر، دار الفكر العربي 1418هـ/1998م.

90- طلب علي أحمد، دراسات تحليلية لغوية لسور قرآنية، د ط، مصر، مطبعة دار البيان، 1406هـ/1986م.

91- عبابنة سامي محمد، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، ط1، اربد - الأردن - عالم الكتب الحديث، 2007.

92- عبد الكريم بكري، الزمن في القرآن الكريم دراسة دلالية للأفعال الواردة فيه، ط1 القاهرة دار الفجر للنشر والتوزيع، 1998م.

93- عبد اللطيف محمد حماسة، النحو والدلالة، ط1، القاهرة- مصر-، دار الشروق، 1983.

94- عبد المطلب محمد، البلاغة والأسلوبية، د ط، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984.

95- عبد المطلب محمد، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ط1، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1995.

96- عروي محمد إقبال، أطروحات أسلوبية في الخطاب القرآني، ط1، الرباط -المغرب- دار الأمان، 1996.

97- عفيفي أحمد، التعريف والتذكير في النحو العربي، ط1، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق 1905.

98- عقّاق قادة، في السيميائيات العربية، قراءة في المنجز التراثي، سيدي بلعباس - الجزائر - مكتبة الرشاد للطباعة، 2004.

99- علي محمد بركات حمدي، فصول البلاغة، عمان-الأردن - دار الفكر، 1983م.

100- عمّار أحمد سيد محمد ، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، ط1 دمشق- سوريا- دار الفكر، 1998.

101- عمر أحمد مختار، دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، ط1، القاهرة - مصر - عالم الكتب، 2001.

102- عمر أحمد مختار، علم الدلالة، ط5، بيروت- لبنان - عالم الكتب، 1998.

103- عمر أحمد مختار، قاموس القرآن الكريم، ط1، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي 1993/1414.

104- العموش خلود، الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق، ط1، اربد- الأردن - عالم الكتب الحديث، 1429هـ/2008م.

105- عياشي منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، سوريا، مركز الإنماء الحضاري 2002.

106- عيد رجاء، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، د ط، القاهرة- مصر-، مطبعة أطلس التوفيقية، 1993.

107- فضل صلاح ، أشكال التخيل من فتات الأدب والنقد - من سلسلة أدبيات -، ط1 بيروت، مكتبة لبنان، 1997.

108- فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، من سلسلة أدبيات، ط1، مصر، مكتبة لبنان 1996م.

- 109- فضل صلاح، علم الأسلوب، القاهرة - مصر-، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، د ت.
- 110- فضل صلاح، مناهج النقد المعاصر، المغرب، إفريقيا الشروق، 2002.
- 111- القاسمي علي، مقدمة في علم المصطلح، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية 1987.
- 112- القوزي عوض محمد ، المصطلح النحوي، الجزائر، د م ج، 1983.
- 113- كمال باشا شمس الدين أحمد بن سليمان، أسرار النحو، تح: أحمد حسن حامد، ط2 مصر، دار الفكر، 2002.
- 114- لاشين عبد الفتاح، علم المعاني في ضوء أساليب القرآن، ط2، مصر، دار الفكر 2000.
- 115- لاينز جون ، علم الدلالة، تر: مجيد عبدا لحليم الماشطة وحليم حسين وكاظم حسين باقر، ط1، جامعة البصرة-العراق - 1980م.
- 116- مرتاض عبد الجليل، الظاهر والمختفي طروحات جدلية في الإبداع والتلقي، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 2005.
- 117- المسدي عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، د ط، تونس، الدار العربية للكتاب، 1977.
- 118- المسدي عبد السلام، المصطلح النقدي، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر، تونس د ت.
- 119- المطعني عبد العظيم إبراهيم ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط1، القاهرة - مصر - مكتبة وهبة، 1413هـ/1992م.
- 120- مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د ط، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1407/1987.

121- مفتاح محمد، تحليل الخطاب الشعري، ط3، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي 1992م.

122- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، د ط، دمشق- سوريا- منشورات اتحاد الكتب العرب، 2001.

123- الناقوري إدريس، المصطلح النقدي في نقد الشعر، ط2، طرابلس- ليبيا- ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام، 1984.

124- ابن نبي مالك، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق - سوريا- دار الفكر، 1987.

125- نهر هادي علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط1، ارد-الأردن-، عالم الكتب الحديث، 1429هـ/2008م.

126- هنداوي عبد الحميد أحمد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، ط1، ارد-الأردن-، عالم الكتب الحديث، 1429هـ/2008م.

127- وافي علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط7، القاهرة - مصر- دار النهضة، 1393هـ.

128- يقطين سعيد، انفتاح النص الروائي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، 1984م.

رسائل ومخطوطات:

129- الجطلاوي الهادي ، قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج، التأويل، الإعجاز، رسالة دكتوراه في اللغة والآداب العربية، ط1، دار محمد علي الحامي للنشر، سوسة -تونس- 1998.

130- الحمادي جلال عبد الله محمد سيف، العَدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، رسالة ماجستير، تعز -اليمن - 2007.

131- حنّجار غانم، القيم الأدبية في نصوص التفسير، دكتوراه- مخطوط- جامعة الجزائر 1 2009.

132- عرابي أحمد، الدلالة اللغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة، مخطوط دكتوراه، جامعة وهران، 2004.

مجلّات ودوريات:

133- البكري طارق، الأسلوبية عند ميشال ريفاتير، مجلة ديوان العرب، جويلية، 2007.

134- السّلمي عبد الله عويقل، الجوانب النفسية في أسلوب النداء. دراسة تركيبية دلالية، مجلة الصّوتيات، مخبر الصّوتيات العربيّة الحديثة، العدد الثامن، جامعة سعد دحلب-البليدة- سبتمبر 2010.

135- العثيان عادل بن معتوق، صيغة الفعل دلالتها الصرفية والنحوية عند اللغويين المعاصرين، السعودية، كلية الآداب جامعة الملك سعود، فبراير 2012.

136- فضل صلاح، علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، مجلة فصول، أكتوبر 1984.

137- ملاحى علي، ملتقى علم النص، مجلة اللغة والأدب، العدد: 14، الجزائر، دار الحكمة 1999/1420.

138- هلال ماهر مهدي، الرؤية البلاغية في قراءة النص، العدد 6، المجلد 3، مجلة جامعة حضرموت -اليمن-.

139- يوسف حمزة فاضل، تأويل القرآن سلطة القارئ أم سلطة النص، بحث، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد 1 و2، المجلد 7، 2008، العراق.

مواقع الكترونية:

140- الحمد علي توفيق، في المصطلح العربي، www.actap.planet.com.

141- الطيار مساعد بن سليمان بن ناصر، ملح التفسير ولطائفه، ملتقى أهل التفسير، شبكة

التفسير والدراسات القرآنية، ماي 2006، attayar@hotmail.com.

142- صحراوي مسعود، المنهج السياقي ودوره في فهم النص، المقال الأول، موقع الشهاب.

The summary:

Quran is usually studied by linguists because of its grammatical cohesion. So, I entitled my research with: **the bases of semantic reading to the stylish stimulus in some samples in Quran.**

I focused much more on the structural and grammatical semantic. Thus, the importance of my research shows the relationship between the stylish stimulus and some linguistic semantics moreover, the result or the effect that it leaves when a comprehensive reading is required to recognize the correct meaning. I want to highlight the semantic value of stylish stimulus.

If you respond quickly and automatically to a piece of writing it means that it lacks to an important factor that is the stylish stimulus. That's why the problem is: **to what extent the stylish stimulus is considered a way to realize semantic values of some text in the the Holy Quran?**

I do my research through this layout:

1-Chapter one:

The stylish stimulus between use and meaning.

2-Chapter two:

The relationship between stylish stimulus and structural semantic.

3-Chapter three:

The semantic values of some grammatical phenomena

4-Chapter four:

The role of context in showing the semantic of stylish stimulus.

The answer obliged me to choose **the descriptive analytical method** which aims to describe the characteristics and dimensions of this phenomenon through Quran; I was also obliged to use **the psychological method** as the stylish stimulus is closely related to psychological meanings especially when its words and phrases affect the soul of audiences.